

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and graduate studies
Faculty of Arts
PhD of Arabic Language



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية الآداب
دكتوراه اللغة العربية

الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي
The Other in the Poetry of Women in the
Pre-Islamic and Islamic Eras

إعداد الباحث
أحمد سلمان عبدالله مهنا

إشراف
الأستاذ الدكتور
عبدالخالق محمد العف

قُدِّمَ هذا البحثُ استكمالاً لِمُتطلباتِ الحُصولِ على دَرَجَةِ الدُّكْتُوراهِ
فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ كُليَّةِ الآدابِ فِي الجَامِعَةِ الإِسْلامِيَّةِ بِغَزَّةِ

نوفمبر/2017م - صفر / 1439هـ

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

The Other in the Poetry of Women in The Pre-Islamic and Islamic Eras

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	أحمد سلمان مهنا	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2017/11/14م	التاريخ:



هاتف داخلي 1150

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

الرقم: ج س غ /35/

التاريخ: 2017/11/14

نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ أحمد سلمان عبدالله مهنا لنيل درجة الدكتوراة في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، وموضوعها:

الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 25 صفر 1439هـ، الموافق 2017/11/14م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

..... عبدالله	مشرفاً ورئيساً	أ.د. عبد الخالق محمد العف
.....	مناقشاً داخلياً	أ.د. كمال أحمد غنيم
.....	مناقشاً داخلياً	أ.د. ماجد محمد النعماني
.....	مناقشاً خارجياً	د. أسامة عزت أبو سلطان
.....	مناقشاً خارجياً	أ.د. عبد الفتاح أحمد أبو زائدة

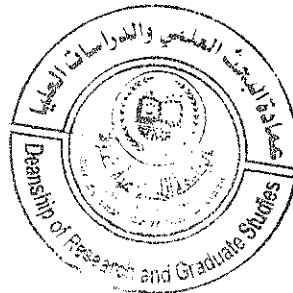
وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراة في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

.....
أ.د. مازن اسماعيل هنية



الملخص

الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

يستجلي هذا البحث صورة الآخر في شعر النساء، في العصرين الجاهلي والإسلامي، قريبا كان أم غير قريب، زوجا ومحبويا، مسلما وغير مسلم، عربيا وأعجميا، مذهبيا وغير مذهبي، اتبعت فيه المنهج الوصفي والتاريخي، ثم التحليلي.

ويسير البحث على النحو التالي:

تمهيد اشتمل على: التعريف بالآخر في ثقافة المجتمع العربي، والعلاقة بين الأنا والآخر في الشعر العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي، ثم شعر النساء في الأدب العربي القديم بصفة عامة.

ويبحث الفصل الأول في صورة الآخر القريب في شعر النساء، سواء أكان ابنا، أو أخا، أو أبا، أو قريبا، وفي ثناياه تحدثت البحث عن مكانة الأم، والأخت، والبنات، عند العرب في العصرين.

ويبحث الفصل الثاني في صورة الآخر الزوج والمحبيب في شعر النساء.

ويبحث الفصل الثالث في صورة الآخر الأعجمي (الفرس نموذجًا)، والآخر الديني (مسلمون - مشركون - يهود)، والآخر المذهبي (الخوارج نموذجًا)، والآخر النبي القدوة (صلى الله عليه وسلم).

ثم تناول الفصل الرابع شعر النساء بالدراسة والتحليل، من خلال ثلاثة محاور هي: المحور الأول: اللغة، والثاني: الصورة البيانية، وتحدثت فيها عن التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكنائية، والثالث: الموسيقى. وختمت البحث بالنتائج والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

Abstract

The other in the poetry of women in the pre-Islamic and Islamic eras

This research explores the image of the other in the poetry of women in the pre-Islamic and Islamic times. The investigated other could be a relative or a stranger, a beloved or husband, Muslim or non-Muslim, Arabic or non-Arabic, and sectarian or non-sectarian. This study followed the descriptive and historical approach, in addition to the analytical approach.

The research proceeds as follows:

An introduction that includes two topics: the linguistic and applied definition of the other, and the relationship between the ego and the other in Arabic poetry in the pre-Islamic and Islamic eras.

The first chapter examined the image of the other in the poetry of women, whether it is a son, a brother, a father, or a relative. The chapter also presented the status of mother, the sister, and the daughter amongst the Arabs in the two eras.

The second chapter examined the image of the other, particularly the husband and the beloved in the poetry of women.

The third chapter examines the image of the non-Arabic other (Persian people as an example), the religious other (Muslims, polytheists, and Jews as examples), the sectarian other (al-Khawarej as an example), and the role model other (the Prophet may peace and blessings be upon him as an example).

The fourth chapter discussed and analyzed women's poetry in the study through three topics: the language, the expressive image (including assimilation, metaphor, and metonymy), and music.

The research was concluded by the conclusions, recommendations, and bibliography and references.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[النساء: 113]

الإهداء

إلى كل عاشق للغة العربية
غيور عليها...

شكرٌ وتقديرٌ

بعد شكري لربي وخالقي جل في علاه، الذي أنعم علي بنعمه الكثيرة، وآلائه الجسيمة، أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالخالق محمد العف " أستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية، صاحب الخلق الرفيع، والعلم الجم، والذي نهلت من خلقه، وأدبه، وظرفه، قبل أن أنهل من فيض علمه، والذي لم يأل جهدا في رعايتي، لإنجاز هذه الرسالة، وقد أفدت منه كثيرا، فجزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول إلى الأساتذة المناقشين: فضيلة الأستاذ الدكتور: كمال أحمد غنيم، وفضيلة الأستاذ الدكتور: ماجد النعامي بالجامعة الإسلامية، وفضيلة الأستاذ الدكتور: أسامة أبو سلطان، وفضيلة الأستاذ الدكتور: عبدالفتاح أبو زائدة، الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الدراسة.

وشكري كذلك إلى الجامعة الإسلامية راعية هذا البرنامج، والتي أتاحت لي فرصة إكمال مسيرتي التعليمية، حيث سخرت جل إمكاناتها من أجل الارتقاء العلمي بطلبتها وأكاديميها.

والشكر موصول إلى جميع الأساتذة الذين تتلمذت على أيديهم،، ونهلت من علمهم، في كل مراحل دراستي.

ولا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري إلى كل من أفادني من زملائي وأحبتي، وقدم لي يد العون والمساعدة، سائلا الله أن يوفقني وإياهم لكل خير.

والله ولي التوفيق ،،،

الباحث

أحمد سلمان عبدالله مهنا

فهرس المحتويات

أ	إقرار
ب	نتيجة الحكم
ت	الملخص
ث	Abstract
ج	اقتباس
ح	الإهداء
خ	شكر وتقدير
د	فهرس المحتويات
1	المقدمة
2	أهمية البحث:
2	دوافع الدراسة:
2	منهج البحث:
2	أهداف الدراسة:
2	الصعوبات التي تواجه الباحث:
3	الدراسات السابقة:
4	التمهيد
5	المبحث الأول: الآخر لغةً واصطلاحاً:
7	المبحث الثاني العلاقة بين الأنا و الآخر في الشعر العربي القديم
26	الفصل الأول الآخر القريب في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي
27	المبحث الأول الأب
27	المطلب الأول: مكانة الأب عند ابنته
32	المطلب الثاني: صورة الأب في شعر ابنته

53	المبحث الثاني: الابن
53	المطلب الأول: الأم:
66	المطلب الثاني: الابن في شعر النساء
98	المبحث الثالث: الأخ
98	المطلب الأول: مكانة الأخت عند أخيها:
103	المطلب الثاني: صورة الأخ في شعر النساء
142	الفصل الثاني الآخر الزوج والمحبيب في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي
143	المبحث الأول: الآخر الزوج في شعر النساء
189	المبحث الثاني: الآخر المحبوب
195	المطلب الأول: الشوق إلى المحبوب:
199	المطلب الثاني: البوح بالحب والشوق:
208	المطلب الثالث: صفات المحبوب:
226	الفصل الثالث آفاق الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي
227	المبحث الأول: الآخر القدوة
236	المبحث الثاني: الآخر الديني
253	المبحث الثالث: الآخر المذهبي في شعر النساء (الخوارج نموذجاً)
253	المطلب الأول: التسمية والنشأة:
255	المطلب الثاني: الآخر الخارجي القريب في شعر النساء
271	المطلب الثالث: الآخر غير القريب
274	المبحث الرابع: الآخر الأعجمي
288	الفصل الرابع الدراسة الفنية (اللغة - الصورة البيانية - الموسيقى)
289	المبحث الأول اللغة
298	المبحث الثاني الصورة البيانية

298.....	المطلب الأول: مفهوم الصورة:
300.....	المطلب الثاني: التشبيه:
320.....	المطلب الثالث الإستعارة.....
326.....	المطلب الرابع: الكناية.....
340.....	المبحث الثالث الموسيقا في شعر النساء.....
355.....	الخاتمة
355.....	أولاً: النتائج.....
358.....	ثانياً: التوصيات.....
359.....	المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي علّم الإنسان بالقلم، علّمه ما لم يعلم من فصاحة وبلاغة وبيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أدبه ربّه فأحسن تأديبه، خير من نطق بالعربية خطيباً، فكان أفصحهم كلاماً وبلاغةً، صلى الله عليه وسلم... وبعد.

ظل شعر النساء في الأدب العربي القديم بعيداً عن دراسة شاملة عميقة، حيث تعددت الدراسات الجزئية، التي تناولت جانبا منه، كدراسة شعر الرثاء مثلاً، في مرحلة معينة دون غيرها، الأمر الذي دفعني بقوة إلى التفكير في دراسة شعر المرأة القديم، واستجلاء صورة الآخر فيه، ومعرفة هذه الصورة، وكيف نظرت المرأة العربية إلى الآخر، في جميع أغراض شعرها، إن هذه الدراسة الشاملة تحاول الكشف عن جانب مهم من جوانب حياة النساء الشاعرات، في مرحلة فارقة من تاريخنا القديم.

حيث تتبعت الدراسة صورة الآخر في شعر النساء، في العصرين الجاهلي والإسلامي، ابناً، وأباً، وأخاً، وقريباً وبعيداً، رجلاً، وطفلاً، زوجاً وحبیباً وبغيضاً، حاكماً، ومحكوماً، عربياً، وأعجمياً، مسلماً، وغير مسلم.

ربما يكون موضوع الدراسة كبير، والصعوبات جمة، ولكن دراسة أدب يزخر بالنفائس الأدبية؛ التي لا يزال بعضها بكرًا يختبئ في جنبات أمهات الكتب، يعد أمراً مشوقاً ومحفزاً، خصوصاً إذا ما كانت النتائج المرجوة قيمة.

وبحثي المرسوم ب(الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي)، يتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، وخاتمة، أما التمهيد فيشتمل على: التعريف بالآخر لغة واصطلاحاً، والعلاقة بين الأنا والآخر في الشعر العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي، ثم شعر النساء في الأدب العربي القديم بصفة عامة.

ويبحث الفصل الأول في صورة الآخر القريب في شعر النساء، سواء أكان ابناً، أو أخاً، أو أباً، أو قريباً، وفي ثناياه تحدثت البحث عن مكانة الأم، والأخت، والبنات، عند العرب في العصرين. ويبحث الفصل الثاني في صورة الآخر الزوج والمحبوب في شعر النساء، ويبحث الفصل الثالث في صورة الآخر الأعجمي (الفرس نموذجاً)، والآخر الديني (مسلمون - مشركون - يهود)، والآخر المذهبي (الخوارج نموذجاً)، والآخر القدوة (النبي صلى الله عليه وسلم)، ثم تناول الفصل الرابع شعر النساء بالدراسة والتحليل، من خلال ثلاثة محاور هي: المحور الأول: اللغة، والثاني: الصورة البيانية، وتحدثت فيها عن التشبيه، والاستعارة، والكنائية، والثالث: الموسيقى. وختمت البحث بالنتائج، والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

أسأل الله العلي القدير، أن يعينني على إنجاز هذه الدراسة على أتم وجه، إنه نعم المولى، ونعم المعين، وهو يهدي السبيل.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه سيلقي الضوء على صورة الآخر في شعر النساء في مرحلة تعد من أزهى مراحل الشعر العربي، يستجلي هذه الصورة في كل أغراض هذا الشعر .

دوافع الدراسة:

من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع الحرص على معرفة الصورة التي رسمتها المرأة للآخر، سواء أكان قريبا، أم زوجا، أم محبوبا، عربيا أم أعجميا، وفي جميع أغراض شعرها، خصوصا وأن هذا الموضوع لم يبحث بحثا شاملا متكاملًا من قبل، مما قد يضيف للمكتبة العربية دراسة جديدة؛ ينتفع بها الدارسون لشعر شريحة مبدعة من نساء العرب في العصرين، الجاهلي والإسلامي.

منهج البحث:

اتبعت في دراستي هذه المنهجين الوصفي والتاريخي، والذي من خلالهما أحاول الكشف عن صورة الآخر في شعر شواعر العرب في العصرين، الجاهلي والإسلامي.

أهداف الدراسة:

- 1- الكشف عن صورة الآخر في شعر النساء بجميع أغراضه.
- 2- بيان مكانته عندها.
- 3- معرفة الصفات المعنوية، والحسية التي أحببتها المرأة في الآخر وحرصت عليها، وامتدحتها، وتغننت بها في شعرها، والصفات التي أبغضتها، وذمتها.
- 4- بيان قدرة المرأة على توظيف اللغة، والصورة البيانية، في شعرها، ومدى انسجام الموسيقى مع الغرض الشعري عندها.

الصعوبات التي تواجه الباحث:

- لم تواجه الباحث صعوبات يمكن ذكرها، فموضوع الدراسة، ومنتعة البحث فيه، والهدف السامي الذي يسعى الباحث لتحقيقه، ذلل الصعوبات.

الدراسات السابقة:

- الآخر في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، للباحثة مي عودة، جامعة النجاح، (2006). وفيها تناولت الآخر الأعجمي والديني في الشعر الجاهلي فقط للشعراء والشواعر.
- صورة الرجل في شعر المرأة في العصر العباسي، (رسالة ماجستير)، للباحث إبراهيم الحميدة، جامعة النجاح، (2013). وهي دراسة تناولت صورة الرجل في العصر العباسي دون غيره.
- صورة الطفل في العصر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، للباحثة ربي سمارة، جامعة النجاح، (2013). وكما يبدو من العنوان فقد تناولت صورة الطفل فقط، وفي العصر الجاهلي دون غيره، ولجميع الشعراء.
- أما هذا البحث فيختلف في كونه دراسة شاملة لصورة الآخر، في شعر النساء خاصة، وفي كل أغراضه، وفي العصرين الجاهلي والإسلامي.

التّمهيد

التمهيد

المبحث الأول: الآخر لغةً واصطلاحاً:

الآخر: لغة بفتح الخاء هو الغائب⁽¹⁾، وهو "أحد الشئيين، وهو اسم فاعل والأنثى أخرى"⁽²⁾، وهو بمعنى غير "كقولك: رجل آخر وثوب آخر"⁽³⁾، يقول الأزهري: معنى آخر: شيء غير الأول الذي قبله"⁽⁴⁾

وقد ورد لفظ (الآخر) في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، منها قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُضَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَيَّ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41]، وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

وفي الشعر العربي القديم ورد لفظ الآخر بذات المعنى كقول امرئ القيس⁽⁵⁾:

(1) الفراهيدي، العين، مادة (آخر).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (آخر).

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (آخر).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة (ج7/227).

(5) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (130-80 ق هـ = نحو 497 - 545 م):

أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يمني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، ف قيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي. وكان أبوه ملك أسد وغطفان.

وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشيب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى (دمون) بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرؤ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لاصحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمر وغدا أمر!، ونهض من غده فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج2/11).

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخرا (1)

وقول المتنبي (2):

ودع كل صوتٍ غير صوتي فإتني أنا الطائرُ المحكيُّ والآخِرُ الصدى (3)

الآخر اصطلاحاً:

يعد مصطلح الآخر من المصطلحات الفضفاضة، " إذ يتشظى هذا المصطلح ليحمل دلالات تتشابهك علاقاتها في الذات، فالآخر قد يكون الدين، أو اللغة، أو السياسة، أو الحضارة" (4)

وفي المنظور الأدبي يأخذ أنماطاً متعددة؛ أي أن أنماط حضوره وتشكلاته في الشعر متعددة فقد يكون إنساناً، أو مكاناً، أو واقعة (5).

وسيتناول هذا البحث الآخر الإنسان بالبحث والدراسة .

(1) امرؤ القيس، الديوان (ص 69).

(2) أبو الطيّب المُتنبّي، (303 - 354 هـ = 915 - 965 م)، أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيّب المُتنبّي: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربيّ. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعده أشهر الإسلاميين. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس. وقال الشعر صبيها.

(3) المتنبي، الديوان (ص373).

(4) الديك، إحسان، الآخر وأثره في شعر الأعشى الكبير (ص9).

(5) كاظم، نجم، الآخر في الشعر العربي الحديث (ص 21).

المبحث الثاني

العلاقة بين الأنا و الآخر في الشعر العربي القديم

مفهوم الآخر بالنسبة للشعراء يعني كل ما هو غيري وخارج الذات، سواء أكان مفردا أم جماعة، لذلك فإن كل نص أدبي لا يخلو من آخر، وكل نص غايته أن يصل إلى هدف محدد أو يريد أن يوضح فكرة معينة، أو ينقد حالة أو ظاهرة.

وفيما يأتي حديث حول الآخر في الشعر القديم، لنقف سويا على تصورات العربي للأشياء، ولا شك أن الآخر العام عند العربي الجاهلي هو الفارسي أو الرومي، حيث الحضارتين العظيمتين.

نظر المسلمون إلى الروم نظرة إيجابية حيث التقدير والتعاطف وقد سجل القرآن الكريم هذه النظرة بقوله تعالى: ﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)﴾ [الروم: 1 - 5]

ولكن العرب في الجاهلية يمقتون الفرس، فالصراع بينهم كان محتدما، حيث الوقائع المستمرة، منها وقعة ذي قار؛ التي صور الأعشى⁽¹⁾ مشاهدتها، ووثق الانتصار المؤزر على الفرس فيها، حيث أتى الفرس ببهرجهم وزينتهم، وقد علقوا الحلبي في آذانهم وعلى رقابهم دلالة على السيادة، لكن خيول العرب فرقت جمعهم، وشنتت شملهم، فعادوا مهزومين، بين قتيل وجريح. يقول:

وَجُنْدُ كِسْرَى عَادَةَ الْحِنُو صَبَّحَهُمْ
مِنَّا كَتَائِبُ تُرْجِي الْمَوْتَ فَاَنْصَرَفُوا
جَحَاجِحٌ وَبَنُو مُلْكٍ عَطَارِفَةٌ
مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطْفُ
إِذَا أَمَالُوا إِلَى النُّشَابِ أَيْدِيَهُمْ
مِنَّا بِيضٌ فَظَلَّ الْهَامُ يُخْتَطَفُ

(1) الأعشى (000 - 7 هـ = 000 - 629 م) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقة. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه. وكان يغني بشعره، فسمي (صنّاجة العرب) قال البغدادي: كان يفد على الملوك. ينظر: الزركلي (ج/341).

وَحَيْلُ بَكْرِ فَمَا تَتَفَكُّ تَطَحَنُهُمْ
 حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
 لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارِكَنَا
 فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرْفُ
 لَمَّا أَتَوْنَا كَمَا أَنَّ اللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ
 مُطَبَّقَ الْأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدْفُ
 وَظَعْنُنَا خَلْفَنَا كُحْلًا مَدَامِعُهَا
 أَكْبَادُهَا وَجُفٌّ مِمَّا تَرَى تَجِفُّ
 حَوَاسِرٌ عَنِ خُدُودٍ عَايَنَتْ عِبْرًا
 وَلَا حَهَا وَعَلَاهَا غُبْرَةٌ كُسُفٌ
 مِنْ كُلِّ مَرَجَانَةٍ فِي الْبَحْرِ أَخْرَجَهَا
 غَوَاصُّهَا وَوَقَاهَا طِينَهَا الصَّدْفُ⁽¹⁾

وتفخر الشاعرة صفية بنت ثعلبة⁽²⁾ على الفرس في مشهد يقل مثيله، فالشاعرة تأخذها العزة بقومها وأهلها الذين لا يذل الجار فيهم، فهم أهل الكرم والعزة والشرف، والإباء، والشاعرة إذ تفاخر بقومها، فإنها تعرض تعريضا خفيا بالفرس ممثلين في ملوكهم الأكاسرة، فهم وإن كانوا ملوكا فإنه لا يليق بهم أن يفكروا في الزواج بينات العرب، ثم إن الشاعرة لا تخاطب في شعرها كسرى مباشرة، بل بطريقة غير مباشرة، استعلاء وعزة وترفعا :

أنا الحجيجة من قوم ذوي شرف
 أولي الحفاظ وأهل العز والكرم
 والعز فيهم قديما غير مقترف
 والجار فاعلم عزيزاً داره بهم
 قولوا لكسرى أجزنا جارة فثوت
 في شامخ العز يا كسرى على الرغم
 نحن الذين إذا قمنا لداهية
 لم نبتدع عندها شيئاً من الندم
 نحيط جارتنا من كل نائبة
 ونرفد الجار ما يرضى من النعم⁽³⁾

(1) الأعشى، الديوان (ص 113-114).

(2) صفية بنت ثعلبة الشيبانية، ينتهي نسبها الأعلى إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. أسهمت إسهاماً ضخماً في جمع قومها شيبان والقبائل الأخرى ليوقعوا بالفرس في ذي قار بقيادة هاني بن مسعود. وأخوها عمرو بن ثعلبة كان على رأس الوقعة الأخيرة بين العرب والعجم. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص11).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص12).

وتحضر صورة الروم في شعر الشعراء العرب الفاتحين، حيث أظهروهم بصورة الآخر الكافر العدو، الذي يقابل الأنا المسلم، ومن أشعار العرب الفاتحين التي نقلت لنا صورة الآخر الرومي، ما قاله عبد الله بن سبرة (1)، في قصيدة يصف فيها مبارزة جرت بينه وبين قائد رومي، يسمى (أرطبون) فيقول :

ويلُّ أمَّ جارٍ غداة الروع فارقتي
أهون عليَّ به إذا بانَ فانقطعنا
يُمنى يديَّ غدت منِّي مفارقةً
لم أستطع يوم فلتاس لها تبعا
وما ضننتُ عليها أن أصاحبها
لقد حرصتُ على أن نستريح معا
وقائل غابَ عن شأني وقائلةٍ
هلاً اجتنبتَ عدو الله إذ صُرعا
وكيف أركبه يسعى بمنصُلهِ
نحوي وأعجز عنه بعدما وقعا
ما كان ذلك يوم الروع من خلقي
ولو تقارب منِّي الموت فاكنتعا
ويلُّ أمَّه فارساً أجلت عشيرته
حامى وقد ضيَّعوا الأحساب فارتجعا
يمشي إلى مستميتٍ مثله بطلٍ
حتى إذا أمكنا سيفيهما امتصعا
حاسيته الموت حتى اشتفَّ آخره
فما استكانَ لما لاقى ولا جزعا
كانَ لِمَتِّه هُدَابُ مُخْمَلَةٍ
أحمُّ أزرقُ لم يشمط وقد صلعا
فإنَّ يكن أرطبون الروم قطعها
فقد تركتُ بها أوصاله قطعنا
وإنَّ يكن أرطبون الروم قطعها
فإنَّ فيها بحمد الله منتفعا
بنانتين وُجذُموراً أقيم بها
صدر القناة إذا ما آنسوا فزعاً(2)

(1) عبد الله بن سبرة الحرشي، شاعر فارس، ذكره أبو علي الهجري، وقال: شهد الجسر في فتوح العراق،

فقطعت أصابع يده اليمنى فرتاها بأبيات. ينظر: ابن حجر، الإصابة (ج5/69)

(2) القالي، الأمالي (ج1/47-48). وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج5/10).

لقد صور الشاعر صراعا مريرا، وقتالا شرسا، مع خصم عنيد، شجاع متمرس على فنون القتال، صراعا أدى إلى فقد يده، لكنه لم يضعف ولم يجبن، وواصل القتال، حتى ترك الخصم، أشلاء ممزقة.

ويصور أبو تمام مشهدا من مشاهد الصراع مع الروم، عند أحد حصونهم، حيث احتدام القتال بين المسلمين الصائمين الصابرين على الظمأ والجوع والطامعين في ثواب الله وعظيم أجره والنصر والتمكين، وبين الروم الذين هزموا شر هزيمة، فجاء قادتهم وجنودهم أدلاء منكسرين. يقول:

حَتَّى نَقَضْتَ الرُّومَ مِنْكَ بِوَقْعَةٍ	شَنَعَاءَ لَيْسَ لِنَقْضِهَا إِبْرَامُ
فِي مَعْرِكِ أَمَّا الْحِمَامُ	فِي هَبْوَتَيْهِ وَالْكَمَاهُ صِيَامُ
وَالضَّرْبُ يُقَعِدُ قَرْمَ كُلِّ كَتِيبَةٍ	شَرِسِ الضَّرِيبَةِ وَالْحُتُوفُ قِيَامُ
فَقَصَمَتْ عُرْوَةَ جَمْعِهِمْ فِيهِ وَقَد	جَعَلَتْ تَقْصَمُ عَنْ غَرَاهَا الْهَامُ
أَلْقَوْا دِلَاءً فِي بُحُورِكَ أَسَأَمْتَ	تَرَعَاتِهَا الْأَكْرَابُ وَالْأَوْدَامُ
مَا كَانَ لِإِلْشِرَاكِ فَوْزَةٌ مَشْهَدٍ	وَاللَّهُ فِيهِ وَأَنْتَ وَالْإِسْلَامُ
لَمَّا رَأَيْتَهُمْ تُسَاقُ مُلُوكُهُمْ	حَزَقًا إِلَيْكَ كَمَا أَنَّهُمْ أَنْعَامُ
جَرَحِي إِلَى جَرَحِي كَأَنَّ جُلُودَهُمْ	يُطْلَى بِهَا الشَّيْآنُ وَالْعَلَامُ
مُتَسَاقِطِي وَرَقِ الثِّيَابِ كَمَا أَنَّهُمْ	دَانُوا فَأَحْدِثْ فِيهِمُ الْإِحْرَامُ ⁽¹⁾

ويصف الشاعر ثابت قطنة⁽²⁾ انتصار العرب المسلمين على الترك في إحدى المعارك فيقول:

(1) أبو تمام، الديوان (157/3).

(2) ثابت قُطْنَةُ، (000 - 110 هـ = 000 - 728 م)، ثابت بن كعب بن جابر العنكي، من الأزد: من شجعان العرب وأشرفهم في العصر الأموي، يكنى أبا العلاء. له شعر جيد. شهد الوقائع في خراسان (سنة 102 هـ وأصيب عينه فجعل عليها قطنة فعرف بها. ولما غزا أشرس بن عبد الله بلاد سمر قند وما وراء النهر، كان ثابت معه، ووجهه في خيل إلى (أمل) لقتال من فيها من الترك، فقاتلهم وظفر، واستمرت وقائعه معهم إلى أن قتلوه. جمع ماجد بن أحمد السامرائي البغدادي، ما وجد من شعره.

فَدَتِ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ	غَدَاةَ الرُّوعِ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ
فَدَتِ نَفْسِي فَوَارِسًا اِكْتَفُونِي	عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهَجِ الْقِتَامِ
بِقُصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَفَدُّ رَأُونِي	أَحَامِي حَيْثُ ظَنَّ بِهِ الْمُحَامِي
بِسَيْفِي بَعْدَ حَطْمِ الرُّمَحِ قَدَمًا	أَنُودُهُمْ بِذِي شَطْبِ حُسَامِ
أَكْرُرُ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرَارًا	كَكَّرَ الشُّرْبِ آيَةَ الْمُدَامِ
أَكْرُرُ بِهِ لَدَى الْعَمَرَاتِ حَتَّى	تَجَأَّتْ لَا يَضِيقَ بِهِ مَقَامِي
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ	وَضَرِبِي قَوْسَ الْمُلْكِ الْهُمَامِ
إِذْ نَسَعَتْ نِسَاءً بَنِي دَثَارِ	أَمَامَ الثُّرُكِ بَادِيَةَ الْخِدَامِ
فَمَنْ مِثْلُ الْمُسَيَّبِ فِي تَمِيمِ	أَبِي بَشَرَ كَقَادِمَةَ الْحِمَامِ (1)

لقد افتخر الشاعر بانتصاره على عدوه، وقتله قائدا كبيرا من قاداتهم. لقد نظر العرب المسلمون لكل من الفرس والروم، والترك على أنهم أعداء للعرب والمسلمين، وهم بذلك يمثلون الآخر غير المسلم، الآخر الكافر المعتدي الذي يقابل الأنا المسلم. وسيتم مناقشة الآخر الأعجمي في مبحث منفصل ضمن هذا البحث.

ثالثاً: شعر النساء في الأدب العربي القديم بصفة عامة.

شاركت المرأة الرجل في الحياة الثقافية والاجتماعية، فكانت شاعرة وناثرة يشار إليها بالبنان، وقد برعت طائفة ليست بالقليلة في قول الشعر من خلال موضوعاته المختلفة كالغزل والزهد والرياء والمديح والهجاء سواء كن من الحرائر أو من الجوارى.

(1) الطبري، تاريخ الطبري (ج1/150) و(ج6/611).

وقد كانت مشاركة المرأة استجابة للظروف المحيطة، حيث التأثير والتأثر بها، فقد كانت المرأة العربية على قدرة عقلية، ونشاط فكري مميز، ما خلف لنا بيانا مشرقا، وأدبا جميلا. وعلى الرغم من هذا فإن ما وصل إلينا من أدب النساء قليل جدا نسبة إلى أدب الرجل لعل ذلك يرجع إلى الأسباب الآتية:

1- عدم اهتمام رواة الشعر بشعر النساء، وانشغالهم برواية شعر الرجال، فقد نظر الكثير من الرواة والنقاد القدماء إلى أدب المرأة نظرة مغايرة عن نظرتهم لشعر الرجل. فهو لا يرقى إلى مستوى الأدب الذي تنتجه قرائح الرجال، ومن ذلك تعليق التنوخي على شعر عابدة بنت محمد⁽¹⁾ الذي قال فيه: "فهجته هذه المرأة بما تحقق عندي أنها صادقة فيه ؛ لأنه يليق بكلام النساء " ⁽²⁾.

2- غلبة نظم المقطوعات الشعرية سهلة الحفظ، والتناقل بين المجالس، وكان النقاد يرون هذا عيبا، حيث كانوا يفرحون بالشعر المهمل الطويل.

3- ألف الكثير من الأدباء كتباً عن النساء، كما ذكر الحموي في معجم الأدباء، لكن هذه الكتابات جاءت في أغلبها، حول أخبار النساء ومحاسنهن وأحوالهن، دون الاهتمام المركز في الجانب الأدبي، وجل ما ورد في هذه الكتب عبارة عن مقطوعات قصيرة أنشئت في موقف عابر.

4- النظرة الذكورية للمجتمع الجاهلي. 5- قلة ما قالته الشاعرات قياسا بالشعراء.

وعلى الرغم من هذه الأسباب، فإنه تجدر الإشارة إلى أن المرأة في عصور الأدب الأولى قد أبدعت في كتاباتها، لا سيما في العصر العباسي، وما كان ذلك إلا انخراطا في النشاط الفكري المتسارع، وتجاوبا مع الحالة الثقافية الراقية في ذلك العصر.

(1) هي عابدة بنت محمد الجهنية امرأة عم أبي محمد الحسن بن محمد المهلبى كانت أديبة شاعرة فصيحة

فاضلة روى عنها القاضي أبو علي المحسن التنوخي ومن شعرها:

شاورني الكرخي لما دنا النى... روز والسن له ضاحكه

فقال ما نهدي لسلطاننا... من خير ما الكف له مالقه

قلت له كل الهدايا سوى... مشورتى ضائعة هالقه

ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج16/314).

(2) التنوخي، نشوار المحاضرة (ج2/224).

وقد توافر في المرأة " قدرات خلاقية وحيوية ربما لا نجدها في الرجل؛ فقد منحها قدرة الله الرقة والعذوبة، وقد اقتضت وظيفة الأمومة أن تكون المرأة أكثر حساسية من الرجل، وأسرع استجابة للمؤثرات العاطفية والوجدانية، وكثيراً ما تهتدي عن طريق شعورها وبصيرتها إلى حقائق قد لا يستطيع الرجل أن يهتدي إليها بعقله وتفكيره المجرد، فالمرأة هي الواحة الخضراء في صحراء الحياة، والمرأة قصيدة الدهر"⁽¹⁾.

لم يغفل العرب المرأة، بل إنها برزت بمكانتها السامية في العصور القديمة ابتداء من العصر الجاهلي، فلم يغفل الشعراء الكبار مكانتها، كيف لا وقد احتلت صدور المعلقات، فهذا امرؤ القيس يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل⁽²⁾

وهذا طرفة⁽³⁾ يقول:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد⁽⁴⁾

ويقول زهير⁽⁵⁾:

-
- (1) معبدي، محمد بدر، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، (ص9).
 - (2) البطلوسي، شرح ديوان امرؤ القيس (ص 69).
 - (3) طرفة بن العبد، (نحو 86 - 60 ق هـ = نحو 538 - 564 م)، طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنتقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شاباً، في (هجر) قيل: ابن عشرين عاماً، وقيل: ابن ست وعشرين. أشهر شعره معلقته، ومطلعها: (لخولة أطلال ببرقة ثمهد) وقد شرحها كثيرون من العلماء. وجمع المحفوظ من شعره. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج3/225).
 - (4) طرفة بن العبد، الديوان (ص 30).
 - (5) زهير بن أبي سلمى، (000 - 13 ق هـ = 000 - 609 م)، زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. ولد في بلاد (مُرَيْنَة) بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى (الحوليات) أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم) ويقال: إن أبياته التي في آخر هذه القصيدة تشبه كلام الأنبياء. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج3/52).

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلّم (1)
ويقول عنتره (2):

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي (3)

من خلال الأبيات السابقة تتضح مكانة المرأة في تاريخ الأدب العربي القديم، وما كان لها من الحقوق والمكانة، فقد صورها الشعراء في صورة كريمة تليق بمكانتها، وكانت أول شيء يبدؤون به قصائدهم، ويزينون به أدبهم وشعرهم.

وكان لها حقوق وعليها واجبات، ومن أهم حقوقها على الرجل أن يحميها، ويمنع عنها الضيم، ويشعرها بأنها تعيش في حمى حقيقي، فتجد فيه كفايتها، وترى فيه ملجأها وحماها، ولم يكن هذا في حق الزوجة وحدها بل في حق كل نساء القبيلة، يقول حاتم الطائي (4):

وإني لأخزي أن ترى بي بطنه وجارات بيتي طاويات ونحف (5)

وكان عروة (6) يفخر بغض الطرف عن جاراته، فيقول:

(1) التبريزي، شرح القصائد العشر (ص 137).

(2) عنتره العبسي، (000 - نحو 22 ق ه = 000 - نحو 600 م)، عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، وكان مغرما بابنة عمه " عبلة " فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلا، وقتله الأسد الرهيص أو جبار ابن عمرو الطائي. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج 5/91).

(3) عنتره ابن شداد، الديوان (ص 11).

(4) حاتم الطائي، (000 - 46 ق ه = 000 - 578 م)، حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي القحطاني، أبو عدى: فارس، شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجودة. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طي) قال ياقوت: وقبر حاتم عليه. شعره كثير، ضاع معظمه، وبقي منه (ديوان - ط). صغير. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب والتاريخ. وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج 2/151).

(5) حاتم الطائي، الديوان (ص 70).

(6) عروة بن بالورد، (000 - نحو 30 ق ه = 000 - نحو 594 م) عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان: من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. قال عبد الملك بن مروان: من قال إن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد. ينظر الزركلي، الأعلام (ج 4/227).

وإن جارتني الوت رياح ببيتها تغالفت حتى يستر البيت جانبه (1)

ومما يدل على رفيع منزلتها ومكانتها، أنها تقلدت أرفع المناصب؛ فقد روى التاريخ أن كثيراً منهم وصلن إلى الملك والرئاسة، وعلى سبيل المثال لا الحصر (زنوبيا)⁽²⁾ ملكة تدمر، وهي من أصل عربي من بني السميدع، وقد خضعت لها القبائل، وضرب بها المثل في الكبرياء، وقيل: أعزّ من الزباء. (3) ونقرأ في القرآن الكريم عن سيرة (بلقيس) ملكة سبأ، وما لها من التجربة والحكمة وحنكة الرأي، إذ كانت تستشير قومها في كل معضلة، وتأخذ برأيهم في كل أمر.

وقد كانت المرأة من أوائل النقاد، إذ ارتبط تاريخ النقد العربي بقصة أم جندب وهي كما يقال أول من نقد الشعر، فقد ذكروا أن امرأ القيس نازع علقمة بن عبدة الشعر فقال علقمة: قد رضيت بامراتك أم جندب حكماً بيني وبينك. فحكماها. فقالت أم جندب لهما: قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على قافيه واحدة وروى واحد، فقال امرؤ القيس :

خليبي مرا بي على أم جندب لنقضني لبانات الفؤاد المعذب

- (1) عروة، الديوان (ص16) الوت رياح ببيتها: أي ذهبت به والفته.
- (2) الزبَاء، (000 - 358 ق هـ = 000 - 285 م)، الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان ابن أذينة بن السميدع: الملكة المشهورة في العصر الجاهلي، صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة. يسميها الإفرنج Zenobie وأمها يونانية من ذرية كليوباترة ملكة مصر. كانت غزيرة المعارف، بديعة الجمال، مولعة بالصيد والقتص، تحسن أكثر اللغات الشائعة في عصرها، وكتبت تاريخاً للشرق. وليت تدمر (وكانت تابعة للرومان) بعد وفاة زوجها (والعرب تقول بعد مقتل أبيها) سنة 267 م، ولم تلبث أن طردت الرومان وحاربتهم، فهزمت هيرقليوس القائد العام لجيش الإمبراطور غاليانوس، واستقلت بالملك، فامتد حكمها من الفرات إلى بحر الروم ومن صحراء العرب إلى آسية الصغرى، واستولت على مصر مدة. أما خاتمة أمرها فمؤرخو العرب متفقون على قصة، خلاصتها: أن الزباء قتلت جذيمة الوضاح ملك العراق فاحتال ابن أخت له اسمه عمرو بن عدي حتى دخل قصرها وهمّ بقتلها فامتصت سما قاتلاً وقالت (بيدي لا بيد عمرو!)
- (3) الميداني، مجمع الأمثال (ج2/43)، مثل رقم: 2596. والمخشري، المستقصى (ج1/243)، مثل رقم: 1036. والعسكري، جمهرة الأمثال (ج2/66)، مثل رقم: 1242.

وقال علقمة⁽¹⁾ :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً طول هذا التجنّب

فأنشداها جميعا القصيدتين. فقالت لا مرئ القيس: علقمة أشعر منك. قال: وكيف؟

قالت :

لأنّك قلت :

فلسوط أهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أهوج منعب

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقلك وزجرك، وأتعبته بجهدك.

وعلقمة قال :

فأدركهن ثانياً من عنانه يمر كمر الراح المتحلب

فلم يضرب فرسه بسوطه، ولم يمره بساق، ولم يتعبه بزجر⁽²⁾.

ومن هنا يظهر للقارئ تلك المكانة العظيمة التي حظيت بها المرأة لدى الشعراء، غير أنه لم يقتصر دور المرأة على أن تذكر في الشعر بالأسنة الشعراء بل كان لها دور مهم في صناعة الأشعار، وإن غلب عليها طابع الرثاء، والذي يضبط حالتها مع الآخر القريب كالأخ والأب والعم وغير ذلك.

وقد أشارت بعض كتب الأدب للعديد من الشاعرات في العصر الجاهلي، يُذكر منهن:

الخرنق بنت بدر⁽³⁾: وهي أخت طرفة بن العبد، رثت زوجها بشرا فقالت عند فقده:

(1) عَلْقَمَةُ الْفَحْل، (000 - نحو 20 ق هـ = 000 - نحو 603 م)، علقمة بن عبدة (بفتح العين والباء) بن

ناشرة بن قيس، من بني تميم: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. كان معاصرا لا مرئ القيس، وله معه مساجلات. وأسر " الحارث ابن أبي شمر الغساني " أخا له اسمه " شأس " فشجع به علقمة ومدح الحارث بأبيات، فأطلقه. له ديوان شعر، شرحه الأعم الشنمري.

(2) الأصفهاني، الأغاني (121/7).

(3) الخرنق بنت بدر: وهي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك، شاعرة جاهلية، أخت الشاعر الجاهلي، طرفة

بن العبد لأمّه. ينظر: الديوان، برواية أبي عمرو بن العلاء.

ألا أقسمتُ آسى بعد بشرٍ على حيٍّ يموتُ ولا صديقٍ⁽¹⁾

وما ذاك إلا لما يتصف به زوجها بشر، من صفات الشجاعة والإقدام والحمية، والكرم، تقول:

ألا ذهب الحلال في القفّراتِ ومن يملأ الجفان في الحجّرات

ومن يرجع الرمح الأصم كعُوبه عليه دماءُ القوم كالشقرات⁽²⁾

وتقول مفتخرة بزوجها:

لقد علمت جديلة أن بشرًا غداة مُربحٍ مُرّ التقاضي

غداة أتاهم بالخيل شعثاً يدقُّ نسورها حدُّ القضاض

عليها كلُّ أصيد تغليبي كـريم مُرَّيبِ الحدين ماضٍ

بأيديهم صوارمٍ مرهفاتٍ جلاها القين خالصةُ البياض

وكلُّ مُثَقَّفٍ بالكفِّ لـدنٍ وسابغةٍ من الحلقِ المُفاض

فقدارٍ معقلاً وأخاه حصناً عفيرَ الوجه ليس بذئ انتهاضٍ⁽³⁾

"قبشر بن عمرو سيد بني مرثد، وكان رجلاً ذا كبرٍ ونخوة"⁽⁴⁾.

(1) الخرنق، الديوان، رواية أبي عمرو بن العلاء (ص 39).

(2) المرجع السابق (ص 48 - 49). الحجرات: السنوات المجدبة، يطعم فيها الأضياف. الشقرات: مفردها الشقرة، وهي شقائق النعمان.

(3) الخرنق، الديوان، (ص 50 - 51). نسورها: بواطن حوافرها، القضاض: الحصى الصغار. الأصيد: المتكبر أو المغرور، أي الذي يرفع رأسه تيهًا وكبراً، ومن هنا قالوا: (الملوك الصيد). الصارم: السيف الثقيل. جلاها القين: صقلها وسنها الحداد. المثقف: الرمح المهدب المسوي، اللدن: الطري، المهترز، السهل السيطرة عليه. سابغة: واسعة. المفاضة: هي الثياب الفضفاضة. ليس بذئ انتهاض: أرادت الخرنق أنه أصبح جثة هامدة لا حراك لها.

(4) المرجع السابق (ص 33).

فالشاعرة تعدد صفات زوجها التي أحببتها فيه، والتي تحرص على ذكرها في شعرها، لما لها من أهمية في حياتها، فهو جواد كريم، يحمي الحرمات ويذود عنها، ويجالس عليّة القوم من الملوك والأمراء، تقول:

فكمّ بقلابٍ من أوصالٍ خرقٍ أخي ثقّةٍ وجُمُجمةٍ فليقِ
ندامى للملوكِ إذا لقوهم حُبُوا وسقوا بكأسهم الرحيق
همُ جدعوا الأنوفَ وأعبوها فما ينسأغُ لي من بعدُ ريقِي
و بيضٍ قد قعدنَ وكلُّ كحلٍ بأعينهنَّ أصبَحَ لا يليق
أضاع بضوعهن مُصابُ بشرٍ و طعنةُ فاتكٍ، فمتى تفيقي؟! (1)

جليلة بنت مرة (2): وينتهي نسبها إلى قبيلة بكر، تزوجها كليب، وقصتها مشهورة عند قتل أخيها جساس لكليب بسبب البسوس؛ التي أشعلت حرباً ضروساً بين العرب، صورت مأساتها يوم أن طردت من بيت زوجها فقالت:

يا ابنة الأقبام إن لمت فلا تعجلي باللوم حتى تسألني
فإذا أنت تبينت الذي يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن اخت امرئ ليمت على شقق منها ليه فاعذلي
جل عندي فعل جساس فيا فيا حسرتي عما انجلت أو تبخلي
فعل جساس على وجدي به قاطع ظهري ومدن أجلي

(1) الخزرق، الديوان (ص 41 - 42). الخزرق: الجواد التي يتخرق بالمعروف.

(2) جليلة بنت مرة: شاعرة جاهلية من بني شيبان بن ثعلبة أخت جساس بن مرة قاتل زوجها كليب، واسم زوجها وائل، وكان سيد ربيعة، وكان كثير الفخر بنفسه أمامها وكثير التعريض بأهلها حتى رماه أخوها جساس فقتله؛ بسبب ناقة خالته البسوس. ينظر: الزر كلي، الأعلام: (ج2/133)، وينظر: لويس شيخو، رياض الأدب في مرثي شاعر العرب (ج1/9)، وينظر: الجبوري، كامل، معجم الشعراء (ج1/419-420).

فأنا قاتلة أو مقتولة ولعل الله أن ينظر لي⁽¹⁾

فلعل هذا الرثاء ينقل تلك التجربة الشعورية الصادقة، حيث تجلت عاطفة المرأة التي تعبر تعبيراً حياً عن عواطفها الحزينة لمصرع زوجها بيد أخيها، حتى ضاع حاضرها ومستقبلها.
1- جنوب أخت عمرو ذي الكلب⁽²⁾: الشاعرة الباكية، التي عرفت برثائها الحزين، ونشيجها المؤلم، ولوعتها التي لا تنقضي.

2- ليلى الأخيلية⁽³⁾: وهي بنت عبد الله بن الرحالة، وهي من أشعر النساء، ولا يقدم عليها غير الخنساء، وهي مخضومة بين الجاهلية والإسلام، عاشت أكثر حياتها الشعرية زمن الأمويين، وأكثر أخبارها متصلة بهذه المرحلة وقد رثت الخليفة عثمان بن عفان فقالت:

أبعد عثمان ترجو الخير أمته وكان آمن من يمشي على ساق
خليفة الله أعطاهم وحولهم ما كان من ذهب جم وأوراق
فلا تكذب بوعد الله وارض به ولا توكل على شيء بإشفاق
ولا تقولن لشيء سوف أفعله قد قدر الله ما كل امرئ لاق⁽⁴⁾

ولهند بنت عتبة⁽⁵⁾ مرات كثيرة في أبيها المقتول يوم بدر، فتقول :

(1) يموت، شاعرات العرب (ص37- ص38).

(2) جنوب الهذلية: هي جنوب بنت العجلان بن عامر بن برد بن منبه إحدى بني كاهل بن هذيل وهي شاعرة جاهلية هذلية رثت أخاها عمراً ذا الكلب. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، (415/10)، وينظر: البصري، الحماسة البصرية (255/1).

(3) ليلى الأخيلية شاعرة فصيحة مقدمة بين شعراء وشاعرات العصر الإسلامي، والأموي. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص 206).

(4) ليلى الأخيلية، الديوان (ص 92).

(5) هند بنت عتبة: هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد مناف أم معاوية بن أبي سفيان، امرأة ذات جمال ومكانة في الجاهلية؛ وهي شاعرة فصيحة، لها مرات في قتلى بدر من المشركين، أسلمت يوم الفتح بعدما أسلم زوجها أبو سفيان. ينظر: القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج4/474)، وينظر: ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة (ج8/346).

أعيني جوداً بدمع سرب
تداعي له رهطه غدوة
يذيقونه حد أسـيافهم
يجرون منه عفير التراب
وكان لنا جبلاً راسياً
وقامت يهود بأسـيافها
عبيد أبي كربٍ تبع
وفي المقابل رأت في مقتل حمزة رضي الله عنه يوم أحد ثأراً لأبيها فقالت:

شفيت من حمزة نفسي بأحد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد
والحرب تعلقكم بشـؤبوب برد
حتى بقرت بطنه عن الكبد
من لذعة الحزن الشديد المعتمد
تقدم إقداماً عليكم كالأسد⁽²⁾

وتغضب أروى بنت الحارث⁽³⁾ من مقالة هند بنت عتبة في أحد فتزد عليها قائلة:

يا بنت جبار كثير الكفر
صـبحك الله قبيل الفجر
بكل قطاع حسام يفري
خزيت في بدر وغير بدر
بالحاشميين الطوال الزهر
حمزة ليثي وعلي صقري

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 128).

(2) المرجع السابق (ص 130).

(3) أروى بنت الحارث: وهي أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم أبنة عم الرسول (ﷺ)، وأمها غزية بنت قيس، وأروى صحابية مشهورة، وشاعرة فصيحة، لها رثاء في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولها أيضاً رثاء في أبيها الحارث، ينظر الإصابة في تمييز الصحابة: (ج7/8)، وينظر: الحياي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص4).

رام شبيب وأبووك غُدري فحضباً منه ضواحي النحر
هتك وحشي حجاب الستر ما للباغيا بعدها من فخر (1)

وكذلك بكت صفية بنت عبد المطلب⁽²⁾ أخاها حمزة يوم أحد، لكن بكاء المسلمات لم يكن أكثر من بكاء المشركات، ذلك لتقتهن بمكانة الشهداء الكريمة في الآخرة يقول أحمد الشايب "وكانت فيه - الرثاء - منافسة بين مكة والمدينة أيضاً، ولعل شاعر قريش كن أقوى فنا لحرقة الهزيمة وزوال العز التليد"⁽³⁾.

ونجد شعر الشوق للديار والمحبوب عند الشاعرة وجيهة بنت أوس الضبية⁽⁴⁾، التي ترى أنه لا طائل من اللوم والعتاب، فلا شيء يمحو الشوق والغرام والصابية من قلبها، كما أنها تبدي استغرابها من محبتها لأرض عشيرتها، ويغضها للأرض الجديدة التي حلت بها، وهذا نوع من عدم التصريح، ولو أن الريح توصل الرسائل لتمنت من ريح الجنوب أن توصل رسالتها لأحببتها، دون أن تهينها وتذلها بخلطها بالتراب، حرصاً منها على من تحب، تقول:

وعاذلة تغدو عليّ تلومني
فمالي إن أحببتُ أرضَ عشيرتي
فلو أنّ ريحاً بلّغت وحيّ مُرسِلِ
على الشوق لم تمخُ الصباية من قلبي
وأبعضتُ طرْفاءَ القصيبةِ من ذنبي
حفيّ لناجيتُ الجنوب على النقبِ

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 132).

(2) صفية بنت عبد المطلب: وهي السيدة صافية بنت عبد المطلب بن عبد مناف الهاشمية القرشية، عمّة النبي (ﷺ) وأمها هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي خالة رسول الله (ﷺ)، وصفية رضي الله عنها صحابية وشاعرة مخضمة لها شعر في الجاهلية والإسلام منه مرات في أبيها عبد المطلب ومرات في أخيها الحمرة بن عبد المطلب وأبنها الزبير بن العوام وقد ذكرت الباحثة ليلي الحياي مرثية لها قالت أنها في أخيها الزبير بن عبد المطلب، توفيت صافية في المدينة المنورة سنة 20هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج2/427)، وينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج8/213-214)، وينظر: عبد الرحمن المصطاوي، أعلام النساء (ص 140).

(3) ابن رشيقي، العمدة (2/145).

(4) وجيهة بنت أوس الضبية: شاعرة. أورد لها أبو تمام في "الحماسة" أبياتا في الحنين إلى وطنها، من رقيق الشعر. واستشهد البكري ببيت من شعرها على صحة اسم "النميرة" في ديار بني تميم، مما يدل على أنها جاهلية أو في أوائل العصر الإسلامي. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج8/111).

فَقَلْتُ لَهَا أَدِي إِلَيْهِمْ رِسَالَتِي وَلَا تَخْطِيهَا طَالَ سَعْدُكَ بِالْتَّرْبِ
فَإِنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالَ سَأَلْتُهَا هَلْ أَزْدَادُ صُدَّاحِ النُّمَيْرَةِ مِنْ قَرِيبٍ⁽¹⁾

إنها تعجب ممن يلومها في شوقها إلى وطنها، بل إن الملامة لتزيدها ولوعاً به، وما ذنبها أن تكلف بأرض عشيرتها وتقلّي غيرها؟ وإنما لتتمنى أن تقدر الريح على نقل نجواها، وتلطف وتظرف في تمنيتها أن تبلغ الريح تحياتها، وفي دعائها لها بالخير، راجية ألا تمس بتحيتها الثرى، وإنما لحفية بالريح الشمالية تسألها عن قومها أيقنربون؟ ومتى يقنربون؟⁽²⁾

وتشكو ليلى بنت لُكَيْزٍ⁽³⁾ من ألم الشوق الذي أذاب أحشائها كذوبان الرصاص في النار، فتقول:

لَمَا ذَكَرْتَ غُرَيْسًا غَالِنِي أَمَدِي حَتَّى هَمَمْتَ مِنَ الْبُلُوبِ بِإِعْلَانِ
تَرِيحِ الشُّوقِ فِي أَحْشَائِي ذَيْبٌ كَمَا ذَابَ الرَّصَاصُ إِذَا أُغْلِيَ بِنِيرَانِ
فَلَوْ تَرَانِي وَأَشْوَاقِي تُقَلِّبُنِي عَجَبْتُ بِرَأَقِ مِنْ صَبْرِي وَكُتْمَانِي⁽⁴⁾

ويأخذ الشوق هند بنت عصم السدوسية⁽⁵⁾، فتحن إلى موطنها، "وتصور حينها في أن الماء الذي تشرب منه لا يبيل أومها، وتود لو جاءها أحد بشرية من ماء وطنها لتعطيه أربعاً من وطن زوجها، ثم تقول إنها تشتعل شوقاً إلى ديار أهلها ومسقط رأسها، ويزيد شوقها اشتعالاً أنها يائسة من أوبة قريبة"⁽⁶⁾، تقول:

(1) التبريزي، شرح الحماسة (2/162)، مارديني، شواعر الجاهلية (ص310)، العذل: اللوم، الطرفاء: شجر، القصية: موضع بين خيبر والمدينة. الوحي: الإخبار. الحفي: الملح واللطيف. النقب: الطريق في الجبل. النميرة: هضبة بين نجد والبصرة بعد الدهناء. الصّدح: الصوت.

(2) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 651).

(3) ليلى بنت لكيز: هي ليلى بنت لكيز بن مرة بن أسد، بن ربيعة بن نزار، شاعرة جاهلية أسرها أحد أمراء العجم فامتعت على الزواج منه إلى أن جاء ابن عمها وخطيبها البراق بن روحان فأنقذها وتزوج بها. ينظر: الزركلي، الأعلام: (ج5/247)، وينظر: يموت، شاعرات العرب (ص32)، وينظر: الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م (ج4/246)

(4) مارديني، شواعر الجاهلية (ص 295).

(5) هند بنت عصم السدوسية، شاعرة جاهلية، كانت عند ربيعة بن غزالة الكندي، وكان عنيماً. ينظر معجم الشعراء (ص2272).

(6) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 651).

ألا لا أرى ماء المصَّبِح شافياً نفوساً إلى أمواهِ بقعاء نزعاً
فمن جاء من ماء السبيل بشرية فإن له من ماء لينة أربعاً
وقد زادني وجداً ببقعاء أنني رأيت مطيانا بلينة ظلُّعا⁽¹⁾

وهذه امرأة من أبان تزوجت في كلب رأت بكرةً من ديارها يحن إلى موطنه، فتشاركه مشاركة وجدانية، سببها شوقها إلى موطنها، تقول:

ألا أيها البكر الأبنائي إنني وإياك في كلب لمغتربان
تحنُّ وأبكي ذا الهوى لصبابة وإنَّا على البلوى لمصطحبان
وإن زماناً أيها البكر ضمَّني وإياك في كلبٍ لشرُّ زمان⁽²⁾

وهذه ميسون بنت بحدل⁽³⁾ تحن إلى بيتها، وبيئة أهلها فتقول :

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلي من قصر منيف
وبكر يتبع الأظعان سبقاً أحب إلي من بغل زفوف
ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف⁽⁴⁾

وهذه ليلي الأخيلية⁽⁵⁾ تبرع في مدح الحجاج، ومما قالت فيه:

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 106). نُزِعاً: مشتاقاً، المصَّبِح، وبقعاء، والسبَّال، ولينة أسماء مواضع. ظلُّعاً: مقيمة.

(2) الجاحظ، رسائل الجاحظ (ج 2/400)، ياقوت، معجم البلدان (ج 1/63).

(3) ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبى. أم يزيد بن معاوية تزوجها معاوية وطلقها من فرط حنينها إلى البادية. توفيت نحو سنة 80 هجرية. ينظر شاعرات العرب، (معجم البلدان ج 1/63).

(4) يموت، شاعرات العرب، (ص 157-158).

(5) لَيْلى الأَخِيلِيَّة، (000 - نحو 80 هـ = 000 - نحو 700 م)، ليلي بنت عبد الله بن الرحال بن شداد ابن كعب، الأخيلية من بني عامر بن صعصعة: شاعرة فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. وطبقها في الشعر تلي طبقة الخنساء. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج 5/249).

أحجاج إن الله أعطاك غاية	يقصر عنها من أراد مداها
أحجاج لا يقلل سلاحك إنما	المنايا بكف الله حيث تراها
أذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً	تتبع أقصى دائها فشفافها
شفافها من الداء العضال الذي بها	غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها	إذا جمحت يوماً وخيف أذاها
إذا سمع الحجاج صوت كتيبةٍ	أعد لها قبل النزول قراها
أعد لها مصقولة فارسية	بأيدي رجال يحسنون غذاها
أحجاج لا تعط العصاة مناهم	ولا الله يعطي للعصاة مناهم
ولا كل خلافٍ تقلد بيعة	فأعظم عهد الله ثم شرها(1)

وفي الهجاء ظهر هجاء الزوج كقول حميدة بنت النعمان (2) :

نَكَحْتُ الْمَدِينِيَّ إِذْ جَاعَنِي	فِيَا لَكَ مِنْ نَحْوَةِ غَاوِيَه
لَهُ ذَفْرٌ كَصَنَّانِ التِّيُوسِ	أَعْيَا عَلَيَّ الْمَسْكَ وَالْغَالِيَه
كُهُولٌ دَمَشَقٌ وَشَبَابَانَهَا	أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْجَالِيَه

(1) الأخبيلية، الديوان (ص120- ص122).

(2) حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي شاعرة دمشقية أصلها من المدينة. كان أبوها والياً على حمص تزوجت مرة بعد مرة رجالاً منهم روح بن زنباع وآخرهم فيض بن محمد بن الحكم وولدت له ابنة تزوجها الحجاج بن يوسف. توفيت حميدة نحو 85 هجرية. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص174) والحموي، معجم الأدباء (ج3/1227).

فَقَدْتُ الشَّيْخَ وَأَشْيَاعَهُمْ وَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَقْوَالِيهِ
تَرَى زَوْجَةَ الشَّيْخِ مَغْمُومَةً وَتَمْسِي لَصِحْبَتِهِ قَالِيَهُ (1)

وفي باب الغزل تصور خولة بنت ثابت (2) شوقها ولهفتها على محبوبها عمارة بن الوليد ابن المغيرة المخزومي، وقيل الشعر للفارعة بنت ثابت (3) في عبد الرحمن بن هشام المخزومي:

يَا خَلِيلِي نَابِنِي سَهْدِي لَمْ تَنْمِ عَيْنِي وَلَمْ تَكْدِ
فَشْرَابِي مَا أُسَيِّغُ وَمَا أَشْتَكِي مَا بِي إِلَى أَحَدِ
كَيْفَ تَلْخُونِي عَلَى رَجْلِي أَنَسِ تَلْتَمِذُهُ كَبِيدِي
مِثْلَ ضَوْءِ الْبَدْرِ صَوْرَتِهِ لَيْسَ بِالزَّمِيَّةِ الْنَكِيدِ
مَنْ بَنِي آلَ الْمَغِيرَةِ لَا خَامِلَ نَكْسٍ وَلَا جَحْدِ
نَظَرْتُ يَوْمًا فَلَا نَظَرْتُ بَعْدَ عَيْنِي إِلَى أَحَدِ (4)

ومن خلال النماذج السابقة يظهر دور المرأة في مواكبة الحركة الشعرية، لكن هذا لا يعني أبداً اقتصرها على مواكبة الحياة الحربية والدينية وما تبعها من حماسة وفخر وعتاب ورتاء وبكاء وغيرها، بل تطرقت إلى ألوان مختلفة منها الغزل، والمديح، والهجاء، وهي تلك الألوان التي طرقتها الرجل.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 177)، ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 98). الجالية: هم أهل الحجاز يجلون عنها نحو الشمال.

(2) خولة بنت ثابت بن المنذر بن عمرو بن حزام الأنصاري، أخت حسان بن ثابت، روى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن الأصمعي لها شعرا، ذكره في كتاب الأغاني، ونقله عنه أبو الفرج الأصبهاني بسنده إليه. ينظر الإصابة (ج 8/113).

(3) لم أجد لها ترجمة في كتب التراجم.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج 7/31).

الفصل الأول

الآخر القريب في شعر النساء في العصرين
الجاهلي والإسلامي

المبحث الأول

الأب

المطلب الأول: مكانة الأب عند ابنته

تتعلق البنت بأبيها منذ طفولتها تجد فيه حاميتها وعائلها وراعيها، فإذا ما تزوجت ظلت تحبه وتشتاقه، ولا شك أنها كانت تؤثر أباهما على زوجها "لأن روابط العاطفة في الجماعات الأولى كانت بين البنت وأبيها، وبين الأخ وأخته أقوى منها بين الزوج وزوجته"⁽¹⁾.

ومن مظاهر حبها لأبيها:

1- خوفها عليه من أن يقتل في الحرب، فتحاول أن تثنيه؛ لأنه رجلها وليس لها أب غيره، يقول سلامة بن جندل⁽²⁾:

تقول ابنتي إن انطلقك واحدا
إلى الروع يوما تاركي لا أباليا
دعينا من الإشفاق أو قدمي لنا
من الحدثان والمنية واقيا⁽³⁾

كما أنها تجد وحشة في بعده عنها لذلك تحاول أن تصرفه عن السفر، فإذا ما هم به، وعجزت عن تثنيه لجأت إلى الدعاء له ان يؤوب سالما:

تقول ابنتي وقد قريت مرتحلا
يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
ويقول:

تقول ابنتي حين جد الرحيل
أرانا سواء ومن قد يتم

(1) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 305).

(2) سلامة بن جندل، (000 - نحو 23 ق هـ = 000 - نحو 600 م)، سلامة بن جندل بن عبد عمرو، من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك: شاعر جاهلي، من الفرسان. من أهل الحجاز. في شعره حكمة وجودة. يعد في طبقة المتلمس. وهو من وُصَاف الخيل. له (ديوان شعر صغير مطبوع)، رواه الأصمعي. وأكثر المؤرخين على إنه (جاهلي قديم) مع أنهم يذكرون معاصرتهم لعمرو بن كلثوم. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج2/106).

(3) المرجع السابق (ص 306).

(4) القرشي، جمهرة أشعار العرب (ص 18)، البغدادي، خزنة الأدب (ج2/296).

أبانا فلا رمت من عندنا فاءنا بخير إذا لم ترم
ويا ابتلا لا تزل من عندنا فإنا نخاف بأن تخترم
أرانا إذا أضمرتك البلبا د نجفى وتقطع منا الرّحم (1)

يصور عواطف ابنته، من حبها له وشفقتها عليه، وشعورها بآلام اليتيم في بعباده، وإيثارها لقربه، وأنها تقنع من كل شيء، وترضى به ما دام أبوها بجوارها، وهي تتوجس أن يصيبه مكروه في رحلته، ولا طاقة لها باحتمال فقده ولن تجد بعده عطوفا أو معينا؛ لأنها على ثقة بأن الناس سيحفظونها، والأقارب سيهجرونها (2).

وظلت عاطفة البنوة إلى ما بعد العصر الجاهلي، وظلت البنيت تبكي بعباد أبيها، فحين خرج مالك بن الربيب (3) مع سعيد بن عثمان تعلقت به ابنته وبكت وقالت أخشى أن يطول سفرك، أو يحول الموت بيننا، فلا نلتقي، فأنشأ يقول:

ولقد قلت لابنتي وهي تبكي بد خيل الهموم قلبا كئيبا
وهي تذري من الدموع على الخد ين من لوعة الفراق غروبا
عبرات يكدن يجرحن ما جز ن به أو يدعن فيه ندوبا
حذر الحتف أن يصيب أباهما و يلاقي في غير أهل شعوبا
اسكتي قد حززت بالدمع قلبي طالما حز دمعن القلوبا

(1) ابن عبد ربه العقد الفريد (ج1/343).

(2) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، (ص 306- ص307).

(3) مالك بن الربيب، (000 - نحو 60 هـ = 000 - نحو 680 م)، مالك بن الربيب بن حوط بن قرط المازني التميمي: شاعر، من الظرفاء الأديباء الفتاك. اشتهر في أوائل العصر الأموي. ورويت عنه أخبار في أنه قطع الطريق مدة. وراه سعيد بن عثمان ابن عفان. بالبادية في طريقه بين المدينة والبصرة، وهو ذاهب إلى خراسان وقد ولّاه عليها معاوية (سنة 56) فأنبه سعيد على ما يقال عنه من العيث وقطع الطريق واستصلحه واصطحبه معه إلى خراسان، فشهد فتح سمرقند، وتنسك، وأقام بعد عزل سعيد، فمرض في " مرو " وأحس بالموت فقال قصيدته المشهورة، وهي من غرر الشعر، وعدتها 85 بيتا. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج5/261).

ففسى الله أن يدافع عنى ريب ما تحذرين حتى أووبا (1)

وإذا ما فجعا الدهر في أبيها حزنت حتى يمضها الحزن، وبكت حتى يحرقها البكاء،
فشقت جيبها، وخمشت وجهها، وحلقت شعرها، يقول لبيد:

تمنى ابتاي أن يعيش أبوهما و هل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذي تعلمانه ولا تخمشا وجهها ولا تحلقا الشعر

ويتوقع أبو ذؤيب الهذلي (3) ما تفعل بناته بعد موته من ضرب صدورهن
بالنعال، فيقول:

وقام بناتي بالنعال حواسرا وألصقن وقع السبت تحت القلائد
ويقول عبد مناف بن ريع الهذلي (5):

إذا تأوب نوح قامتا معه ضربا أليما بسبت يعلج الجلدا (6)

(1) ابن الريب، مالك، الديوان (ص 61). والأصفهاني، الأغاني (ج 317/22). الغروب: جمع الغرب؛ وهي الدلو العظيمة.

(2) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج 377/2).

(3) أبو ذؤيب الهذلي، (000 - نحو 27 = 000 - نحو 648 م)، خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية (سنة 26 هـ غازيا، فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان (رضي الله عنه) فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها. وقيل مات بإفريقية. أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، مطلعها: (أمن المنون وريبه تتوجع). ينظر: الزركلي، الأعلام (ج 225/2).

(4) الجاحظ، البيان والتبيين (ج 75/3).

(5) لم أجد له ترجمة في كتب التراجم.

(6) المبرد، الكامل (ج 46/4).

" والآباء في كل عصر على يقين من فجيعة بناتهم فيهم، وبكائنهم إياهم " يقول أبو فراس الحمداني⁽¹⁾ قبيل وفاته مخاطبا ابنته:

ابنتي لا تجزعي
كل الأنعام إلى ذهاب
نوحى علي بحسرة
من خلف سترك والحجاب⁽²⁾

أما إذا قتل أبوها فإنها تهب تشعل الحفيظة في صدور أوليائه، ليثأروا له فيشفوا بعض ما تجد من الحزن ولوعة الأسى، فقد حمست أمانة بنت كليب عمها المهلهل ليثأر له. يقول المهلهل⁽³⁾:

تسألني أمانة عن أبيها
وما تدري أمانة عن ضميري
فلا وأبي أمانة ما أبوها
من النعم المؤبل والجذور⁽⁴⁾

ثم إنها ترثيه فتصور فجيعتها فيه، وتعدد مناقبه، وتشد بمفاخره، ومن أمثلة ذلك أن هند بنت عتبة ترثي أباه يوم بدر بأن هلك أبيها لامثيل له، وأن الفجيعة التي نزلت بها تنسي

(1) أبو فراس الحمداني، (320 - 357 هـ = 932 - 968 م)، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربيعي، أبو فراس الحمداني: أمير، شاعر، فارس، وهو ابن عم سيف الدولة. كان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك - يعني امرأ القيس وأبا فراس - وله وقائع كثيرة، قاتل بها بين يدي سيف الدولة. وكان سيف الدولة يحبه ويجله وسيتصحه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، وقلده منبجا وحران وأعمالها، فكان يسكن بمنبج (بين حلب والفرات) ويتنقل في بلاد الشام. وجرح في معركة مع الروم، فأسروه (سنة 351 هـ فامتاز شهره في الأسر بروميته. وبقي في القسطنطينية أعواما، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة. قال الذهبي: كانت له منبج. وتملك حمص، وسار ليتملك حلب، فقتل في تدمر. وقال ابن خلكان: مات قتيلا في صدد (على مقربة من حمص). ينظر الزركلي: الأعلام(ج2/155).

(2) شيخو، مجاني الأدب في حقائق العرب (ج6/302).

(3) المهلهل (000 - نحو 100 ق هـ = 000 - نحو 525 م)، عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني جشم، من تغلب، أبو ليلي، المهلهل، شاعر، من أبطال العرب في الجاهلية. من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس الشاعر. قيل: لقب مهلهلا، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه. ينظر الزركلي: الأعلام، (ج4/220).

(4) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص309-ص310).

المفجوعات فجيعتهن، وتستدر دموعهن، مواساة لها، وأنها كانت تخشى هذا اليوم من قبل، ثم نزل بها ما خشيت، فطار عقلها وعزب رشدها (1)، تقول:

لله عينا مــــن رأى
يا رب بـاك لي غدا
هلـكـا كهلـكـ رجاليـة
قد كنت أحذر ما أرى
فـي النائبات وبـايـة
قد كنت أحذر ما أرى
فأنا الغداة موامـية
يا رب قائلـة غدا
يا ويح أم معاوية (2)

والمرأة يسرها أن يشبه ابنها أباه، قد تتسامى بمجد أبيها فتري من العسير على ابنها اللحاق به، تقول منفوسة بنت زيد (3) الخيل وهي ترقص ابنها حكيم بن قيس بن عاصم:

أشبهه أخي أو أشبهن أبـا
أما أبي فلن تنال ذاكـا
تقصر أن تناله يداكا (4)

(1) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص310).

(2) السيوطي، شرح شواهد المغني (ج1/411).

(3) هي زوجة قيس بن عاصم، ويقول بشير يموت: هي زوجة دريد بن الصمة سيد بني جشم وفارسهم أدرك الإسلام ولم يسلم، وقتل عام 8 هـ. ينظر شاعرات العرب (ص55).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص55).

المطلب الثاني: صورة الأب في شعر ابنته

أولاً: الصفات المعنوية:

أ- الشجاعة والإقدام:

لطالما تغنت البنت بشجاعة أبيها وفروسيته وإقدامه، " فالفارس الشجاع يحتل في قلوب أبناء قبيلته، وخاصة النساء مكانة سامية ؛ لأنه لا يتوانى عن تلبية استغاثاتهم الملهوفة في ميادين الوغى، فيدافع عنهم، وينقذهم، ويحميهم من كل أذى ؛ ليبرهن بذلك على شجاعة إنسانية نبيلة " (1)

تقول سليمة بنت المهمل (2):

أعينيّ جوداً بالدموع السوافح	على فارس الفرسان في كل صافح
ألا تبكيان المرتجى عند كل مشهد	يثير مع الفرسان نقع الأباطح
عدياً أخوا المعروف في كل شتوة	و فارسها المرهوب عند التكافح(3)

فالشاعرة تبكي بحرقة على والدها، فهو فارس الفرسان في كل مشهد من مشاهد الحرب، وهو في المقدمة حين تستعر الحرب، ويشند أوارها، ويرتفع غبارها، وتبلغ القلوب الخناجر، وتضيق الأرض بما رحبت، فيلوذ الناس به، فمن مثله يحمي الديار، ويرهب الأعداء.

وفي موضع آخر تقول:

لما سمعت بنعي فارس تغلب	أعني مهمل قاتل الأقران
المرتجى عند الشدائد إن غدا	دهر حرون معضل الحدثان

(1) الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام (ص84).

(2) سليمة بنت المهمل: هي سليمة بنت عدي بن ربيعة التغلبي الملقب بالمهمل، شاعرة جاهلية من قبيلة تغلب، كان أبوها من أبطال العرب بالجاهلية، وكان ميالاً إلى اللهو، والشراب، ولكنهُ انقطع عنهما ليثأر لأخيه كليب. ينظر: بشير يموت، شاعرات العرب (ص56)، وينظر: عمر كحالة، أعلام النساء (ج2/258).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص39). وعبدالرحمن، ديوان شعر الأيام (ص188).

والمستغيث به العباد ومن به
يحمى الذمار وجورة الجيران
عليه إن توسط معضل
حصن العشيرة ضارب بجران (1)

وترى ابنة قيس بن جابر أن أباه فارس قومه، الذي يزود عنهم، ويحمي ديارهم،
وينهض بعظيمات الأمور في وقت الشدائد، وهذا ما لا يخفى على أحد ؛ لذلك فإن فقده أطل
ليلها وأشاب رأسها، وتقول:

تطاول ليلى للهموم الحواضر
و شيب رأسي يوم قيس بن جابر
فإن تكن الأحداث أودت بفارس
عظيم المساعي في السنين الغواير
فقد علمت أحياء زيد وكاهل
و عمرو وودان قبيل الغواضر
بأن أبي قد كان فارس قومه
به تتقي حد الرماح الشواجر (2)

وهو فارس الفرسان وليس مثله أحد في ركوب الخيل الأصيلة، تقول ابنة مالك بن بدر:

لله عينا من رأى مثل مالك
عقيرة قوم إن جرى فرسان
إذا سجت بالرقمتين حمامة
أو الرس تبكي فارس الكتفان (3)

وتقف الحمراء بنت ضمرة⁽⁴⁾ مزهوة بأبيها، مفتخرة بنسبها، وهي في أشد الظروف
وأحلكها، غير مبالية بالموت حرقا، فحين سألها عمرو بن هند قائلا: أنت أعجمية ؟ قالت: ما
أنا بعجمية ولا ولدني الأعاجم، ثم أنشأت تقول:

إني بنت ضمرة بن جابر
ساد معدا كابر عن كابر

فأغضب قولها عمرو فأمر أن تلقى في النار و ذلك يوم أواره⁽⁵⁾. فالشاعرة ترى أن
أباها سيد معد كلها، أي سيد العرب، ولا ترى كفوًا له، لذلك تجاهر بالفخر به والانتساب إليه.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص40). وعبدالرحمن، ديوان شعر الأيام (ص189).

(2) مارديني، شواعر الجاهلية، (ص207). الغواضر : قوم بني غاضرة. الشواجر : الرماح المتداخلة.

(3) السابق، (ص207- ص208). وعبدالرحمن، ديوان شعر الأيام (ص 358).

(4) هي الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، شاعرة جاهلية، كانت زوجة لهوذة بن جروم
بن نهشل بن دارم، قتلها عمرو بن هند حرقا يوم أواره. ينظر: مارديني، شواعر الجاهلية (ص246).

(5) مارديني، شواعر الجاهلية (ص246).

أما دخنتوس بنت لقيط فترى أن والدها خير خندق كلها، فهو أشدها على العدو، وأفكها للرقاب ، وهو قائدهم في الملمات، وفارسهم الذي يطأ مواطن الأعداء، فيفرون منه فرار الطير عن أربابها، تقول:

بكر النعي بخير خند	دف كهلهما وشبابها
وأضرها لعدوها	وأفكها لرقابها
وقريعهما ونجيبها	في المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو	ك وزين يوم خطابها
وأتمها نسبا إذا	رجعت إلى أنسابها
مرعى عمودا للعشي	رة رافعنا لنصابها
ويطأ مواطن للعدو	وكان لا يمشي بها
فعل المدل من الأسو	د لحينها وتبابها
فرت بنو أسد فرا	ر الطير من أربابها (1)

لقد أجملت الشاعرة في البيت الأول، حين قالت خير خندق، فالإنسان لا يكون خير قومه، إلا إذا كان أشجعهم وأكرمهم، وأحسنهم نسبا، وأعلاهم شرفا وسؤددا، حتى يغدو عمود العشيرة الذي ترتكز عليه.

لقد أجادت الشاعرة في إبراز هذه الصورة الاجتماعية بألفاظ قليلة، ذات معان عدة متلاحقة، فأبوها من خير الناس، وهذه الصورة صورة معنوية فريدة وبارعة فقد ركزت الشاعرة على صفة النسب والشرف، لأن الإنسان عندما يفخر بنسبه وأصالته، فهو يفخر به من طريق أبيه، ففيه يصل إلى شرف القبيلة وبدونه ينقطع نسبه ويفقد شرفه؛ لذلك نجد الشاعرة تفصل في شرف أبيها، فهو يشرب بكأس الملوك وسادة القوم.

(1) مارديني، شواعر الجاهلية (ص251- ص252). القريع: السيد المختار. المطبقات: الشدائد والسنون المجبدة. ناب القوم: رئيسهم. ذب عن الأمر : دافع عنه. المدل: الواثق من نفسه. الحين: الهلاك. التباب: الفساد والهلاك.

وهذا الشرف يكون في ذروته عندما يكون المرؤ شجاعاً؛ لذلك ذكرت الشاعرة أن أباها لشجاعته يمشي منفرداً في الصحراء، وفي مواطن لا يطؤها إلا الأبطال الشجعان لتعقب الأعداء، والأخذ بالثأر منهم، وهذا فعل الأسد الشجاع الذي يعود عليه إقدامه بالهلاك وملاقاة المنية (1).

وتقول آمنة بنت عتبية بن الحارث (2) أن والدها فارس شجاع لا يهاب الحرب ولا يخشاها، حازم الرأي، وعلى مثله من الرجال يحق للنساء أن يشققن الجيوب، ويلطمن الخدود، ويخمشن الوجوه، وهذا من عادات الجاهلية، تقول:

على مثل ابن مية فانياه
وكان أبي عتبية شمرياً
ضروباً باليدين إذا اشمعت
عوان الحرب لا ورعا هيوبا (3)

وتصف أم حكيم البيضاء (4) والدها بالليث في بأسه وشدته، وإقدامه في أوقات الشدة، فهو المرتجى في الملمات، إليه يفرح الناس، وبه يحتمون:

وليثا حين تشجر العوالي
عقيل بن كنانة والمرجى
ومفرعها إذا ما هاج هيج
تروق له عيون الناظرات
إذا ما الدهر أقبل بالهنات
بداهية وخصم المعضلات (5)

(1) ينظر: الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام (ص93).

(2) آمنة بنت عتبية بن الحارث بن شهاب اليربوعي، كان والدها فارس بني تميم، قتل في يوم خؤ وهو أحد أيام العرب المعروفة، فرثته بأبيات.

(3) عبد الرحمن، ديوان شعر الأيام (ص294).

(4) أم حكيم البيضاء ابنة عبد المطلب بن هاشم عمه النبي صلى الله عليه وسلم، وتوأم أبيه عبدالله، كانت عند كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أروى بنت كريب وهي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه، لم تشتهر كأخواتها. ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات (ج1/81).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص119).

والأب شديد في الحرب، حاد كالسيف، وفي المخاصمة يكون له فصل الخطاب، يفحم الخصوم ويغلبهم، تقول عاتكة بنت عبد المطلب⁽¹⁾:

و سيف لدى الحرب صمصامة و مردي المخاصم عند الخصام⁽²⁾

وتفخر عمرة بنت دريد بن الصمة⁽³⁾ بأبيها الذي قتل يوم حنين، وتعير بني سليم الذين لم يحفظوا الجميل وقابلوه بالعقوق، فلطالما حمى والدها نسائهم وفك وثاقهن، ولبي دعوة الملهوف منهم، ودفع عنهم عظام الامور، حين اشتد عليهم الأمر وبلغت النفوس التراقي، تقول:

لعمرك ما خشيت على دريد	ببطن سميرة جيش العناق
جزى عنا الإله بني سليم	بما فعلوا وعقتهم عقاق
وأسقانا إذا قدنا إليهم	دماء خيأهم عند التلاقي
فرب كريمة أعتقت منهم	وأخرى قد فككت من الوثاق
ورب منوه بك من سليم	دعائك فقد أجبت بلا رماق
ورب عظيمة دافعت عنهم	وقد بلغت نفوسهم التراقي
فكان جزاؤنا منهم عقوقا	وهما ماع منه مخ ساقى ⁽⁴⁾

(1) عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم: شاعرة، لها في ديوان (الحماسة) أبيات مختارة، وهي من عمات النبي صلى الله عليه وسلم. اختلف في إسلامها، والثابت أنها كانت يوم وقعة بدر (سنة 2 هـ - 624 م) بمكة، مع مشركي قريش. وقال ابن سعد: أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج3/242).

(2) المرجع السابق، (ص 115)

(3) عمرة بنت دريد بن الصمة، شاعرة مخضمة، لها شعر في رثاء والدها دريد بن الصمة، قتل أبوها في غزوة حنين وهو على الكفر في السنة الثامنة للهجرة. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص 57).

(4) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 179).

ب - الكرم:

حرصت المرأة الشاعرة على إبراز صفة الكرم والفخر بها، وخاصة أن العربي يحرص على إكرام الضيف، واغاثة الملهوف، وفك العاني، وإطعام الجائع، لذلك نجد مثل هذه الصفات حاضرة في شعر النساء، تقول سلمى في رثائها لأبيها المهلهل:

عديا أخوا المعروف في كل شتوة
رمته بنات الدهر حتى انتظمنه
وفارسها المرهوب عند التكافح
بسهم المنايا إنها شر رابح
وقد كان يكفي كل وغد مواكل
ويحفظ أسرار الحليل المناصح (1)

إن والد الشاعرة كريم، في أوقات يكون فيها الكرم عزيزا، فالعرب تفتخر بالإطعام في وقت الشتاء، حيث الجذب وصعوبة العيش، وضيق الرزق (فالشتوة) التي ذكرتها الشاعرة تعني المجاعة؛ لأن الشتاء يكون سببا في يبوسة العشب وجفاف الضرع (2)، فالشمال رياح باردة ينذر معها الطعام ويشح، ويغدو الأصحاء ضعافا، ويغلب الهزال على النعم، وفي هذا الوضع القاسي يتجلى كرم الوالد الذي يقدم كرمه لكل هؤلاء الناس وهم في تلك الحالة البائسة، فهو جواد إلى درجة الإيثار، يترك بموته فراغا هائلا، ولوعة مريرة (3).

وتستمر الشاعرة في تعداد القيم الخلقية لأبيها وتذكر نوعا آخر من الكرم يتجاوز الضيافة والإطعام وهو وهو فك الأسرى والعانيين، حيث عد العرب هذه الصفة من مراتب الكرم الكبيرة:

كأن لم يكن في الحي حيا ولم يرح
ولم يدعه في النكب كل مكبل
إليه عفاة الناس أو كل رائح
لفك إسار أو دعا عند صالح
ستسلوك يا ابن الأكرمين الججاج
بكيك إن ينفع وما كنت بالتي

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 56).

(2) ينظر: اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي (ص 356).

(3) ينظر: الخطيب الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام (64- ص 65).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص 56). الججاج: مفردا ججاج وهو السيد السمح الكريم.

" تريد أن المنايا قد أصابته وكأنها لم تعرف قدره، فهو بين قومه حي كبير لعظم منزلته بينهم، والناس والضيوف والمحتاجون يقصدونه عند المساء، فالشاعرة في وثيقتها هذه تستعمل أسلوبا جاهليا في الرثاء وهو معاتبة القدر" (1).

ويمثل هذه القيم مدحت عمرة بنت دريد والدها حين قالت:

فرب كريمة أعتقت منهم و أخرى قد فككت من الوثاق
ورب منوه بك من سليم دعائك فقد أجبت بلا رماق (2)

و تحرص دخنتوس بنت لقيط على إبراز هذه الصفة، وهي تعدد مآثر أبيها فتقول:

وبخيرها نسا نسا إذا عدت إلى أنسابها
وأضرها لعدوها وأفكها لرقابها
ويعولها ويحوطها ويذب عن أحسابها (3)

وأما هند بنت عتبة فأنها تصف والدها في كرمه بالجبل الخصب الذي لا يجوع ساكنه:

وكان لنا جبلا راسيا جميل المراح كثير العشب (4)

فهو كريم سمح الخليقة، حسن العشرة، ويتجلى كرمه في الشدائد وحين يشتد القحط بالناس:

يطعم يوم المسغبة يدفع يوم المغلبة (5)
وتقول:

من كل غيث في السنين إذا الكواكب خاوية (6)

(1) عبد، قاسم، مرثي النساء في عصري ما قبل الإسلام و صدر الإسلام (ص 55).

(2) ابن طيفور، بلاغات النساء (179).

(3) مارديني، شواعر الجاهلية (ص 251). ويموت، شاعرات العرب (ص 51).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص 128). المراح: المكان الذي تنبت فيه الإبل.

(5) المرجع السابق (ص 128).

(6) المرجع نفسه (ص 129).

ووالد أروى بنت عبد المطلب كريم جواد، مكرم لأسرته، ميرز بين أهله وعشيرته،
تقول في وصفه:

طويل الباع أبيض شيطمي أغرر كأن غرته ضياء
وكان هو الفتى كرما وجودا وبأسا حين تنسكب الدماء (1)
وتقول:

ما زال أبيض مكرما لأسرته رحب المحاسن في خصب وفي
و تصف أم حكيم البيضاء والدها بالغيث في سخائه وعطائه وكرمه، وذلك حين تشتد السنون،
ويعم ويعم المحل والجذب ويغد البذل:

ألا يا عين جودي واستهلي ويكي ذا الندى والمكرمات
طويل الباع شيبة ذا المعالي كريم الخيم محمود الهبات
وصولا للقراصة هبرزيا وغيثا في السنين المحلات (3)
وهو مع كرمه وسخائه في الشدائد، وصلته لأرحامه، فإنه لا ينفق إلا من المال الحلال، حيث
لا يدخل الخبث ماله

المال والمجد التليد فضول صون وابتذال
العز واليزاد الكثي ر وإنسها كمها الرجال
التارك المال الخبي ث وباذل الكسب الحلال (4)
أما أميمة بنت عبد المطلب (5) فتمدح والده مدحا مغلفا بطابع ديني، فهو من يكرم ضيوف بيت

(1) يموت، شاعرات العرب، (ص 120). الشيطمي : طويل الجسم من الفتیان.

(2) المرجع السابق (ص 120).

(3) المرجع نفسه (ص 118- ص 119). الهبرزي : الجلد النافذ، وتعني الأسد أيضا.

(4) المرجع نفسه (ص 128).

(5) أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والدة عبد الله، وأم المؤمنين زينب، وعبيد الله، أسلمت، وهاجرت، قال ابن سعد: أطعمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أربعين وسقا من تمر خيبر. ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء (ج2/274).

الله الحرام، وهذا لا يتأتى إلا للسادة الكرام، الذين يعدلون أقواما في علو همتهم، وعظيم عطائهم، ثم تصفه وصفا آخر وهو الكرم الدائم، الذي لا ينقطع على مدار العام، فبيته مشرع الأبواب للغرباء وذوي الحاجات في الشدائد والكربات، فكرم والدها يتجلى حين يعز المطر، وتملح الأرض، وتجف المراعي، ويعم القحط، ويقل المال. تقول:

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد
ومن يألف الضيف الغريب بيوته
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى
فقد كان زينا للعشيرة كلها
و ساقى الحجيج والمحامي عن
إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
فلم تنفك تزداد يا شبية الحمد
و كان حميدا حيثما كان من حمد (1)

لقد حاز والدها الحمد والمجد وأصبح قبلة للضعفاء، والمساكين، والغرباء يألفون بيته ويغشونه ليل نهار، لذلك حق له أن يسود قومه صغيرا ويرعاهم كبيرا حتى زانهم وفاتهم بكرمه وجوده وكرمه وعطائه ولو كان أحد مخلد لمجده وعطائه لخدل لكن لا سبيل لذلك، تقول صفة ابنته مبررة بكائها عليه:

أرقت لصوت نائحة بليل
ففاضت عند ذلكم دموعي
على رجل كريم غير وغل
على الفياض شبية ذي المعالي
طويل الباع أبيض شيطمي
رفيع البيت أبلج ذي فضول
عظيم الحلم من نفر كرام
فلو خلد امرؤ لقديم مجد
لكان مخلدا أخرى الليالي
على رجل بقارعة الصعيد
على خدي كمنحدر الفريد
له الفضل المبين على العبيد
أبيك الخير وارث كل جود
مطاع في عشيرته حميد
وغيث الناس في الزمن الجرود
خضارمة ملاوثة أسود
و لكن لا سبيل إلى الخلود
لفضل المجد والحسب التليد (2)

(1) يموت، شاعرات العرب، (ص 118).

(2) المرجع السابق (ص 116).

وتفخر خالدة بنت هاشم بن عبد مناف⁽¹⁾ بكرم والدها وجوده، وسيادته وشرفه، فهو غياث الناس في شدتهم، ومطرهم في جذبهم، وهو ملاذهم في كل أمر ألم بهم. تقول:

عين جودي بعبرة وسجوم
عين واستعبري وسحي وحمي
هاشم الخير ذي الجلالة والحم
وربيع للمجتدين ومزن
واسفحي الدمع للجواد الكريم
لأبيك المسود المعلوم
د وذو الباع والندى المعلوم
ولزاز لكل أمر جسيم⁽²⁾

وتطلب أروى بنت الحباب⁽³⁾ من الأرامل والأيتام أن يبكوا الرجل الذي يغيبهم ويقضي حاجاتهم فهو الكريم الجواد:

قل للأرامل واليتامى قد ثوى
أودى ابن كل مخاطر بتلاده
الراكبين من الأمور صدورها
لا يركبون معاهد الأذئاب⁽⁴⁾
فلتبك أعينها لفقد حباب
و لنفسه بقيا على الأحساب

وتقول ناجية بنت ضمضم⁽⁵⁾ أن والدها هو الذي يهب المال في وقت تحل الدواهي والمصائب، وحين يشتد البرد، ويقل المطر، ويكثر القحط، وهو في هذه الظروف القاسية مأوى الأرامل والأيتام، تقول:

- (1) خالدة بنت هاشم بن عبد مناف، من قریش: شاعرة من الحكيمات في الجاهلية. كانت تسمى (قبة الديباج) لها رثاء في أبيها، وأبيات في شأن آخر. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج2/301).
- (2) المرجع السابق، (ص 113).
- (3) أروى بنت الحباب، شاعرة جاهلية، كان والدها من أكرم الناس بدأ وأرفعهم خلقاً، فلما مات رثته بأبيات. ينظر: معجم الشعراء (ص 476).
- (4) المرجع السابق (ص 105).
- (5) ناجية بنت ضمضم المري، هي أخت هرم بن ضمضم كانت من شاعرات العرب الذين يحضرون الوقائع ويحرضون على القتال ولها أشعار قالتها في أخوها هرم -المذكور- حين قتله ورد بن حابس العبسي في حرب داحس والغبراء. ينظر: العاملي، الدر المنثور (ص 512).

الواهب المال التلاد
ويكون مدرهنا إذا
واحمر آفاق السماء
وتعذر الآمال حتى
لا تلة ترعى ولا
أفيتها مأوى الأرامل
ومثله قول بنت أبي الجدعاء (2) في أبيها:

ليبيك أبي الجدعاء ضيف معيل
وأرملة تغشى الندي فترمل (3)
ومن للضيف وللفقير، وللأرملة، ولغيرهم ممن أعوزهم الأمر، واشتدت بهم الحاجة،
ليس لهم إلا والدها، ولذلك هم أحق من يبكي عليه.

ومن كرم الوالد تحقيق التكافل الاجتماعي والقضاء على الطبقة في المجتمع فلا غني
ولا فقير، وتقول الخزق بنت خفان في والدها وقومها:

لا يبعدن قومي اللذين هم
و الخالطين نحيثهم بنضيرهم
سم العداة وآفة الجزر
و ذوي الغنى منهم بذوي الفقر (4)

وتكني السماء بنت الكميت التغلبية (5) عن كرم والدها، بأن الأضياف كثر ليلا ونهارا،
حتى ألفهم الكلب، فلم يعد ينبج على طارق بسحر، وتبالغ في مدحه بالكرم حين ذكرت أنه يفك
العاني الأسير ويفنديه، وهذا كرم عظيم، وهمة عالية، وهو مع هذا وذلك، لا يقبل الضيم على
أي حال. تقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 48). والجاحظ، البيان والتبيين (ج1/162). والأبيات عنده منسوبة لابنة
وثيمة بن عثمان.

(2) لم أف على ترجمة لها.

(3) الشمشاطي، الأنوار والمحاسن (15).

(4) البصري، الحماسة البصرية (ج1/227).

(5) لم أف على ترجمة لها.

إذا الكلب لم ينبج من الليل ساريا
عدوا ولم يطلق من الكبل عانيا
أبى الضيم مجنيا عليه وجانيا (1)

هل خبرت أيّ فتى كان أبي
فهلا فداك الموت من لم يضر له
إذا صر برديه حمائل سيفه

ت- الفصاحة والبيان:

إذا كانت الشجاعة والإقدام، والبذل والعطاء والسخاء، من الخلال المستحبة في الرجل عامة، وفي الأب خاصة، فإن المرأة أعطت هذه الصفات جزءا لا يستهان به من شعرها، فعددتها مزهوة بأبيها فخورة به، مجاهرة بكل محاسنه، لأن في شرفه شرف لها وفي طيب ذكره طيب نكرها. إلا أنها لم تفضل الصفات الأخرى التي لطالما افتخر بها العرب وحرصوا عليها، ومن هذه الصفات، الفصاحة والبيان، وفضل الخطاب، والقدرة على المحاججة، وسرعة البديهة، واستحضار الحجة والدليل، وافحام الخصم.

تقول ناجية بنت ضمضم في أبيها:

نا ويكفينا العظيمة
نزلت مجلحة نميمة (2)

الواهب المال التلادل
ويكون مدرهنا إذا

والمدره هو لسان القوم، والمتحدث باسمهم في الملمات الكبرى لذلك قالت: نزلت مجلحة، والمجلحة هي: الداهية الكبرى، ولا يكون المرء لسان قومه إلا إذا كان أفصحهم قولا، وأحسنهم رأيا وأدفعهم حجة وأسرعهم بادرة، وأجملهم نادرة، ثم تقول:

إذا تفوضح في الخصومة
وفضل خطبته الحكيمه
والتجانذب في الحكومه (3)

والدافع الخصم الألد
بلسان لقمان بن عاد
أجمتهم بعد التدافع

(1) المرزباني، أشعار النساء (ص 103).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 48).

(3) المرجع السابق (ص 48).

إن والدها في فصاحته وبيانه، وحضور حجته، وسرعة بديهته، يشبه لقمان بن عاد في فصاحته وبيانه، ولذلك يفحم خصمه، ويثبت حقه، ويغلب عدوه.

وتفتخر عاتكة بنت عبد المطلب بفصاحة أبيها، وقدرته على إفحام خصومه بقولها:

وسيف لدى الحرب صمصامة و مردي المخاصم عند الخصام⁽¹⁾

ووالد دخنتوس بنت لقيط سيد قومه، ورئيس وفودهم، والناطق باسمهم عند الملوك، وما ذلك إلا لبيانه وفصاحته وقوة حجته:

وقريعهها ونجبيها في المطبقات ونابها

ورئيسها عند الملوك ك وزين يوم خطايها⁽²⁾

وتفتخر أروى بنت عبد المطلب بفصاحة والدها ورجاحة عقله وسداد رأيه بقولها:

أقرب الكشح أروع ذو فضول له المجد المقدم والسناء

ومعقل مالك وربيع فهد وفيصلها إذا التمس القضاء

إذا هاب الكمأة الموت حتى كأن قلوب أكثرهم هواء

مضى قدما بذني رأي مصيب عليه حين تبصره البهاء⁽³⁾

فوالدها جمع بين الجود والكرم، والشدة والبأس، والفصاحة والبيان ورجاحة العقل، وحسن التصرف والتدبير، فهو ذو رأي مصيب فيصل في القضاء والمحاكمة ودفع الخصوم.

ث - الشرف السيادة وعرافة النسب:

إن الشرف والسؤدد من أهم الصفات التي حرص العربي على الفخر بها، " لأنها من أسمى مقومات وجوده في مجتمعه، وهذا ما وعته شواعرنا فرحن يذكرن كل بهذه في مراثيهم، ويجمعونها إلى غيرها من المناقب والمكارم كي يرسمن صورة متكاملة للمرثي في أشعارهن"⁽⁴⁾.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 115)

(2) مارديني، شواعر الجاهلية (ص 251). ويموت، شاعرات العرب (ص 74).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 120).

(4) يعقوب ومحفوظ، الرثاء لدى شواعر العرب في العصر الأموي (ص 112). النكس: المقصر عن غاية النجدة والكرم. السنيد: الدعوى. الجرود: الممحل شديد القحط. الوصوم من الناس: الذي ينسبه عيب.

تقول صفيّة بنت عبد المطلب في رثاء والدها قبل وفاته بطلب منه:

أرقت لصوت نائحة بليل
ففاضت عند ذلكم دموعي
على الفياض شبيبة ذي المعالي
صدوق في المواطن غير نكس
طويل الباع أبيض شيطمي
رفيع البيت أبلج ذي فضول
كريم الجد ليس بذئ وصوم
عظيم الحلم من نفر كرام
فلو خلد امرؤ لسبيل مجد
لكان مخلداً آخرى الليالي

على رجل بقارعة الصعيد
على خدي كمنحدر الفريد
أبيك الخير وارث كل جود
ولا شخب المقام ولا سنيد
مطاع في عشيرته حميد
وغيث الناس في الزمن الجرود
يروق على المسود والمسود
خضارمة ملاوثة أسود
ولكن لا سبيل إلى الخلود
لفضل المجد والحسب التليد⁽¹⁾

لقد أحسنت الشاعرة في ذكر فضائل أبيها حيث جمعت بين الحسب وعراقة النسب، والشرف والسيادة، والكرم، والبذل، والعطاء، والشجاعة، والإقدام، والحلم ونثرتها في الأبيات بمهارة وإتقان مع جزالة في اللفظ وسلامة في المعنى، ويمثل هذا تذهب برة بنت عبد المطلب⁽²⁾ وتقول:

أعيني جوداً بدمع درر
على ماجد الجد واري الزناد
على شبيبة الحمد ذي المكرمات
على ماجد الخيم والمعتصر
جميل المحيا عظيم الخطر
وذئ المجد والعز والمفتخر

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 115 - ص 116). النكس: المقصر عن غاية النجدة والكرم. السنيدي: الدعوي. الجرود: الممحل شديد القحط. الوصوم من الناس: الذي بنسبه عيب. خضارمة: كثيرو العطاء. ملاوثة: مفردها ملاث وملوث وهو السيد الشريف. التليد: القديم.

(2) هي برة بنت عبد المطلب، شاعرة جاهلية، رثت والدها في حياته بطلب منه، ولم أجد لها ترجمة في كتب التراجم.

و ذي الحلم والفضل في النائبات
كثير المفاخر جم الفخر
له فضل مجد على قومه
منير يلوح كضوء القمر⁽¹⁾

فقد جمع والدها المفاخر كلها فهو ماجد، سليل مجد وعظمة، حليم كريم، 9+ عزيز شريف سيد قومه ومبعث فخرهم، ومن مثل أبيها ؟. وقد غدا زينا للعشيرة كلها، تشرف به كما يشرف بها، فقد كسب المكرمات كلها صغيرا، وما زالت مكانته تعلو، وشرفه يزداد، حتى غدا راعيا للعشيرة والمحامي عنها. تقول أميمة بنت عبد المطلب:

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد
وساقي الحجيج والمحامي عن
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى
فلم تنفك تزداد يا شيبية الحمد
أبو الحارث الفياض خلى مكانه
فلا تبعدن إذ كل حي إلى فقد
فقد كان زينا للعشيرة كلها
وكان حميدا حيثما كان من حمد⁽²⁾

وتقول أم حكيم البيضاء إن والدها أورثهم مجدا، وسؤددا، وعزا، وهو خير ما يورث الرجال:

فلئن هلكت لتورثن
من خير ما يرث الرجال
المال والمجد التلي
د فضول صون وابتذال
العز والزداد الكثير
وانسها كمها الرجال⁽³⁾

و تثير أروى بنت الحارث⁽⁴⁾ إلى شرف والدها وسرف قومه وعلو مكانته ومكانتهم:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص115). الخيم: الطبيعة والغريزة. المعتصر: الجود عند المسألة.

(2) المرجع السابق (ص118).

(3) المرجع نفسه ص119.

(4) أروى بنت الحارث: وهي أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابنة عم الرسول (ﷺ)، وأمها غزية بنت قيس، وأروى صحابية مشهورة، وشاعرة فصيحة، لها رثاء في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولها أيضا رثاء في أبيها الحارث، ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج7/8)، وينظر: الحياي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص4).

من آل عبد مناف إن مهلكه ولو رأيت رغوب الدهر يعصيني

من اللذين متى ما تغش ناديهم تلقى الخضارمة الشم العرائين (1)

وأما سليمة بنت المهمل فتزى أن والدها حاز أعلى مراتب الشرف والسيادة حين تقول:

فأذهب اليك فقد حويت من العلى يا ابن الأكارم أرجح الرجحان (2)

فهو كريم من بيت كريم وآباء كرام أي سليل شرف وبيت عز.

وترثي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والدها بقولها:

قد رزينا به محضا خليفته صافي الضرائب والأعراق والنسب

فذكرت صفاء النسب والسلالة، وخلوها من الهجنة، وهذا تأكيد على عراقة النسب وأصالته.

ج - الحياء:

الحياء صفة مستحبة في الرجل، ولكن من غير ضعف ولا جبن وقد كان الرسول

صلى الله عليه وسلم أشد حياء من الفتاة في خدرها، وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه. " (4)

وتقول ليلي الأخيلية في توبة:

وتوبة أحياء من فتاة حبيبة و أجراً من ليث بخفان خادر (5)

والمتتبع لشعر المرأة يجد هذه الصفة نادرة الذكر، لأن الرجل في ظنها يوصف بالبأس

والشدة، والشجاعة والإقدام، والجرأة، وأما الحياء فهو صفة أنثوية تتصف بها النساء دون الرجال.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 121).

(2) المرجع السابق (ص 39).

(3) الحياي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص 169).

(4) البخاري (6102، ج 9/230)، مسلم (2320).

(5) الأخيلية، الديوان (ص 80).

ومن بين الشاعرات اللاتي مدحن الأب بصفة الحياء أروى بنت عبد المطلب، حيث تقول:

بكت عيني وحق لها البكاء على سمح سجيته الحياء (1)

فالحياء صفة متأصلة في والدها، حتى غدت سجية من سجايها عرف بها.

ح- الصدق في القول والفعل:

تجمع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين صفتين لأبيها، واحدة شاملة لكل جميل مستحب من الصفات، وهي (خير الخلق)، والثانية الصدق، فهو الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى. تقول:

فأنت والله خير الخلق كلهم وأصدق الناس حيث الصدق

وتصف صفة بنت عبد المطلب والدها بالصدق في المواطن كلها فتقول:

صدوق في المواطن غير نكس ولا شخب المقام ولا سنيد (3)

وفي موضع آخر تفخر بأن آباءها صادقون إذا عاهدوا، ولا يغدرون لأن الغدر منقصة وعار، وهذا لا يليق بقوم جمعوا المناقب الحسان ولهم السيادة والقيادة، والإمارة في قريش. تقول:

ألا من مبلغ عني قريشا ففيمما الأمر فينا والإمار

لنا السلف المقدم قد علمتم ولم توقد لنا بالغدر نار

وكل مناقب الخيرات فينا وبعض الأمر منقصة وعار (4)

وتصف خالدة بنت هاشم بن عبد مناف والدها بالصدق في كل حال، وخصوصا في

الشدة والبأس، تقول:

صادق البأس في المواطن شهم ماجد الجد غير نكس ذميم

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 120).

(2) الحياي، ديوان أشعار النساء (ص 169)

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 116).

(4) المرجع السابق (ص 115).

غالبى مشمر أحوذى باسق المجد مضرهى حللم⁽¹⁾

لقد أكثرى شواعر الجاهلىة والإسلام من الءءء عن الأءساب والأنساب، والشجاعة والإقام، والفروسىة والبولة، والكرم والءوء، والمآثر الطىبة، والسىاءة والقىاءة، والءم وءسن الءبىر، إلى ءىر ذلك من الصفاىء الءى كانت مقءسة فى العصور القءىمة، والءى كان العرب ىءرصون علىها وىءبون أن ىمءءءوا بها.

ءانىا- الصفاىء الماءىة:

لم ءءر الشاعرة العربىة فى العصرىن الجاهلى والإسلامى من وصف الأب و صفا حسىا، وذلك لما للأب من مكانة ذات جلال وهىبة، مما ءعلها ءركز على الصفاىء المعنوىة، إلا أننا نءء بعض الملامء الءى ءءرءها بعض الشواعر، ءكرا موءزا، ولكنه ىعطى صورة عن الملامء الجسءىة الءى ءءبءها البنء فى والءها. ءقول أروى بنء عبء المءلب واصفة أبىها:

أءر كان ءرءه ضىاء	ءوئل الباع أبىض شىظمى
له المءء المقءم والسناء	أءب الكشء أروع ءو فضول
قءىم المءء لىس به ءفاء	أبى الضىم أبلىء هبـرـزى
علىه ءىن ءبصره البهاء ⁽²⁾	مضى قءما بءى رأى مصىب

وصفء الشاعرة عدة أوصاف ءلقىة، ءىء أن والءها أبىض اللون، وصفة البىاض مءبىة، وىءرص علىها العرب ءءىرا، لأنها ءللىل على صءة النسب، وشرف السلالة، كما أنهم كانوا ىءشاءمون من اللون الأحمر لأنه مءءاة للشءك فى نسب الولء.

ءقول نءبلة بنء ءباب⁽³⁾ فءورة بلون ابءها:

(1) ىموء، شاعراء العرب (ص 113).

(2) المءء السابق (ص120). شىظمى: ءوئل الجسم. أءر: أبىض. العرة: شعر الجبءة. أءب : ءقىق الءصر. الكشء : من السرة إلى المءن. أبلىء : طلىق الوجه. وهو بىاض ما ببىن الءابىبن. هبـرـزى : كل ءمىل وسىم عنء العرب.

(3) نءبلة بنء ءباب بن ءلىب بن مالك ابن عمرو بن زىء مناة بن عامر الضءىان، من بنى النمر بن قاسء: أم العباس (ءء الءفاء العباسىبن) بن عبء المءلب ابن هاشم. قىل: ضاع ابءها العباس وهو صءىر، فنءرء إن وءءءه أن ءكسو " البىء الءرام " بالءربر والءبىاء، فوءءءه، فكانء أول امرأة فى العرب ءسء البىء ءلك ءكسوة. ىنظر: الزركلى، الأعلام (ء9/8).

أضاللت أبيض لودعيًا لم يكن مجلوبيًا ولا دعيًا
و تقول:

أضاللت أبيض كالخصاف للفتية الغر بني مناف (1)
و تفخر أم حكيم بنت عبد المطلب من أم ابنها من فتية بيض البشر فتقول:

ظني به صدق وبر يأمر ويأتمر
من فتية بيض صبر يحمون عورات الدبر (2)
إن اللون الأحمر كان مدعاة للتشائم، وسببًا للتشكيك في النسب، فهذا شاعر من بني عامر بن صعصعة يشكك في نسب ابنه، فيقول لزوجته:

لا تمشطي رأسي ولا تفليني وحاذري ذا الريق في يميني
واقتربي دونك أخبريني ما شأنه أحمر كالهجين

خالف ألوان بني الجون

فردت عليه مفتخرة بأبائها قائلة:

إن له من قبلي أجدادا بيض الوجوه كرمًا أنجادا
ما ضرهم إن حضروا أمجادا أو كافحوا يوم الوغى الأندادا
ألا يكون لونهم سوادا (3)

لذلك نجد أروى تكرر صفة البياض في البيت مرتين حين قالت (أبيض _ أغر). ثم جعلت غرته تشع نورا وضياء، ثم تنتقل إلى وصف آخر، وهو أن الأب دقيق الخصر، جميل المحيا، طلق الوجه، أبلج؛ والبلج بياض ما بين الحاجبين، ثم تختم بأنه وسيم تتاسقت صفاته فأورثته جمالا فريدا، ونسبا أنيقا بعيدا عن الشك والريبة.

(1) البلاذري، أنساب الأشراف (ج2/52).

(2) البغدادي، المنمق في أخبار قریش (ص352).

(3) المرزباني، أشعار النساء (ص246).

وتجمع أميمة بنت عبد المطلب بين الجمال الخلقي والخلقي في بيت واحد، حيث أعطته صفة خلقية جامعة دون تفصيل لمواضع الجمال الجسدي، وكذلك أجملت الصفة الخلقية، دون تفصيل أيضا، وكأنها تقول أن والدها وصل إلى درجة الكمال في كل شيء، وتقول:

فقد كان زينا للعشيرة كلها وكان حميدا حيثما كان من حمد (1)

وأما أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، فوالدها لجمالها أصبح محط إعجاب النساء، تقول في جمع بين الشجاعة والإقدام، والجمال الجسدي، وكأنها تريد أن تخلق لوالدها صورة متكاملة:

وليثا حين تشجر العوالي تروق له عيون الناظرات (2)

وتكرر أروى بنت عبد المطلب، صفة البياض في اصرار على الجمع بين جمال الوجه والجسد، وشرف الأصل وعراقة النسب، وذلك لخلق النموذج المتكامل الذي ترجوه لوالدها، تقول:

ما زال أبيض مكراما لأسرته رحب المحاسن في خصب وفي لين

وتصف برة بنت عبد المطلب ابن هاشم والدها بأنه جميل المحيا، فنقول:

على ماجد الجد واري الزناد جميل المحيا عظيم الخطر (4)

وتمزج صفة بنت عبد المطلب بين صفات والدها الخلقية والخلقية مزجا بديعا والهدف هو خلق نموذجاً فريداً، تفرد بكل حسن من الصفات، ففاق أقرانه وتقدم على أبناء زمانه فأصبح أهلاً للسيادة والقيادة. تقول:

طويل الباع أروع شيطمي مطاع في عشيرته حميد

رفيع البيت أبلج ذي فضول وغيث الناس في الزمن الجرود

(1) يموت، شاعرات العرب (ص118)

(2) المرجع السابق (ص119).

(3) المرجع نفسه (ص120).

(4) المرجع نفسه (ص117).

كريم الجد ليس بذني وصوم يروق على المسود والمسود (1)

لقد وصفت والدها ببسطة الجسم، فهو رجل طويل الجسم، أبيض البشرة، يفوق جميع الناس، السادة والمسودين.

وأما خالدة بنت هاشم بن عبد مناف، فتقول إن والدها طويل الجسم معتدل القوام، وسيم جميل:

شمرّي نماة للعز صقر شامخ البيت من سارة الأديم

شيظمي مهذب ذي فضول أبطحيّ مثل القنّاة وسيم (2)

وبعد فيمكن القول إن المرأة العربية أكثر من الصفات المعنوية للأب، ولكنها كانت مقلة في الوصف الحسي الخلفي، وذلك أن العرب كانت تحب أن تمدح مدحا نفسيا معنويا، وليس مدحا ماديا، لذلك نجد قلة من الشاعرات من وصفت الأب وصفا خلقيا، وقد ذكرت في هذا البحث بعض من النماذج الشعرية التي وقفت عليها.

بعد الحديث عن صورة الأب في شعر المرأة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي، يمكن القول إن البنت أحبت والدها حبا شديدا، ملك عليها جميع جوارحها، لذلك ليس عجا أن تطلق لسانها في التغني بصفاته الخُلقية والخُلقية، وتتألق في وصف هذه الصورة، لتخلق منه نموذجا فريدا متميزا عن أقرانه، غير أنها أكثر من الصفات المعنوية، لأنها محط الفخر وموضع الاهتمام، وميدان التنافس بين العرب. وكانت مقلة في الوصف الخُلق الحسي، لأنها تناسب النساء أكثر من الرجال، والمجال هناك أوسع وأرحب، لكنها تعرضت للصفات التي توحى بعراقة الأصل وصحة النسب.

ثم إنني لم أجد في النصوص الشعرية للمرأة العربية في العصرين شعرا تسيئ فيه البنت لأبيها، أو تتبرم من سوء معاملته، بل كان جل الشواهد الشعرية تدل على حب عظيم للأب، ملك على البنت فؤادها وجوانحها، فأطلقت لسانها معبرة عما يدور في خلدائها، ويعانق شغاف قلبها، مزهوة بأبيها مباهية به.

(1) يموت، شاعرات العرب، (ص 116).

(2) المرجع السابق (ص 113).

المبحث الثاني:

الابن

المطلب الأول: الأم:

أولاً: مكانة الأم:

الأم هي منبت فتيان العرب، ومعقد فخرهم، ومثار حميتهم، ومستقى أدبهم، وملادهم إن حذبهم الدهر، ومفرعهم إن أشكل عليهم الأمر، ومقولهم إن فدح الخطب، وز المعين، تلك هي الأم العربية موطن ثقة الأب، وفخر الابن، وعز العشيرة. لقد نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بفخره _ وهو أكرم العالمين خليفة، وأكملهم كمالاً _ إلى أمهاته في الجاهلية فقال: " أنا ابن العواتك من سليم " (1).

وشبيهه بذلك قول علي _ كرم الله وجهه _ للأشعث بن قيس وقد خطب إليه ابنته: غرك ابن أبي قحافة إذ أعطاك ابنته وليست من الفواطم من قريش، ولا العواتك من سليم (2). وهناك قبائل عربية كثيرة تنسب إلى أماتها مثل: خندف، وجديلة، وبجيلة، ومزينة، وعاملة، وعفراء، وباهلة، وسلول، وبنو رقاش، وبنو طفاوة، وبنو العبدية، وبنو الطهية، وبنو حطي.

الأم المنجبة: كما انتسب الملوك إلى أمهاتهم ، فالمناذرة نسبوا إلى أمهم ماء السماء، وهي ماوية بنت عوف بن جشم ملكة العراق، وأم ملوكها، وإليها ينتهي جلال الجمال، وجمال الخلال، وعنها ورث ملوك العراق سناء الشرف ومضاء الذكاء، وبها كانوا يعتزون وبإسمها يقسمون (3).

كما امتدح العرب الأم المنجبة، فعرفوا لها قدرها ورفعوا من شأنها وحفظوا لها حقها لأنها تلد وتربي، وتغرس طبيبات الخلال وأحسن الخصال، فهي تنشىء أبناءها على علو الهمة، وبعد الغاية، وحسن الخلق والشجاعة والإقدام، والكرم والبذل والعطاء والحلم، فحق لها بعد ذلك أن يضرب بها المثل.

(1) ينظر: ابن وهب، الجامع في الحديث (ص 43).

(2) ينظر: عفيفي، المرأة العربية (ج 671). وينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 89).

(3) ينظر: مهنا، المرأة في شعر الصعاليك، (ص 148).

فقال العرب:

"أنجبت من مارية" (1)، وأنجب من فاطمة بنت الخرشب" (2) " وأنجب من أم البنين" (3)، و " أنجب من خبيئة" (4) و "أنجب من عاتكة" (5).

الأم الحرة: أغرم العرب بأن يفخروا بنسبهم، وأن يشيدوا بأبائهم، وأولعوا أيضاً بأن يباهوا بأمهاتهم ويزهوا بحريتهن وعراقة نسبهن (6)، يقول جعفر بن علبة الحارثي (7): إن الحرب والكره لا يكشفها إلا ابن حرة شجاع لأنه بريء من شوائب الهجنة فصار كرم أهله مهيجا لأنفته ومشجعا له على الاستبسال:

لا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها (8)

ويفخر القتال الكلابي بأمه عمرة بنت حرقة من ربيعة:

لقد ولدتني حرة ربيعة من اللاء لم يحضرن في القيظ دندنا (9)

-
- (1) الميداني، مجمع الأمثال (4292، ج411\2). والزمخشري المستقصى (1643، ج384\1).
 - (2) الميداني، مجمع الأمثال (4293، ج411\2). والزمخشري المستقصى (1643، ج383\1).
 - (3) الميداني، مجمع الأمثال (4295، ج412\2). والزمخشري المستقصى (1639، ج382\1).
 - (4) الميداني، مجمع الأمثال (4296، ج412\2). والزمخشري المستقصى (1641، ج383\1).
 - (5) الميداني، مجمع الأمثال (4296، ج412\2). والزمخشري المستقصى (1642، ج384\1).
 - (6) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص79).
 - (7) جعفر بن علبة الحارثي كان في أيام هشام بن عبد الملك واستعدت بنو عقيل عليه لدماء كانوا يطلبونه بها فأخذ جعفر وقتل صبوراً، وجعفر يكنى أبا عارم وهو القائل لما هموا بقتله:
إذا ما أتيت الحارثيات فانعني... لهن وخبرهن أن لا تلاقيا
وقد قلوبني بينهم فإنها... ستضحك مسروراً وتبكي بواكيا.
ينظر: المرزباني، معجم الشعراء (ص380).
 - (8) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، (ص79 _ ص80). التادلي، الحماسة المغربية (ج1/667)
 - (9) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دندن: ما اسود من نبات، والمراد أنها لا تحتطب كالإماء. القائل الكلابي (000 - نحو 70 هـ = 000 - نحو 690 م)، عبيد بن مجيب بن المضرحي، من بني كلاب بن ربيعة: شاعر فتاك، بدوي، من الفرسان، يكنى أبا المسيب أدرك أواخر الجاهلية، وعاش في الإسلام إلى أيام عبد الملك بن مروان. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج4/190).

ويقول:

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي
أما الإمام فلا يدعوني ولدا
إذا تحدث عن نقضي وإمراري
لا أرضع الدهر إلا ثدي واضحة
إذا ترامى بنو الاموان بالعار
لواضح الخد يحمي حوزة الجار
تحت العجاجة ضرب غير عوار⁽¹⁾
من آل سفیان أو رقاء يمنعها
ويقول الشنفرى مفتخرا بأمه:

أنا ابن خيار الحجر بيتا ومنصبا
وأمي ابنة الأحرار لو تعلمينها⁽²⁾
و يفخر ربيعة بن عبد يا ليل بأمه قلابة الملقبة بالذبية :

إنني لمن أنكرني ابن الذبابة
كريمة عفيفة منسوبة⁽³⁾
الانتساب لها:

انتسبت بعض القبائل إلى أمهاتها حتى غدا اسم الأم علما عليها، وقد سبق ذكر اسم هذه القبائل ولا يقل نسب الأفراد إلى أمهاتهم كثرة عن نسب القبائل إلى أمهاتها، وقد ألف محمد بن حبيب كتابا في من نسب إلى أمه من الشعراء، وذكر فيه (39) شاعرا من بينهم (36) شاعرا جاهليا. ومن بين الكثر الذين نسبوا الى أمهاتهم، عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم وخفاف بن ندبة، وقيس بن منقذ، وربيعة بن عبد يا ليل، وسواد بن وهب وغيرهم الكثير.

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب (ج1/49). القالي، الأمالي (ج2/225).

(2) ديوان الصعاليك (ص53).

(3) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص90). هو ربيعة بن عبد يا ليل بن سالم بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسى وهو ثقيف، وأمه تسمى الذبابة وهو شاعر فارس جاهلي. ينظر: البكري، سمط اللآلي، (ج1/792).

ويقول شبيب بن البرصاء الذي نسب إلى أمه:

أنا ابن برصاء بها أجيب هل في هجان اللون ما يعيب⁽¹⁾

وانتسب الحارث بن الأعرج الغساني إلى أمه مارية، يقول حسان بن ثابت:

لله در عصاة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل⁽²⁾

وانتسب عمرو بن المنذر إلى أمه هند، فعرف بعمر بن هند، يقول عمرو بن كلثوم:

بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

بأي مشيئة عمرو بن هند نكون لقياكم فينا قطينا⁽³⁾

وانتسب الأحنف ابن قيس لأمه فخرا بها فقال:

أنا ابن الزافرية أرضعتني بشدي لا أجـد ولا وضيم

أتمنى فلم تنقض عظامي ولا صوتي إذا اصطك الخصوم⁽⁴⁾

ثانيا: مظاهر حب الأبناء له:

كان العرب شديدي التعلق بأمهاتهم، حفظوا لهن صنيعهن، وأدركوا لهن حقوقهن، ويروهن على خير ما يبرر الولد والديه، ولعلمهم كانوا أكثر برا بالأمهات، وحبوا عليهن من برهم وحبهم على الآباء، لأنهن أضعف، وأشد حاجة إلى الحب والعطف، وأكثر لصوقا بالطفل من الأب، ويظهر أن هذا شعور عام في الناس.

(1) الأندلسي، سمط اللآلي (ج1/631). وابن سلام، طبقات فحول الشعراء (ج2/727).

(2) ابن ثابت، حسان، الديوان (ص184).

(3) الزوزني، شرح المعلقة (ص213). قطينة : خدم.

(4) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/70). الخالدي، حماسة الخالدين (ص93).

لقد حرص الابن على حماية الأم من كل ظلم ومهانة، بجرأة وأنفة وذلك حتى تحيا شريفة عفيفة، عزيزة كريمة، فقد قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هند حين أراد الأخير أن يستذلها، وفي ذلك يقول مفتخرا في معلقته:

تهددنا وأوعدنا رويدا متى كنا لأمك مقتونيا⁽¹⁾

و يقول أفنون بن صريم التغلبي :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم أمي أمه بموفق

فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا فأمسك من ندمانه بالمخنق

وجلله عمرو على الرأس ضرية بذى شطب صافي الحديدة رونق⁽²⁾

وهم يفنون بالأم كثيرا، إشعارا بأنها أعز انسان عندهم وهذا إعزازا وإجلالا لها، وفخر بمقامها⁽³⁾، يقول عباس بن مرداس⁽⁴⁾ في مدح حليس النصري بعدما ثأر له من قاتل أخيه:

فدى لك أمي إذ ظفرت بقتله وأقسم أبغي عنك أما ولا أبأ⁽⁵⁾

وقد يقرون مع الأم عزيزا آخر في مقامها مثل الخالة، يقول حسان بن ثابت مفتخرا بانتصار الأوس على الخزرج:

(1) ابن كلثوم، الديوان (ص79) الزوزني، شرح المعلقات (ص214). المقتوين : خدمة الملوك.

(2) الجاحظ، الحيوان (ج3/69).

(3) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص124).

(4) عباس بن مرداس بن أبي عامر بن جارية [2] بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث ابن حبي بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور السلمي، وقيل في نسبه غير ذلك. يكنى أبا الهيثم، وقيل: أبو الفضل، أسلم قبل فتح مكة ببسير، وكان العباس من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب من قومه، فأسلموا وأسلم قومه. ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، (ج3/64).

(5) المرجع السابق (ص124).

فِدَى لِبَنِي النَّجَارِ أُمِّي وَخَالَتِي غَدَاةَ لَقُوهُمْ بِالْمُتَّقَةِ السُّمْرِ (1)

و يقول حذيفة بن أنس الهذلي (2):

فدى لبني لحيان أمي وخالتي بما صنعوا بالجزع ركب بني كعب (3)

وهم أيضا يسمعون لأمهاتهم فيأخذون بأرائهن ويستجيبون لمشورتهن، فعندما هجا بشر بن أبي خازم أوس بن حارثة الطائي وذكر أمه سعدى، أغار أوس على نوقه ففر، ثم جاء إليه فخيره بين قطع لسانه، أو الحبس حتى الموت، أو قطع أطرافه، فقالت له أمه يا بني لا يمحو ما قال غيره، فقال لها: ماذا أصنع؟ فقالت: تكسوه حلتك، وتحمله على راحلتك، وتعطيه مائة ناقة، فإنه لا يمحو هجاءه إلا مدحه (4). ففعل، فقال بشر: لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها:

إلى أوس بن حارثة بن لأم ليقضي حاجتي ولقد قضاها

فما وطئ الحصى مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها (5)

كما أنهم يستعطفون الأخوة الأشقاء بأن ينادوهم بآبِنِ الأُمِّ، لعظيم قدرها في نفوسهم، فهي الحبيبة العزيزة الغالية، يقول الشنفرى (6):

(1) ابن الأثير، الكامل (ج1/589).

(2) حذيفة بن أنس الهذلي، أحد بني عمرو بن الحارث من بني هذيل عاش في الجاهلية وصدر الإسلام، ونظم في الفخر والهجاء.

(3) الحموي، معجم البلدان (ج2/480).

(4) ينظر: الحوفي المرأة في الشعر الجاهلي. (ص125)

(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب (ج1/187). ابن طيفور، بلاغات النساء (ص141).

(6) الشنفرى، (000 - نحو 70 ق هـ = 000 - نحو 525 م)، هو عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يمني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدائهم. وهو أحد الخلاء الذين تبرأت منهم عشائريهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريبا من عشرين خطوة. وفي الأمثال: "أعدى من الشنفرى" وهو صاحب "لامية العرب" التي مطلعها: "أقيموا بني أمي صدور مطيكم... فأني إلى قوم سواكم لأميل"

شرحها الزمخشري في "أعجب العجب" المطبوع مع شرح آخر منسوب إلى المبرّد، ويظن أنه لأحد تلاميذ ثعلب. ينظر: الأعلام (5/85).

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل (1)

و تقول أم حاتم الطائي (2) في لومها لأختها على كرمها:

وماذا ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركي يا ابن أم الطباع (3)

ثالثاً: مظاهر حب الأم لأبنائها:

إذا كان الأولاد قد مجدوا أمهاتهم، وباهو بعراقة نسبهن، وإذا كان العرب قد عظموا المنجبات وضربوا بهن مثلاً عالياً يحتذى في مجتمع يقدر الأم، ويجل المرأة، فإن في تراثهم وآثارهم الأدبية ما يكشف عن حب الأم لبنيتها فقد أحسنت تربيتهم، وإعدادهم، مدركة الواجبات نحوهم (4)، ويتجلى هذا الحب في عدة أمور منها:

1- التربية الحسنة:

تتجلى تربية الأم لأبنائها في مظهرين:

1-المظهر الأول التربية الجسمية:

أ- فالمرأة تحرص على أن يولد الولد معافى سليماً صحيحاً ومن أجل هذا كانت لا تحمل إلا في طهر، وذلك لاعتقادهم أن الحمل في أعقاب الحيض، أو قبيل الحيض ينتج ولداً سقيماً (5).

(1) ابن الشجري، مختارات شعراء العرب (ج18\1).

(2) هي غنية بنت عفيف، لم ترد لها ترجمة سوى أنها أم حاتم الطائي أشهر كرماء العرب، وهي من الكرم والجد. كانت فياضة اليد فلا تبقى شيئاً، فبدت ثروتها على السائلين والضيوف، فحجر إخوتها عليها مالها، حتى إذا وجدت ألم الفقر أعطوها طائفةً من إبلها، فجاءتها امرأة تسألها، فقالت لها: دونك هذه الإبل فخذها، فوالله لقد عضني الجوع مالا أضيع معه سائلاً. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص91). وابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (ج6/142).

(3) الطائي، الديوان (التمهيد) (ص28).

(4) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص112).

(5) المرجع السابق (ص112).

يقول أبو كبير الهذلي⁽¹⁾ في وصف ابن زوجته تأبط شرا إن أمه حملت به وهي طاهر
ليس بها بقية من حيض:

ولقد سربت على الظلام بمنغشم جلد من الفتیان غير منقل
ومبراً من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء معيل⁽²⁾

وكان العرب يظنون أن المرأة إذا حملت وهي غضبي مكرهة وغير مستعدة لفراش كان
الولد لا يطاق، يقول الشاعر:

تنسّمثها غضبي فجاء مسهداً وأنفع أولاد الرجال المسهد⁽³⁾

ويقول أبو كبير إن زوجته حملت وهي غير مستعدة للفراش، لأنها فزعة، فنشأ محموداً
مرضياً لم يدع أحد عليه بالهلاك:

ممن حملن به وهن عواقد حبك النطاق فشب غير مهبل

وتقول أم تأبط شرا: حملت به في ليلة ظلماء، وإن نطاقي لمشدود. ونقول: لقد حملت
به في ليلة مظلمة وتحت رأسي سرج، وعلى أبيه درع.

ب- ثم إنها تفتخر أنها تضع جنينها وضعا سليماً، صحيحاً لا عسر فيه والولادة السليمة عند
العرب أن يخرج الرأس قبل الرجلين، وكانت المرأة تحرص على وقت الحمل الأفضل حتى

(1) أبو كبير الهذلي الشاعر ذكر عن أبي اليقظان أنه أسلم، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أحل لي
الزنا، فقال: "أحب أن يوتي إليك مثل ذلك؟" قال.
لا. قال: "فارض لأخيك ما ترضى لنفسك"، قال: فادع الله أن يذهب ذلك عني، قال: وقد قال حسان
يذكر ذلك:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سألت ولم تصب

سألو نبيهم ما ليس معطيهم حتى الممات وكانوا عرة العرب. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة (ج6/257).

(2) ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج2/660).

(3) الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة (ص65). البغدادي، الخزانة (ج8 \ 201).

لا يولد المولود يتنا، أي تخرج رجلاه قبل رأسه. تقول أميمة أم تأبط شرا: " والله ما ولدته يتنا، ولا أبته مآقة" (1)

يقول البعيث (2) هاجيا:

لقد حملته أمه وهي ضيفة فجاءت بيتن للضيافة أرشما (3)

ت- فإذا ما ولدته أرضعته لبنا صافيا لا غيل فيه، فلا ترضعه وهي حبلى، لأن ذلك يضر به وهذا في اعتقاد العرب، لذلك افتخرت أم تأبط شرا حين قالت: " ولا سقيته غيلا ". وفي ذلك يقول أبو كبير:

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغييل (4)

ث- والأم تتوخى راحة رضيعها فتلاعبه، وتضاحكه، ولا تتيمه إلا على مسرة. يقول المبرد معلقا على قول أميمة: " لم أمبته مغيظا، وذلك أن الخرقاء تبيت ولدها جائعا مغموما لحاجته إلى الرضاع، ثم تحركه في مهده حتى يغلبه الدوار فينومه، والكيسة تشبعه وتغنيه في مهده، فيسري ذلك الفرح في بدنه من الشبع كما يسري ذلك الغم والجوع في بدن الآخر" (5). ثم إنها لا تمنعه الرضاع إذا اشتد الحر، لتطفئ ظمأه، ولا تسقيه الرثيئة من اللبن. تقول فاطمة بنت الخرشب: "و لا منعته قليلا ولا أنمته ثندا، ولا سقيته هديدا. (6)

(1) الجاحظ، الحيوان (ج1/189).

(2) هو خدش بن بشر، من بنى مجاشع، من ولد خالد بن ببيعة. وأمّه أصبهانية يقال لها مرده أو وردة. وإنما لقب بالبعيث بقوله:

تَبَعْتُ مَنْى ما تَبَعْتُ بعد ما... أَمَرْتُ قَواي واستمرّ عزيمة

أراد أنه قال الشعر بعد ما أسنّ وكبر. ويكنى أبا مالك. وكان البعيث أخطب بنى تميم إذا أخذ القناة. وله عقب بالبادية. وكان يهاجى جريرا. ينظر، ابن قتيبة، الشعراء (1/488).

(3) الجاحظ، الحيوان (ج4/344). اللقى : الذي لا يعرف ابن من. ضيفه : كناية عن الزنى. اليتن : من تخرج رجلاه قبل رأسه. الأرشم: الذي يتشمم الطعام.

(4) ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج2/660). البغدادي، خزنة الأدب (ج8/194).

(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب (ج1/11).

(6) الميداني، مجمع الأمثال (ج2/349).

2- المظهر الثاني التربية الخلقية:

اعتنت الأم بتربية أبنائها منذ الصغر، وكانت الأم تتعهد وليدها منذ ولادته فترقصه وتغني له، وإن كان لا يفهم غناءها، ومن أمثلة ذلك ما غنت به ضباعة بنت عامر بن قرط⁽¹⁾ لابنها المغيرة بن سلمة وهي ترقصه، فازدهت بأبائه، وأشادت بسيادتهم وكرمهم وعزهم أملا في أن يكون ابنها مثلهم:

نمابه للذرى هشام قـرم وآباء له كـرام
ججاج خضارم عظام من آل مخزوم هم الأعلام

الهامة العليا والسنام. (1)

وتتمنى أم الفضل بنت الحارث الهلالية لطفلها عبدالله بن عباس أن يسود العرب جميعا حسبا وكرما:

ثكلت نفسي وثكلت بكري إن لم يسد فهرا وغير فهر
بالحسب العدّ وبذل الوفر حتى يوارى في ضريح القبر⁽²⁾

إنها ترى مباحج الحياة كلها في طفلها، حتى إنها من سعادتها وعظيم فرحتها بابنها لا تدانيها سعادة، تقول أعرابية:

يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى في بلد
أهكذا كل ولد أم لم يلد قبلي أحد؟⁽³⁾

(1) ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة الخير، من بني قشير، (000 - نحو 10 هـ = 000 - نحو 631 م): شاعرة صحابية. كانت زوجة هشام بن المغيرة، في الجاهلية، ولها قصيدة في رثائه. وأسلمت بمكة، في أوائل ظهور الدعوة. وأراد النبي صلى الله عليه وسلم إن يتزوج بها، وهي أكبر منه سنا بنحو عشرة أعوام، فقيل له: إنها كثرت غضون وجهها وسقطت أسنانها، فسكت عنها. وكانت في صباها من الشهيرات في الجمال. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج3/213).

(2) المرجع السابق (ج2/117).

(3) الأبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف (ص261). الثعالبي، اللطائف والظرائف (ص175).

"ويقينا أنه لا حب يسامي حب الأم لابنها، فقد تخون الحبيبة، ويصد الأب، ويجفو الأخ، وتبغض الزوجة، ويتقلب الصديق، لكن الأم فوق هؤلاء جميعا، لا ينضب معين حبها ولا يترنق، ويكاد عفوها ليسبق ذنب ابنها، ولا تئأس من أن يعود إليها ابنها العاق فيندم على عقوقه، ويطلب منها المغفرة."⁽¹⁾

ومن حب الأم لولدها أنها تظل حريصة على ماله، وتحاول أن تثنيه عن الإسراف في إنفاقه، وقد تلومه على ذلك، والأبناء لا يجدون حرجا في هذا اللوم، بل قد يتقبلونه من الأم برحابة صدر، ويحاورنها حوارا هادئا يفيض محبة واحتراما، بل قد لا يجدون حرجا في التصريح بذلك يقول حطائط بن يعفر⁽¹⁾ وقد لامته أمه -رهم بنت العباب- على جوده وإسرافه في إنفاق ماله:

تقول ابنة العباب رهم حريتنا	حطائط لم تترك لنفسك مقعدا
إذا ما جمعنا صرمة بعد هجمة	تكون علينا كابن أمك أسودا
فقلت - ولم أعي الجواب - تألمي	أكان هزلا حتف زيد وأريدا
أريني جوادا مات هزلا لعني	أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا
ذريني أكن للمال ربا ولا يكن	لي المال ربا تحمدي غبضه غدا
ذريني فلا أعي بما حل ساحتي	أسود فأكفي أو أطيع مسودا
ذريني يكن مالي لعرضي وقاية	يقي المال عرضي قبل أن يتبددا ⁽²⁾

إن عاطفة الأمومة لا يعادلها عاطفة، وحب الأم لأبنها لا يماثلها حب، إنه نهر متدفق من المشاعر والأحاسيس، والعاطفة القوية الصادقة، ومزيج من الحب والشفقة والحنان، والرفق واللين، المغلف بالصدق والإخلاص والإيثار ونكران الذات.

(1) حطائط أخو الأسود شاعر جاهلي مقل وهذا الشعر يقوله لأمه رهم بنت العباب وقد لامته على جوده وعاتبته. ينظر: التبريزي، شرح الحماسة (ج2/342).

(2) التبريزي، الحماسة (ج2/343).

ولا يستطيع فكر الإنسان وخياله مهما كانا واسعين أن يصلا إلى عمق العاطفة الجياشة، والشعور الفياض الذي يكنه الآباء والأمهات لأبنائهم⁽¹⁾. ويكاد يجمع الشعراء على أن الحزن لفقد الولد لا يساويه حزن⁽²⁾. يقول عبد الرحمن العتبي⁽³⁾:

ما عالج الحزن والحرارة في ال
أحشاء من لم يمته له ولد⁽⁴⁾

ولا يمكن أن يصل التصور الذهني إلى مدى الجراح العميقة التي لا تتدمل عند فقدان الأم لأحد أبنائها، والأحزان الموجعة التي تتلبد بها سماؤها، والدموع الحارة الملتهبة التي تتدفق من حنايا قلبها، فتجري من عيونها لها محرقا، وأسى محضا يضج ويعج بالذكريات الحلوة والمرّة، التي تملأ أجواء قلبها رعبا وقلقا وتوترا⁽⁵⁾.

والأم الشاعرة تعبر بشعرها عما يحل بها من ألم الفراق، ووحشة الحياة، وغربة النفس، تقول أعرابية:

أقمت أبيه على قبره
من لي بعدك يا عامر

تركتني في الدار لي وحشة
قد ذل من ليس له ناصر⁽⁶⁾

وسئلت أعرابية فقدت ابنها، ما أحسن عزاءك ! فقالت إن فقدي إياه أمني فقد سواه، وإن مصيبي به هونت علي المصائب بعده، ثم قالت:

كنت السوداء لمقتي
فعمى عليك الناظر

(1) ينظر: التميمي، الأمومة والبنوة في الشعر العراقي الحديث (ص176).

(2) ينظر: موسى، رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري، (ص19).

(3) أبو عبد الرحمن العتبي محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، بصري علامة راوية للأخبار والآداب وكان حسن الصورة جميل الأخلاق وبلغ سناً عالية وكان حسن الخضاب ويلبس الطيبالس الزرق ولقب الشقراق للون خضابه وشدة حمرة وجهه وتلون طيبالسته، توفي سنة 228هـ. ينظر المرزباني، معجم الشعراء (ج3/49).

(4) المبرد، الكامل (ج21/4). ابن قتيبة، عيون الأخبار (ج69/3).

(5) ينظر التميمي، الأمومة والبنوة في الشعر العراقي (ص176).

(6) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج216/3).

من شاء بعدك فليمت فعلياً كنت أحـاذر
ليت المنازل والسـديا ر حفـائر ومقـابـر
إنـي وغيـري لا محـا لـة حيث صـرت لصـائر⁽¹⁾

إنها تتمنى أنها لم تحبل ولم تلد، وذلك لشديد ما أورها فقدته من ألم، ولما له من أثر بالغ عليها، حتى أنها لا تقوى على العيش بعده. تقول أعرابية من بني عبد ود، كان خالد بن الوليد قد قتل ولدها:

يا قرحة القلب والأحشاء والكبد يا ليت أمك لم تحبل ولم تلد
لما رأيتك قد أدرجت في كفن مطيباً للمنايا آخر الأبد
أيقنت بعدك أني غير باقية وكيف يبقى ذراع زال عن عضد⁽²⁾

وقد يبلغ بها الأمر أن تستعذب الهواء الذي يأتي من الأرض الذي دفن فيها، فهي محملة بالمسك والعنبر، والخزامى، وتهيج هذه الريح حنينها وشوقها، فتفيض عيناها بالدموع، ويعلو صوتها بالعويل. تقول أم خالد النميرية⁽³⁾:

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضه أتتنا برياه فطاب هبوبها
أتتنا بمسك خالط المسك عنبر وريح خزامى باكرتها جنوبها
أحن لذكره إذا ما ذكرته وتنهل عبرات تفيض جنوبها

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد. من غير البيت الأخير. والنويري، نهاية الأرب (ج1665).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص127).

(3) أم خالد النميرية، شاعرة إسلامية، كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والذكاء والتدبير في قبيلتها بني نمير وهي مشهورة بأم خالد وشهرتها غلبت اسمها، ولذلك لم تأت الرواة عليه وهذه الأبيات في ولدها خالد وكان توفي في بعض الغزوات ودفن في الغربية. ينظر: العامل، الدر المنثور (ص57). ينظر: عبد الرحمن المسطاوي، أعلام النساء (ص35).

حنين أسير نازح شد قيده وإعوال نفس غاب عنها حبيبها (1)

ومهما يكن فإن حب الأم لأبنائها أمر لا يشكك فيه أحد، ولا يختلف عليه اثنان، والشواهد عليه كثيرة، لا لإثباته والتدليل عليه، وإنما لبيان وظاهره. ولا يتسع المقام هنا لعرض المزيد من الشواهد وهي كثيرة، لذلك أكتفي بما تم عرضه منها.

المطلب الثاني: الابن في شعر النساء

أ- الابن الصغير

إن الباحث في الأدب العربي القديم يجد عدة مقطوعات شعرية كان العرب يغنون أولادهم بها، وتكشف هذه المقطوعات الفضائل التي كان العربي يحب أن يتحلى بها، والمفاخر التي كان يرنو إلى أن يقوم بها هو وأبناؤه، لذلك نعدها من الوثائق من الوثائق المهمة، التي تمثل آمال المجتمع العربي في عصوره المختلفة. (2)

والمجتمع العربي مجتمع ذكوري، يفضل الذكر على الأنثى، لذلك إذا ما ولد مولود ذكر " أتت القبائل فهنأته بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليدا لمآثرهم، وإشادة لذكورهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج (3) والاحتفال بالأبناء الذكور يكون في مناسبات عديدة فقد " ألف العرب أن يحتفلوا بأبنائهم في مناسبات شتى، فرحين مهللين، راقصين مغنين، احتفلوا بمولد الابن خاصة وبانقضاء الاسبوع الأول على ولادته، وبإزالة الشعر الذي ولد به أو ما سموه العقيقة، وبفطامه وختانه، وبمناسبات أخرى لها أهميتها في حياته، وتختلف باختلاف المجتمع الذي عاش فيه. (4) لقد عبرت المرأة في ترقيصها لابنها عما يدور في خلدتها، وما تتمناه فيه من خلال بعد كبره، مفتخرة بحسبه ونسبه، وبصفاته الخلقية والخلقية، في حرص على أن تظهره بأسمى صورة، مفردا مبرزا على أقرانه.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص182).

(2) نصار، الشعر الشعبي العربي (ص55).

(3) السيوطي، المزهر في علوم اللغة (ج 2 \ 473).

أولاً: الصفات الخلقية:

1- عراقة الأصل وشرف النسب:

تحرص الأم في ترفيصها لأبنها على الصفات الخلقية المعنوية التي تحب أن يتحلى بها طفلها، فهند بنت عتبة تحرص على تعداد الصفات الحسنة التي يحرص كل عربي على وجودها في ولده، فتقول:

إن بني معرق كريم محبب في أهله حليم
ليس بفحاش ولا لئيم ولا بطخـرور ولا سئوم
صخر بني فهر به زعيم لا يخلف الظن ولا يخيم⁽¹⁾

الأم هنا تعدد الصفات الخلقية، ولم تتعرض للصفات الحسية وذلك لأهمية الصفات الخلقية في المجتمع العربي، وخصوصاً حين الحديث عن الذكر، فابنها كريم الأصل، شريف النسب محبوب بين أهله لطيب سجاياه، لا يرتكب الفواحش، صبور على الشدائد غير لئيم، شجاع جلد لا يجبن ولا يخلف ظن الآخرين به.

والملاحظ أن الأم تصف طفلها بصفات بعضها لا يكون إلا للرجال البالغين وكأن هذه الصفات متأصلة فيه، وكأنها ملتصقة به، كأمر حتمي لا مفر منه، وهذا ثقة قلما توجد. وتقول في ابنها عتبة:

إن بني من رجال الحمس كريم أصل وكريم النفس
ليس بوجاب الفؤاد نكس عتبة بدر وأبوه شمس⁽²⁾

تفخر الشاعرة بأن ابنها قرشي النسب، كريم الأصل، شريف النسب، ليس جباناً ولا دنياً.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص128). الطخـرور: غير الجلد من الرجال. لا يخيم: لا يجبن.

(2) البغدادي، المنمق في إخبار قريش (ص348). الحمس: قريش وكنانة وجديل. وجاب: جبان. نكس: دنياً لا خير فيه.

وابن ضباعة بنت عامر القشيرية شريف النسب، نما به عراقة الآباء فهو شبيهه آباءه في كرمهم وسيادتهم وشرفهم وزعامتهم لقبيلتهم وقومهم.

تقول وهي ترقص ابنها المغيرة:

نمى به إلى الذرى هشام قـرم وآباء له كـرام
ججاج خضارم عظام من آل مخزوم هو النظام

و الهامة العلياء والسنام (1)

وتبدوا أم الفضل بنت الحارث الهلالية متأكدة من أن ابنها سيسود قومه وغيرهم،
لحسبه وكرمه، وطيب أصله، تقول:

تكلت نفسي وتكلت بكري إن لم يسد فهرا وغير فهر
بالحسب الوافي وبذل الوفر حتى يوارى في ضريح القبر (2)

إن حب ابنها وكرمه وشرفه سيعلو به إلى سيادة قومه وغيرهم في صغره وكبره. لذلك
ترجو منفوسة بنت زيد وهي الخيل تفخر بولدها وتتمنى أن يكون ابنها شبيها بخاله وأبيه، في
شرف النسب، والأصالة والعراقاة وبعد الهمة، تقول:

أشبهه أخي أو أشبهن أباكا أما أبي فلن تنال ذاكأ

تقصر عن مناله يداكا (3)

وتدعو حليلة السعدية _ وهي ترقص النبي صلى الله عليه وسلم _ بالسيادة والشجاعة
وطول العمر، والعيش مبراً من كل ما يسوؤه، ولا يجعل لعدوه سلطانا عليه، فنقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص121). القرم: الفحل الكريم. الججاج: السادة. خضارم: كثيروا العطاء.

(2) المرجع السابق (ص121).

(3) المرجع نفسه (ص55).

يا رب إذ أعطيته فأبقه وأعلاه إلى العلاء ورقه

وادحض أباطيل العدا بحقه (1)

وكذلك ترجو الشيماء للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعيش مسودا، يافعا وأمردا، قاهرا لأعدائه وحساده، يحيا عزيزا شريفا، تقول:

يا ربنا أبق لنا محمدا حتى أراه يافعا أمردا

ثم أراه سييدا مسودا وأكبت أعاديته معا والحسدا

وأعطه عزا يدوم أبدا (2)

2- الفصاحة والبيان:

الفصاحة والبيان من الصفات المعنوية التي تحرص المرأة العربية على وجودها في ابنها نظرا لأهميتها في الحياة، ولما لها من أثر في نفوس الناس، حيث أنها مقوم مهم من مقومات السيادة والقيادة في المجتمع، فهذه أم الفرزدق تبشر بأنها ستلد داهية من دواهي العرب، فنجدها ترقصه بعد مولده وتقول:

قصت رؤياي على ذاك الرجل فقال لي قولاً وليته لم يقل

لتدن عضلة من العضل ذلك منطق جزل إذا ما قال فصل

مثل الحسام العضب ما مس قصل يعدل ذا الميل ولما يعتدل

ينهل سما من يعادي ويعل (3)

إنها تقول أن ابنها ذو منطق جزل، يحسن القول، ويجيد الحوار، ويفحم الأعداء، فهو حاد في قوله كحد السيف، يكون عادلا في وقت الميل، ومع ذلك فهو سم زعاف لأعدائه، وهذه

(1) أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب (ص66).

(2) المرجع السابق (66).

(3) عيسى، الغناء للأطفال عند العرب (ص69).

من صفات الشراسة والقوة والبأس فقد جمع الطفل _ في نظر الأم _ الفصاحة والبيان، والبأس والشدة، والعدل والإحسان، والبعد عن الظلم والعدوان.

وتمزج أسماء بنت أبي بكر الصديق⁽¹⁾ - رضي الله عنهما - بين الشجاعة والإقدام والجرأة والبأس، والفصاحة والبيان وحسن المنطق، وقوة الحجة، تقول:

أبيض كالسيف الحسام الإبريق بين الحواري وبين الصديق
ظني به ورب ظن تحقيق والله أهل الفضل وأهل التوفيق
إن يحكم الخطبة يعي المسليق ويفرج الكربة في ساع الضيق
إذا نبت بالمقل الحماليق والخيل تعدو زيمًا برازيق⁽²⁾

3- الشجاعة والإقدام:

لا يكون الرجل سيدا في قومه إلا إذا كان فارسا مقداما، شجاعا، لا يخشى لقاء الأعداء، يحمي الديار، ويصون الحرمات، لذلك حرصت الأم على ذكر هذه الصفات في ابنها، بل إنها جعلتها متأصلة فيه تسري في جسده، كما يسري الدم في العروق، تقول أسماء بنت أبي بكر:

- (1) ذاتُ النُّطَاقَيْنِ - (000 - 73 هـ = 000 - 692 م)، أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قُحَافَةَ عثمان بن عامر، من قریش: صحابية، من الفضليات. آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة. وهي أخت عائشة لأبيها، وأم عبد الله بن الزبير. تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عدة أبناء بينهم عبد الله. ثم طلقها الزبير فعاشت بمكة مع ابنها عبد الله، إلى أن قتل. فعميت بعد مقتله وتوفيت بمكة. وهي وابنها وأبوها وجدها صحابيون. شهدت اليرموك مع ابنها عبد الله وزوجها. وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر. وخبرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبد الله، مشهور. عاشت مئة سنة وهي محتفظة بعقلها. وسميت (ذات النطاقين) لأنها صنعت للنبي صلى عليه وسلم طعاما حين هاجر إلى المدينة، فلم تجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام. لها (56) حديثا. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج1/305).
- (2) ابن ظفر السقلي، أبناء نجباء الأبناء (ص85). الإبريق، صافي الحديدية. المسليق الفصيح. برازيق: جماعات متفرقة.

يفرج الكرب في ساع الضيق

إذا نببت بالمقل الحماليق

والخيل تعدو زيمًا برازيق (1)

وتجمع صفة بنت عبد المطلب جميل الصفات في ابنها الزبير بن العوام، وتنفي عنه قبيح الصفات، فتقول:

وأبيك ما زبر بنكس دني أحمق لكنه صقر كريم معرق

حامي الحقيقة ماجد ذو مصدق يضرب الكبش سواء المفرق (2)

إن الزبير في نظر أمه صقر كريم، عريق النسب شجاع عالي الهمة، يكافح وينافح، ببسالة، ويضرب السادة بسيفه، وليس بالأحمق ولا الأخرق ولا الدني، الذي لا خير فيه. وتبدو ماوية بنت كعب بن القين (3) واثقة من شجاعة ابنها أسامة بن لؤي فتقول:

إن ظني ببني خير ظن أن يشترى الحمد ويغلي في الثمن

ويهزم الجيش إذا الجيش ارجحن ويروي الهيمان من محض اللبن

ويملاً الشيزى من الواري الكدن أن نبه القوم إذا ما قيل

كان هو المدعو لاهن وهن (4)

وتقول أم الفرزدق:

مثل الحسام العضب ما مس قصل يعدل ذا الميل ولما يعتدل

ينهل سما من يعادي ويعل (5)

(1) ابن ظفر السقلي، أنباء نجباء الأبناء (ص 85).

(2) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص 347). نكس : دني. الكيش : السيد.

(3) ماوية بنت كعب بن القين بن جسر، من قُصاعة. ينظر ابن دريد، الاشتقاق (ص 40).

(4) المرجع السابق (ص 349). ارجحن : ثقل. الهيمان : العطشان. الشيزى : أواني مصنوعة من خشب

الجوز. الواري : الشحم. الكدن كندر : الشحم واللحم الكثير.

(5) عيسى، الغناء للأطفال عند العرب (ص 69).

أحبت المرأة هذه الصفات في ابنها، ولذلك نجدتها تكررهما ممزوجة مع بعضها البعض، فعراقة النسب، والكرم والبذل والعطاء، مع الشجاعة والإقدام والبأس والشدة، والفصاحة والبيان هن اللاتي يوصلن الفتى إلى السيادة والريادة والقيادة في المجتمع العربي، الذي طالما افتخر بسيادة أبنائه صغاراً، إعلاءً لمنزلتهم وقهراً لعدوهم.

يقول المهلهل مفتخراً بأن أطفالهم سادة شجعان منذ نعومة أظفارهم:

يا حار لا تجهل على أشياخنا إننا ذوو السـورات والأحلام
منا إذا بلغ الصبي فظامه ساس الأمور وحارب الأقوم (1)

ويبالغ عنتره في فخره، حتى إنه ليصل بأطفالهم مكانة عالية حين يقول:

ملأنا سائر الأقطار خوفاً فأضحى العالمون لنا عبيداً
وجاوزنا الثريا في علاها ولم نترك لقاصدنا وفوداً
إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له أعادينا سجوداً (2)

فأبناء عبس وأطفالها غدو سادة حتى أن القبائل الأخرى تدين لهم بالولاء، ولا تخرج عن أمرهم، بل تلقي لهم عصا الطاعة، ذليلة مغلوبة على أمرها، وهذا فخر ما بعده فخر، وقهر للعدو ليس بعده قهر.

4- الكرم والحلم:

أكثرت الأم من وصف ابنها بالكرم، لأنها من أجل الصفات التي يحرص العربي عليها، ويزهو بها على غيره، فالكرم صفة أصيلة متجذرة في العربي نظراً لظروف عيشه في صحراء ممتدة قاحلة قليلة الطعام مما جعل الكثير من العرب يفخر بإطعام الجائع، وغوث الملهوف، ورعاية الأيتام والأرامل.

(1) الأصمعي، الأصمعيات (ص156).

(2) عنتره، الديوان (ص28).

والمرأة تحرص أن يكون ابنها كريما سخيا معطاء، لأن الشح والبخل منقصة في المرء ، وهي لا تريد ابنا ناقصا، تقول صفية بنت عبد المطلب في ابنها الزبير بن العوام واصفة اياه بالكرم وعراقة الأصل:

وأبيك ما زير بنكس أحمق لكنه صقر كريم معرق⁽¹⁾

وتجمع هند بين الكرم والحلم وعراقة النسب في ابنها معاوية فتقول:

إن بني معرق كريم محبب في أهله حلِيم⁽²⁾

اما فاطمة بنت نعجة الخزاعية⁽³⁾، فتفتخر بأن ابنها كريم في اليسر والعسر، فالكرم يكون مطلبا حين تحمل الأرض ويقل الرزق، تقول:

إن بني سيد العشييرة عفا صليب صن السرييرة

جزل النوال كفه مطيرة يعطي على الميسورة والعسيرة⁽⁴⁾

لقد جمعت الشاعرة بين عدة صفات حسنة في ولدها، وهي السيادة والقيادة، والعفة، ونقاء النفس، وعدم الرياء، والبذل والعطاء بسخاء حتى أن عطاءه كالمطر الذي يعم الناس جميعا، وذلك في الشدة والرخاء والعسر واليسر . وتمدح ميسون بنت بحدل⁽⁵⁾ ابنها يزيد بن معاوية بالكرم، وأنه إذا ما سئل أعطى، فهو حلِيم كريم كما تقول:

(1) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص347).

(2) المرجع السابق (ص348).

(3) شاعرة إسلامية، لم يرد في ترجمتها سوى خبر إسلامها وأنها من الصحابيات، وكانت من أكمل قومها أدباً،

وأجرئهم لساناً. ينظر يموت، شاعرات العرب (ص164).

(4) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص348).

(5) مَيْسُون بنت بحدل بن أنيف، من بني حارثة بن جناب الكلبي، (000 - نحو 80 هـ = 000 - نحو

700 م)، أم يزيد بن معاوية. شاعرة وكانت بدوية، ثقلت عليها الغربة عن قومها لما تزوجت بمعاوية في

الشام، فسمعها تقول شعرا، فطلقها وأعادها إلى أهلها. وكانت حاملا بيزيد (في رواية) أو أخذته معها

رضيعا، فنشأ في البرية فصيحاً. ونقل البغدادي أن معاوية لما طلقها قال لها: كنت فبنت، فأجابته: ما

سررنا إذ كنا ولا أسفنا إذ بنا! ينظر: الزركلي، الأعلام (ج7/339).

إن يزيد خير شبان العرب أحلمهم عند الرضى وعند الغضب
بيدر بالبذل وإن سيل وهب تغذية نفسي ثم أمي وأب

وأسرتي كلهم من العطب (1)

إن ابنها حلیم في كل أحواله، سواء كان راضيا أو غضبانا، فهو قادر على ضبط نفسه، يبادر إلى البذل والعطاء دون أن يسأل، وإن سئل أعطى برضى نفس.

إن ظن الأم بابنها غالبا ما يكون حسنا، وهي تتمنى أن يكون الابن في مستقبله، شجاعا، كريما حلیمًا، يسعى في طلب المحامد، مهما كان الثمن، يملأ الجفان باللحم والشحم، تقول ماوية بنت كعب بن القين في ابنها أسامة بن لؤي:

إن ظني ببني خير ظن أن يشترى الحمد ويغلي في الثمن
ويهزم الجيش إذا الجيش ارجحن ويروي الهيمان من محض اللبن
ويملاً الشيزى من الواري الكدن إن نبه القوم إذا ما قيل

كان هو المدعو لا هن وهن (2)

بيدوا مما سبق أن الشاعرة الأم حرصت على وسم الابن بالكرم والحلم والشجاعة، وصحة النسب، وعراقة الأصل، وكلها صفات من أهم الصفات المعنوية الخلقية التي حرص عليها العرب عبر التاريخ القديم والحديث.

5- الدعاء للابن:

حرص العرب منذ القدم على صحة أبنائهم، وسلامتهم من كل عيب خلقي وخلقي لذلك تخيروا أمهاتهم " فكانوا يختارون البعداء والأجانب لأنهم يرون هذا الأمر أنجب للولد وأبهى للخلقة يقابل ذلك اجتناب نكاح الاهل والأقارب، لأنه يضر بخلقة الولد ؛ لأنهم راغبون في إنجاب الأولاد الأصحاء الأقوياء "(3).

(1) البغدادي، المنمق من أخبار قريش (ص349).

(2) المرجع السابق (ص349).

(3) المبييضين، الأسرة في الشعر الجاهلي (ص43).

وقد عبر الشعراء عن هذا الأمر في كثير من شعرهم، يقول النابغة (1):

فتى لم تلده بنت أم قريبة فيضوي وقد يضيوي سليل الأقارب (2)

ويقول جرير مفتخراً (3):

سمت بي من شيبان أم نزيعة كذلك ضرب المنجبات النزاع (4)

ويقول آخر:

تجنبت بنت العم وهي قريبة مخافة أن يضيوي عليّ سليلي (5)

(1) النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي، (000 - نحو 18 ق هـ = 000 - نحو 604 م)، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفانيّ المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من اهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضلها على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. شعره كثير، جمع بعضه في (ديوان - ط) صغير. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمرا طويلا. ومما كتب في سيرته (النابغة الذبياني) لجميل سلطان، ومثله لسليم الجندي، ولعمر الدسوقي، ولحنّا نمر، وكلها مطبوعة. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج3/54- ص55).

(2) النابغة، الديوان (ص27). يضيوي : يضعف.

(3) واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة ابن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار أبو حزرة الشاعر بالحاء المهملة البصري قدم دمشق غير مرة، وامتدح يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان، وأمره في ذلك مشهور، وامتدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك، وقدم على عمر بن عبد العزيز، وعلى يزيد بن عبد الملك.

قال عثمان البتي: رأيت جريراً وما تضم شفتاه من التسبيح فقلت: ما ينفعك هذا وأنت تقذف المحصنة! فقال: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر والله الحمد، إن الحسنات يذهبن السيئات، وعد من الله حق. ينظر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ج40/6).

(4) جرير، الديوان (ص283). النزيعة : المتزوجة في غير عشيرتها.

(5) الخالدي، حماسة الخالديين (ص60).

ويقول آخر:

تنجبتها للنسل وهي غريبة
فجاءت به كالبدر خرقا معما
فلو شاتم الفتيان في الحي ظالما
لما وجدوا غير التكدب مشتما (1)

انه يفخر بأن أم ولده غريبة ليست من أقاربه، لذلك جاءت بالولد جميلا كالبدر، ومع ذلك يشبه أعمامه، وليس فيه عيب يعاب به، ويؤخذ عليه. والعرب تحب أن ينشأ أبناؤها أصحاب أقوياء، ويتمنون أن لا يخلفون ظنهم، فيسموا بأخلاقهم للدرجات العلا والمكانة المرموقة، لذا نجد كثيرا من النساء يلجأن إلى الدعاء لأبنائهن، فحليمة السعدية ترقص الرسول عليه السلام وتدعو له بطول العمر، والبقاء، والسيادة، والشجاعة، فتقول:

يا رب إذ أعطيته فأبقه
وأعلاه إلى العلا ورقه
وادحض أباطيل العدا بحقه (2)

تدعو حليمة له بالبقاء، وأن يعليه الله سبحانه وتعالى، ويدفع عنه أباطيل الأعداء وذاهم. وتدعو أم حبيب بنت العاص بن أمية لابنها جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، فتقول:

احفظ جبيرا رب في السرية
لا تقعدني مقعدا شقية

وباركن يا رب في بنية (3)

إنها تخشى أن تشقى بفقد ابنها، لذلك تدعو له بالبقاء، وتسال الله أن يحفظه ويبارك فيه. ثم نجدها تدعو بأن يحفظه الله من سيوف الفرس، ومن الأمراض التي قد تصيبه فتقول:

احفظ جبيرا من سيوف فارس
وجنبنه عارض الوسواس
واحفظه من كل زحير حادس
زيئن رب به المجالس (4)

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار (ج2/79).

(2) المهدي، صيد الأفكار في الأدب (ج2/375). أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب (ص66).

(3) البغدادي، المنمق في أخبار قريش. (ص351)

(4) المرجع السابق (ص351). زحير: انطلاق البطن بشدة. الحادس: الصارع.

وتدعو أم البنين الوحيدة (1) لابنها العباس بن علي بن أبي طالب، بأن يحفظه الله من حسد الحاسدين فتقول:

أعيـذـهـ بالواحد
قـائمـ والقاعد
من عين كل حاسد
مسـلمـهمـ والجاحد
صـادرهمـ والوارد
مولودهمـ والوالد (2)

وتدعو صفية بنت عبدالمطلب أن يتمتعها الله بابن ابنها عبدالله بن الزبير فتقول:

إن ابني الأصغر حب حنكل
أخاف أن يعصيني ويبخل
يارب أمتعني ببيكري الأول
الماجد الفياض والمؤمل (3)

لقد أبدعت الأم الشاعرة في رسم صورة الابن المعنوية من خلال خلق نموذج فريد يتصف بكل جميل من الصفات، التي ترفع قدره وتعلي شأنه بين أهله وقبيلته وبين أقرانه، وتطرح عنه كل قبيح من مردول الصفات التي قد تحط من قدره، وتقلل من شأنه، وتعيبه في مجتمعه.

ثانيا: الصفات الخلقية

اهتمت المرأة الشاعرة بصفات ابنها الخلقية كما اهتمت بذكر صفاته الخلقية، "ومما لا شك فيه أن للشكل الخارجي تأثيره في الحالة النفسية للفرد وغيره ممن يحيطون به، لذلك عمد العرب إلى إظهار صفات أطفالهم الخلقية " (4).

تصف ننتيلة بنت خباب ابنها بصفات عديدة، فهو أبيض اللون، والعرب تحب هذا اللون في أطفالهم. تقول:

(1) لم أف لها على ترجمة.

(2) البغدادي، المنمق في أخبار قریش (351).

(3) المرجع السابق (ص341). الحنكل كجعفر: الجافي الغليظ مع القصر.

(4) سمارة، صورة الطفل في الشعر الجاهلي، (ص 46).

أضاللت أبيض لوذعيما لم يكن مجلوبا ولا دعيما
وتقول أيضا:

أضاللت أبيض كالخصاف للفتية الغر بني مناف (1)

إن بياض ابنها دليل على عراقية نسبه ونقائه، فهو سليل الأشراف، كريم الآباء ليس دعيا، ولا مجلوبا، أي ليس عبدا ولا لقيطا. وتقول أم حكيم بنت عبد المطلب أن ابنها من فتية بياض فنقول:

ظني به صدق وبر يأمرو ويأتمرو

من فتية بياض صبر يحمون عورات الدبر (2)

وتفخر أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- بابنها عبدالله بن الزبير:

أبيض كالسيف الحسام الإبريق بين الحواري وبين الصديق (3)

ومرد هذا الفخر باللون الأبيض كون العرب تنتشأم من اللون الأحمر، وتشكك في نسب الطفل، فهذا رجل من بني عامر بن صعصعة يشكك في نسب ابنه إليه حين رآه أحمر أزب الحاجبين، فينتضي سيفه ويقول:

لا تمشطي رأسي ولا تغليني وحاذري ذا الريق في يميني

واقتربي دونك أخبريني ما شأنه أحمر كالهجين

خالف ألوان بني الجون

(1) البلاذري، أنساب الأشراف (ص891).

(2) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص352).

(3) ابن ظفر الصقلي، أنباء نجباء الأبناء (ص85).

فأجابته:

إن له من قبلي أجدادا بيض الوجوه كراما أنجادا
ما ضرهم إن حضروا أمجادا أو كافحوا يوم الوغى الأنداد

ألا يكون لونهم سوادا (1)

والأم تسعد بالولد أكثر من البنت، وهي تعلم أن الرجل كذلك، فبغض البنات جعل أبو حمزة الضبي يهجر خيمة زوجته وذلك لأنها ولدت بنتا، فمر يوما بجانبها فإذا هي ترقصها وتقول:

مالا بي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما زرعه فينا (2)

فولج البيت وقبل رأسها ورأس ابنتها واعتذر لها عما بدر منه.
لذلك نجدها تفضل الولد حتى ولو كانت قابلا، تقول:

أيا صاحب طريقي بخير وطريقي بخصية وأيرر

ولا ترينا طرف البظير (3)

والأم تفضل الولد على البنت حتى ولو كان أحمقا، تقول أعرابية:

ولا أبالي أن أكون محمقة إذا رأيت خصية معلقة (4)

(1) القالي، الأمالي (ج351). والمرزباني، أشعار النساء (ص82).

(2) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1 165).

(3) المرجع السابق (ج164).

(4) المرجع نفسه ج164.

إنها لا تبالي أن يكون ابنها أحمقا، ما دامت تنظر إليه فترى علامة ذكورته فيسرهما ذلك. وإذا لم ترزق بالأولاد تمنى أن يكون لها ولد، كهذه الأعرابية التي تزوجت ولم تتجب، فأخذت ترقص أطفال الحي، وتتمنى أن ترزق ولدا شجاعا مقداما كالأسد فتقول:

يا حسرتا على ولد أشبه بشيء بالأسد
إذا الرجال في كبد تغالبوا على نكد

كان له حظ الأسد (1)

والطفل حديث الولادة يوضع في الفائف، وذلك للحفاظ على أطرافه وجسمه مما يسوؤه، والأم تتولاه بالرعاية والعناية بكل حب وحنان، وهذه الصورة ترسمها لنا فاطمة بنت أسد (2) أم عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه التي تحمل ابنها بين يديها بكل رفق وعطف وحنان، وقد وضعت في الفائف متمنية أن يسود قومه، كريما حلما نبيلًا، يطعم في الليالي الباردة، تقول:

إن عقيلًا كاسمه عقيل وبببي الملفف المحمول
أنت تكون السيد النبيل إذا تهب شمال بلييل

يعطي رجال الحي أو ينيل (3)

والعرب تكره العيوب الخلقية في الأطفال كاللعثمة، واقتروا بالطفل السليم من هذه العيوب، فهذه سلمى بنت عمرو (4) تفخر بابنها وتقول:

(1) ابن العديم، الداري في ذكر الذراري (ص 17).

(2) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أم علي بن أبي طالب، وأم إخته طالب وعقيل وجعفر. قيل: إنها توفيت قبل الهجرة. وليس بشيء، والصحيح أنها هاجرت إلى المدينة، وتوفيت بها. قال الشعبي: أم علي فاطمة بنت أسد، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت بها. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة (ج 7/212).

(3) البغدادي، خزنة الأدب (ج 9/226).

(4) سلمى بنت عمرو بن خنيس بن لوذان بن عبد ود أخت المنذر، وهي من بني ساعدة، كانت زوجة أحيحة بن الجلاح، وتزوجت بعده هاشم بن عبد المطلب. أسد الغابة (ج 7/149)

إن بني ليس فيه لعثمة ولم يلبده مدع ولا أمة
يعرف فيه الخير من توسمه أروع ضحكك بعيد هممة
إن أحر الله عن بني الحمّة يزحم من زاحمه فيزحمه

أقول قولاً لا كقول الأئمة⁽¹⁾

مما سبق يتبين أن المرأة العربية أكثر من وصف ابنها وصفا معنوياً ؛ لما لهذه الصفات من أهمية بالغة في المجتمع العربي، ولكنها كانت مقلة في وصفة وصفا مادياً، واقتصر الوصف على الصفات التي لها علاقة بصحة النسب، وعراقة الأصل، أو ما يتعلق بالذكورة ؛ لأهمية الذكر في مجتمع يفضل الذكر على الأنثى، وربما نجد بعض الملامح الأخرى.

ولكن الوصف المادي يظل قليلاً جداً إذا ما قيس بالصفات المعنوية التي تأنقت فيها المرأة وتأنقت، وأجادت فيها حين وصفت ابنها بها.

2- الابن الكبير:

أولاً: الصفات المعنوية (الخلقية)

أ- الشجاعة والكرم:

الشجاعة والكرم صفتان متلازمتان في معظم النصوص الشعرية، "إذ كان السخاء أخص الشجاعة، وكانا في أكثر الأمور موجودين، في بعداء الهمم وأهل الإقدام والصولة."⁽²⁾
فالشجاعة قوة في الحرب والكرم قوة في السلم، وهذه القوة متأتية من أن الكرم قائم على قمع شره النفس، والتغلب على شحها، وإيثار الآخرين عليها⁽³⁾.

(1) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص346). اللعثة : التردد في الكلام. الحمّة : الموت.

(2) ابن جعفر، نقد الشعر (ص 93).

(3) ينظر الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي (ص 321).

لذلك أكثرت الأم الشاعرة من ذكر هاتين الصفتين في شعرها، ووصفت ابنها بهما،
تقول عمرة الخثعمية⁽¹⁾:

هما أخوا في الحرب من لا أخا له إذ خاف يوما نبوة فدعاهما
هما يلبسان المجد أحسن لبسة شحجان ما استطاعا عليه كلاهما
شهابان منا أوقدا ثم أخمدا وكان سنى للمدلجين سناهما
إذا نزلنا الأرض المخوف بها الردى يخفض من جأشيها منصلاهما
إذا استغنيا حب الجميع إليهما ولم ينأ من نفع الصديق عناهما
إذا افتقرا لم يجثما خشية الردى ولم يخش رزعا منهما مولياهما⁽²⁾

إنهما فارسان في الحرب، إذا عم البلاء لم يجبنا، بل يسارعان نصره للمستغيث، وهما
كريمان، لا تتطفئ نارهما في الليل، ليهتدي بها الساري والمدلج، وإذا مسهما الفقر لكثرة
عطائهما، لم يجبنا عن الغزو ولم يقعدا خوفا من الهلاك، بل لا يحملان وليهما عبء فقرهما،
فيبادران وينزلان الأرض التي يخشى الناس نزولها محتمين بسيفيهما.
وتقول ليلى بنت الأحوص⁽³⁾ (أم بسطام بن قيس):

(1) عمرة الخثعمية، هي من نساء بني خثعم الشاعرات الأديبات المتحمسات وشعرها مقبول ولها رثاء في
أخوين لها قتلا في بعض الغزوات.

لقد زعموا أني جزعت عليهما... وهل جزع أن قلت وا باباهما
هما أخوا في الحرب من لا أخا له... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما
هما يلبسان المجد أحسن لبسة... شحجان ما استطاعا عليه كلاهما. ينظر: العاملي، الدر المنثور
(ص353).

(2) مارديني، شواعر الجاهلية (ص 283). النبوة: المحنة والبلية. يلبس المجد: يتمتع به. المدلج: الذي
يسير في الليل.

(3) ليلى بنت الأحوص بن عمرو بن ثعلبة الكلبي: أم بسطام بن قيس الشيباني. تكرر ذكرها في بعض أخبار
بسطام. أسره عتيبة بن الحارث اليربوعي، يوم " صحراء فلج " من أيام الجاهلية، ففدته ليلى بثلاثمائة
بعير. وكانت صاحبة رأي، قال لها بسطام يوما: إنني أخدمتك (أي جعلت في خدمتك) أمة من كل حي،
ولست منتهياً حتى أخدمك أمه من بني " ضبة " فقالت له: لا تفعل، فان بني ضبة حي لا يسلم ولا يغنم
منهم من غزاهم. ولم يطعها، فغزاهم، فقتلوه. ينظر الزركلي، الأعلام (ج5/248).

فأله عينا من رأى مثله فتى
عزيم المكر لا يهد جناحه
إذا الخيل يوم الروع هب نزالها
وليث إذا الفتيان زلت نعالها
وحمال أثقال وعائد محجر
يحل إليه كل ذاك رجالها⁽¹⁾

إن ابنيها فارس من فرسان تميم، لا يشق له غبار، ليس كمثلته أحد، فهو الفارس الشجاع في حومات الوغى، والمقدام في وقت الخوف على أعدائه كالليث. ثم تجمع جمعا بديعا بين الشجاعة والكرم، الذي تمثل في حوض حومات الوغى، وفك العاني، وإغاثة الأرملة والأيتام، وهذه مكانة عظيمة من الكرم. تقول:

وحمال أثقال وعائد محجر
سبيك عان لم يجد من يفكه
تحل إليه كل ذاك رجالها
ويبيك فرسان الوغى ورجالها
وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الخطوب ومدرك ال
حروب إذا صالت وعز صيالها⁽²⁾

وبمثل هذه الصفات تحدثت تماضر بنت الشريد السلمية، فوصفت ولدها بالشجاعة والبأس والسيادة والكرم، فهو فتى عبس الذي يزود عن حماها، تقول:

كان العين خالطها قذاها
على ولد وزين البأس طرا
بحزن واققع أفنى كراها
إذا ما النار لم تر من صلاها
فقد فقدت به عبس فتاها
لئن حزن بنو عبس عليه

(1) مارديني، شواعر الجاهلية، (ص 298). يموت، شاعرات العرب، (ص 93).

(2) مارديني، شواعر الجاهلية (ص 298). يموت، شاعرات العرب (ص 93). المحجر: المضطر. صال

على قومه صولا وصيالا: سطا. والمصاولة والصيال: المواثبة. وصال عليه: وثب.

مجن الضيف إن هبت شمال
 مززعجة يجاوبها صداها
 أسيدكم وحاميكم تركتم
 على الغبراء منهذما رحاها
 ترى الشم الججاج من بغيض
 تبدد جمعها في مصطلاها
 فيتركها إذا اضطريت بطعن
 و ينهبها إذا اشترجت قناها
 حذيفة لا سقيت من الغوادي
 ولا روتك هاظلة نداها
 كما أفجعتني بفتى كريم
 إذا وزنت بنو عبس وفاها⁽¹⁾

إن فقد الابن أحزن القبيلة بأكملها، لا لشيء إلا لما حواه من خصال حميدة، فهو فتاها وفارسها، وحامي الديار، ومفرق جماعات الأعداء، ومطعم الطعام في الشتاء حين يعم القحط، ويقل الطعام، ويعز الجود.

وتصف أم الصريح الكندية أولادها بالشجاعة والجرأة، والصبر على الأذى، والثبات، ورفضهم الفرار من وجه عدوهم، وتفضيلهم للموت على الهوان. تقول:

هوت امهم ماذا بهم يوم ضرعوا
 بجيشان من أسباب مجد تضر ما
 أبوا أن يفروا والقتا في نحورهم
 ولم يبتغوا من رهبة الموت سلما
 ولو أنهم فروا لكانوا أعزة
 ولكن رأوا صبورا على الموت أكرما⁽²⁾

تدعوا الأم على نفسها، بقولها هوت أمهم، وهو كقول العرب تكلتك أمك، فأبناؤها لم يطلبوا نجاة من الموت بارتقاء سلم في السماء وهو مثل، أي لم يفروا ولو أنهم فروا بعد أن كثرتهم الخيل، وخذلهم الأصحاب، لكانوا أعزة، لم يلهم الأصدقاء ولم يصبهم العدو لوضوح أمرهم ؛ لأنهم عرفوا بالشجاعة من قبل، فهي تصفهم بالمجد والشجاعة وأنهم ثبتوا في الحرب

(1) يموت، شاعرات العرب (ص44).

(2) البصري، الحماسة البصرية (ج 1 / 236). ويموت، شاعرات العرب (ص 97 - ص 98).

مع إمكانهم الفرار، فأنفوا منه واختاروا الموت عليه⁽¹⁾. وتتساءل أم قيس الضبية، من بقي للحرب بعد ابنها ومن فارس الخيل المضمرة بعده، إنها تريد أن تقر حقيقة رسخت في ذهنها ووعاها قلبها، واستمكنت منها، وهي أن ابنها شجاع ليس كمثلته أحد، فارس يجيد ركوب الخيل، حتى أن القوم لا يخشون الغياب عن الحمى، مادام هو خليفتهم فيها، لعلمهم أنه يكفيهم أمر الذود عن الحرمات، دونما خوف ولا ضعف ولا خور، فلا يضعف إذا ما ضعف الناس، بل تجده حادا، صلب القناة، قوي الشكيمة، صعب المراس. تقول:

من للخصوم إذا جد الضجاج بهم بعد ابن سعد ومن للضمّر القود
ومشهد قد كفيت الغائبين به في مجمع من نواصي القوم مشهود
إذا قناة امرئ أزرى بها خور هزّ ابن سعد قناة صلبة العود⁽²⁾

وتتساءل أم معدان الشيبانية⁽³⁾ عن الذي سيغيث قومها في الشتاء حين يقل الزرع، ويجف الضرع، ويصعب العيش، ويشتد بالناس القحط، وهي هنا تريد أن تثبت صفة مهمة متأصلة فيه ألا وهي الكرم، وأي الكرم في الشدة والضيق، وقلة الزاد، وحاجة العباد، وهذا هو الكرم الحقيقي، حين يكون المرؤ غوثا لقومه في وقت شدتهم فيفرج عنهم كربتهم بالبذل والعطاء من الغالي والنفيس من ماله، برضى نفس. تقول:

معدان من للحي إذا هبت شامية فجورا
عسراء من قبل الشمال تكاد تنتزع الكسورا
وتبادر القوم القداح وأغلت السنة الجزورا⁽⁴⁾

(1) ينظر الفارسي، شرح الحماسة، (ج 2 / 425).

(2) يموت، شاعرات العرب، (ص 87). وابن طيفور، بلاغات النساء (ص 177).

(3) لم أعر لها على ترجمة.

(4) المرزباني، أشعار النساء (ص 127).

وتفاخر أعرابية بأبنائها، حيث أنهم شجعان لا مثيل لشجاعتهم، فهم يقتحمون الأهوال التي يعجز غيرهم عن اقتحامها، وذلك لعظيم همتهم، وكبير مطلبهم، وعلو مكانتهم، وهم من يعطي فيجزل في العطاء، العطاء الذي يعجز عنه غيرهم، فالشاعرة هنا جمعت فيهم الشجاعة والكرم معا حيث تقول:

دعوا من المجد أحيانا إلى أجل حتى إذا أكملت أظمارهم وردوا
كانت لهم همم فرقن بينهم إذا القعايد عن أمثالهم قعدوا
بذل الجميل وتفريج الجليل وإعطاء الجزيل إذا لم يعطه أحد (1)

إن ابن سعد فارس شجاع، يجتنبه الفرسان، بل يجتنبون جواده، وهذا مبالغة من الأم، فسيفه سيظل وحيدا صدنا لعدم وجود فارس يعمله في جماجم الأبطال، وجواده لن يجد من يقوده بعده، فلا أحد يجيد ركوبه. تقول:

يا سيف ضبة لا يعضك بعده أبدا فتى بجماجم الأقران
جاء الفوارس جانبين جواده وأقام فارسه فتى الفتيان (2)

وتشيد كبشة بنت رافع بن معاوية⁽³⁾ بابنها سعد بن معاذ، فتذكر شجاعته، وبأسه، ونصرته للدين، وفتكه بأعدائه وتشيد بمحامده وفضائله، تقول:

ويـل أم سـعد سـعدا صـرامة وجـدا
وسـوددا ومجـدا وفارسـا معـدا
سـد به مسـدا يقـد هامـا قـدا (4)

(1) الأصبهاني، الزهرة (ص 162).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 187).

(3) كبشة بنت رافع بن عبيد بن الأجر وهو خدره بن عوف بن الخزرج الأنصارية الخدرية، هي أم سعد بن معاذ الأشهلي، عاشت بعد ابنها وندبت له لما مات. ينظر أسد الغابة (ج 241/7).

(4) الحياي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام، (ص 189). والتونجي، شاعرات في عصر النبوة، (ص 163).

لقد صدقت الأم في وصف ابنها، وأيد هذا القول ما قلناه (صلى الله عليه وسلم) حين أراد عمر أن يمنعها من البكاء "دعها يا عمر، كل باكية مكثرة إلا أم سعد، ما قالت من خير فلن تكذب" (1) وقال: "كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ" (2).

ويتجلى المدح في قول لبابة بنت الحارث، حيث تعدد صفات ابنها القائد العظيم خالد بن الوليد -رضي الله عنه-، فتتساءل أسئلة تقريرية فابنها، أشجع الشجعان، فهو أشجع من أسد بين أشباله بل يفوق مليوناً من القوم، وهو أجود من سيل متدفق بين جبلين، وجاء مدحها هذا في رثاءها له بعد وفاته في بيته وعلى فراشه مما يدل على أن العرب مدحت من مات على فراشه، كما مدحت من مات في ساحات الوغى وإن جاء هذا المدح من ضمن قصيدة الرثاء، فالرثاء "باب واسع لا ينغلق على البكاء والتفجع بل يفتح على الفخر والحماسة" (3). تقول لبابة بنت الحارث:

أنت خير من ألف من القوم م إذا ما كبت وجوه الرجال

أجواد فأنت أجود من سي ل أتى يستقل بين الجبال (4)

وتذكر زينب بنت العوام (5) كرم ولدها عبدالله بن حكيم:

أعني جوداً بالدموع فأفرغها على رجل طلق اليدين كريم (6)

وتفخر أعرابية بأن ابنها لم يمت رعيدياً جباناً، ولم يمت حتف أنفه. وإنما مات تحت ظلال السيوف، وهو يلبس الحديد،

(1) ابن ماجه، السنن، حديث رقم (1587). وأحمد، المسند (ج 2 / 444).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية (ج 2 / 252).

(3) البيهقي، دراسات في الأدب الجاهلي (ج 1 / 157).

(4) الحياي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص 281). والتونجي، شاعرات في عصر النبوة، (ص 166).

(5) زينب بنت العوام أخت الزبير، وهي أم عبد الله بن حكيم بن حرام أسلمت، وبقيت إلى أن قتل ابنها يوم الجمل. أسد الغابة (ج 7/134)

(6) الحياي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص 66). والتونجي، شاعرات في عصر النبوة، (ص 81)

ويصول بين الجنود صولة الأسود، فتقول:

ختلته المنون بعد اختيال بين صفين من قنا ونصال
في رداء من الصفيح جديد وقميص من الحديد مذل
كنت أخباك لاعتداء يد الدهر ولم تخطر المنون ببالي⁽¹⁾

إن الأم تحاول أن تعزي نفسها وتطفئ حرقه قلبها، بعد فراق ابنها بأنه مات شجاعا مقداما، لذلك حرصت دائما على هذه الصفة، بل إنها تدفعه دفعا نحو المواقف المشرفة التي ترفع من قدره، وتعلي مكانته، تقول أم البراء بنت صفوان مخاطبة ابنها:

يا عمرو دونك صارما ذا رونق غضب المهزة ليس بالخوار
أسرج جوادك مسرعا ومشمرا للحرب غير معرض لفرار
أجب الإمام ودب تحت لوائه وأفرد العدو بصارم بتار
يا ليتني أصبحت ليس بعورة فأذب عنه عساكر الفجار⁽²⁾

إنها تدعوه لنيل شرف الذود عن الخليفة علي بن أبي طالب والقتال في عسكره ببسالة.

وتحت بكرة الهلالية⁽³⁾ -وهي من أنصار علي بن أبي طالب كرم الله وجهه- ابنها على نصره الإمام، وبعد أن كانت قد ادخرت السيف وخبأته في بيتها ليوم عظيم، وها قد كبر الابن، فأجدر به أن يحمل السيف وينال الشرف:

يا زيد دونك فاستثر من دارنا سيفا حساما في التراب دفينا

(1) يموت، شاعرات العرب (ص182).

(2) المرجع السابق (ص184).

(3) بكرة الهلالية، كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة، والإقدام، والفصاحة، والشعر، والنثر والخطابة حضرت مع علي بن أبي طالب حرب صفين ولها هناك مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب. ينظر العاملي، الدر المنثور (ص99).

قد كنت أذخره لكل عزيمة فاليوم أبرزه الزمان مصوناً⁽¹⁾

وتدعو ضباعة بنت عامر القشيرية لابنها الذي تزهو به، لجمعه بين الكرم وبسط ذات اليد، والجرأة والشجاعة واللباس حتى غدا كأسد في غابة، لا يقوى على مواجهته أحد، فنتسامى بالطرب، إلى أعلى مراتبه حين تطلب منه حماية عورات المسلمين في الحرب. فتقول:

يا رب الكعبة المحرمة انصر على عدو سلمة

له يدان في الأمور المبهمة كف بها يعطي وكف منعمة

أجرا من ضرغامة في أجمة يحمي غداة الروع عند الملحمة

بسيفه عورة سرب المسلمة⁽²⁾

لعل الشجاعة والكرم صفتان نالتا اهتماما كبيرا من شواعر العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي، وذلك لحرص العرب على التحلي بهما، وحبه أن يمدح بها، ولكون العرب في حاجة دائمة للرجل الشجاع المقدم في ساحات الوغى، وحين يشتد البأس، ويعم القحط، ويقل الطعام.

ب- الفصاحة:

لا تقل صفة الفصاحة والبيان، وطلاقة اللسان أهمية عن الشجاعة والكرم لتأثيرها في الناس، من أجل ذلك حرصت الأم على مدح ابنها بهما تقول أم قيس الضبيبة⁽³⁾:

من للخصوم إذا جد الضجاج بهم بعد ابن سعد ومن للضمير القود

ومشهد قد كفيت الغائبين به في مجمع من نواحي القوم مشهود

فرجته بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقلب غير مزوود

(1) سموت، شاعرات العرب (ص185).

(2) المرجع السابق (ص122).

(3) لم أقف لها على ترجمة.

إذا قُتاة امرئ أزرى بها خور هز ابن سعد قُتاة صلبة العود⁽¹⁾

فابنها، طلق اللسان، سريع البديهة، حاضر القلب، لا يعيبه جواب مما جعله يكفي قومه
عبء محاجة الخصوم، حين يشتد الخصام، ويعي الناس الكلام، فالشاعرة تذكر الشجاعة
والفصاحة، والقوة والكرم، ولكنها تضمن الأبيات صفات ذهنية ؛ وهي الشدة وحسن التدبير،
والنطق المحكم الذي يعجز الخصوم. وتجمع السلكة؛ أم السليك⁽²⁾ كل الصفات الحسنة التي
تفخر بها المرأة العربية في كلمة واحدة، حين تقول:

أي شيء حسن للفتى لم يك لك⁽³⁾

فالشجاعة والكرم والفصاحة والبيان، والبر والحلم وغيرها كلها مجموعة في هذا البيت
الشامل لكل الصفات المعنوية والحسية، ومثل ذلك ما وصفت به أم عمرو بن عدي بن زيد
العبادي أنها حين جمعت الصفات المعنوية والحسية، أو الخلقية والخلقية في كلمة واحدة جامعة
فتقول:

ويح عمرو بن عدي من رجل حان يوماً بعد ما قيل كمل

كان لا يعقل حتى ما إذا جاء يوم يأكل الناس عقل⁽⁴⁾

فكلمة (كمل) كلمة جامعة، لكل صفة حسنة محببة في الإنسان.

ت- البر:

بر الوالدين خلق عظيم، تخلق به العربي في كل العصور، وما شذ عن ذلك إلا القليل،
لسوء خلق، أو انعدام تربية، أو بعد عن الدين. لذلك قد نجد من الشاعرات من تفاخر ببر ابنها

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 87).

(2) السلُكة أم السُليكَ: هي شاعرة جاهلية وهي أمة سوداء، وإليها ينسب أبنها السليكَ أحد بني مقاعس من
الشعراء، أو أحد اللصوص الفتاك، وزوجها عمرو بن يثربي، ويقال له عمير السعدي التميمي من الشعراء
الصعاليك. ينظر: الأصفهاني، الأغاني (247/8)، وينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء (365/1).

(3) المرجع السابق (ص 63).

(4) عبد الرحمن، ديوان شعر الأيام (ص 106).

لها، وأن بره ما بعده بر حتى غدا كل بر دونه، تقول امرأة تدعى أم عامر بنبرة ملؤها الإيمان والتسليم بقضاء الله وقدره، وروح هذبها الإسلام:

هو الصبر والتسليم لله والرضا	إذا نزلت بي خطة لا أشاؤها
إذا نحن أبنا سالمين بأنفس	كرام رجيت أمرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها	تئوب ويبقى ماؤها وحيائها
ولا بر إلا دون ما بر عامر	ولكن نفسا لا يدوم بقاؤها
فإن أحتسب أوجر وإن أبكه أكن	كباكية لم يحيي ميتا بكاؤها ⁽¹⁾

ث - العقوق:

لعل العقوق من أسوأ الأخلاق عند العرب، ولذلك حذر القرآن منه، قال تعالى: "إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما".

تقول أم ثواب الهزانية⁽²⁾:

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه	أم الطعام ترى في ريشه زغبا
حتى إذا أض كالفحال شذبه	أبّاره ونفى عن متنه الكريا
أنشأ يمزق أثوابي ويضربني	أبعد شيبني عندي يبتغي الأدبا
إني لأبصر في ترجيل لمته	وخط لحيته في وجهه عجا ⁽³⁾

(1) التونجي، شاعرات عصر النبوة (ص222). ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج3/216).

(2) ليس لها ترجمة إلا مناسبة الأبيات .

(3) يموت، شاعرات العرب (104). الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، (ص537). والمبرد، الكامل،

(ج1921). الفرخ: صغير الطير. الزغب: ما يبدو من ريش. أم الطعام: المعدة. أض: صار. الأبار:

الملقح للنخل. الكرب: أصول الأعذاق. المتن: الظهر. ترجيل: تسريح. اللمة: شعر الرأس يلم بالمنكب.

قدمت الشاعرة شكواها من عقوق ابنها، بذكر تربيتها ورعايتها لولدها حين كان صغيرا، فهو في صغره وضعفه، وتساقط قوته، وتخلخل بنيته، ورخاوة مفاصلة ، كفرخ القطا الذي لم يستبدل زغبه شكيرا، ولا بانحلال عقده تماسكا فأقبلت تربيته وأعظم شئ في بطنه، وأرقيه في مدارج النشأ والترشيح وهو لا يميز ما ينفعه مما يضره، في صيانة كاملة، وشفقة بارعة، وحفظ متصل، واشفاق مطرد، ولم أزل أتفقده، حتى استكمل شبابه، وبرع نباته، وامتد قوامه، فصار كفحل النخل وقد قتل منه شذبه، وألقى عن ظهره كربه، ليكمل طوله، ويتم غراسه، لكنه بعد أن بلغ هذا المبلغ ابتداء يضرني ويمزق ثيابي، مرشدا ومؤدبا، وتتساءل متعجبة أبعد الشيب يطلب تأديبي؟! ثم إن هذا الابن العاق الذي يضرب أمه العجوز - وهو أشد العقوق ونكران الجميل، وقطع الرحم - يفعل ما فعل مدفوعا من زوجته التي تحرضه في السر، وتظهر غير ذلك في العلن. وتقول:

إنني لأبصر في ترجيل لمته وخط لحيته في خده عجا
 قالت له عرسه يوما لتسمعي مهلا فإن لنا في أمنا أريا
 ولو رأنتي في نار مسعرة ثم استطاعت لزدت فوقها حطبا (1)

إنها تتعجب تحول ابنها من حالته الأولى صغيرا ضعيفا، إلى ذلك الرجل القوي الذي يرجل لمته، وبطبع زوجته، التي تتافق أمه سمعة ورياء وتقول: كف عن إيذاء أمنا، فإننا بحاجة إليها. لكن الأم أخبر بمكنون سريرتها، وما ينطوي عليه قلبها، وأن تود لو أن الابن يزيد في تعذيب أمه، فهي لو وجدتها في نار محرقة لزدت النار احتراقا. (2)

إذا كانت زوجة الابن العاق سابق الذكر كانت حانقة على أمه كارهة لها، من دون ما ذنب ولا جريرة فإنما الأم في موضع اخر تتصرف تصرفا مغايرا، فلا ترضى لابنها العاق الذي أغضبها ولم يسمع كلامها، وتزوج امرأة لم تكن راضية عنها، لم ترضى له أن يطلقها، رغم ما تتصف به الزوجة من خبث وسوء طبع، وتطلب منه أن يصبر عليها ويسامحها، ويفعل معها فعل الأحرار، لعل صروف الدهر تهلكها وتكفيها شرها، فكم من كريم قد ابتلي بامرأة سيئة

(1) المبرد، الكامل (ج 1 \ 192). ويموت، شاعرات العرب، (ص104). عرسه: زوجته. الأرب: الحاجة. مصعرة: موقدة.

(2) ينظر الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة (ص537).

الأخلاق وصبر عليها حتى هلكت، فأبدله الله امرأة حسنة عفيفة، دقيقة الخصر مصقولة الظهر
وثغر كثير النظافة، مجلو الأسنان، صغير طيب الرائحة. تقول:

لعمري لقد أخلفت ظني وسؤتي	فحزت بعصيانى الندامة فاصبر
ولاتك مطلقا ملولا وسامح ال	قرينة وأفعل فعل حرّ مشهّر
فقد حزت بالورهاء أخبت خبثة	فدع عنك ما قد قلت يا سعد واحذر
تربص بها الأيام عل صروفها	سترمي بها في جامح مستعر
فكم من كريم قد مناه الإله	بمذمومة الأخلاق واسعة الحر
فطاولها حتى أتها منية	فصارت سفاة جثوة بين أقبر
فأعقب لَمّا كان بالصبر معصما	فتاة تمشّى بين إتب ومأزر
مهفهفة الكشحين محطوطة المطا	كمها الفتى في كل مبدى ومحضر
لها كفل كالدعص لبده الندى	وثغر نقي كالأقحاحي المنور ⁽¹⁾

إن الأم ترى أن عصيان ابنها لها أورثه الندامة لكنها رغم عدم رضاها عن فعله، وعن زوجته، لا ترضى لابنها أن يكون مطلقا وتحته على الصبر، عسى الله أن يأخذها ويهلكها، ويبدله خيرا منها، إلا أنه لا يسمع لقولها ويرد عليها هاجيا لها ومتمنيا هلاكها فيقول:

يا ليت ما أمتنا شالت نعامتها أيما إلى جنة أيما إلى نار

(1) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج 2 \ 409 \ 411). ويموت، شاعرات العرب (ص 102، ص 103).
المطلق: كثير الطلاق. الورهاء: الحمقاء. التربص: الإنتظار. صروف الأيام: نوائبها ومصائبها. الجامح:
النار الشديدة. مناه: ابتلاه. الحر: فرج المرأة. السفاه: الكومة من التراب. الجثوة: الحجارة المجموعة.
محطوطة المطا: ناعمة الظهر. كمها الفتى: كما يحب. الضعص: ما استدار من الرمل. الأقحوان: زهر
أبيض.

تلتهم الوسق مشدودا أشظنه
كأنما وجهها قد طلي بالقار
ليست بشبعي ولو أوردتها هجرا
ولا برياً ولو قاظت بذى قار⁽¹⁾
تقول:

خرقاء بالخير لا تهدي لوجهته
وهي صناع الأذى في الأهل والجار⁽²⁾

إن هذا الابن لم يعق أمه فعلا فقط، بل وقولا أيضا، فهجاها هجاء مقذعا وتمنى موتها غير مكترث بمصيرها إلى جنة أو إلى نار، فهي تلتهم الوسق (ستون صاعا) ولا تشبع حتى ولو نزلت بهجر التي يكثر بها التمر، ولا ترو ولو قاظت بذى قار ثم يسمها بسواد الوجه كأن وجهها طلي بالقار، وهو الزيت. ثم إنها تحاول وعظه فلا يتعظ تقول:

حذاري بني البغي لا تقرينه
حذاري فإن البغي وخم مراتعه
وعرضك لا تبذل بعرضك إنني
وجدت مضيع العرض تلحى طبائعه
وكم قد رأينا الدهر غادر باغيا
بمنزلة ضاقت عليه مطالعه⁽³⁾

فلم يزل به شره، حتى وثب على ابن عم له، فأوقعه ابن عمه على الأرض فدق عنقه فمات.
فقال كالشامته:

مازال ذو البغي شديد هبصه
يطمر من يقهره ويهصه
ظلما وبغيا والبلاء تنشصه
حتى أتاه قرنه فيقصه

فعاد عنه خاله وعرصه⁽⁴⁾

(1) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج 411\2).

(2) السيوطي، شرح شواهد المغني (ج 186\1).

(3) المرزباني، أشعار النساء (ص 91).

(4) المرجع السابق (ص 91). والسيوطي، شرح شواهد المغني (ج 187\1). الهبص: العجلة. يهصه: يطأه

ويشدخه. القص: قطع الهدب والشعر وأطراف الأذنين.

ج- الغدر:

الأم لا ترضى أن يعق ابنها ولي نعمته، ويجحد فضل من أحسن إليه، فإذا ما فعل، سارعت للومه والدعاء عليه، حتى لو كان صاحب الفضل من أعدائها فإنه لا ينبغي له أن يخونه ويكفر نعمته. فأم ناشرة التغلبية أنكرت على ابنها ناشرة قتل همام بن مرة البكري، الذي تنبأه ورباه، وذلك عندما نشبت حرب بكر وتغلب، حيث مال إلى قومه التغلبين، تقول:

ألا ضيع الأيتام طعنة ناشرة أناشر لا زالت يمينك واترة
قتلت رئيس الناس بعد رئيسهم كليب ولم تشكر واني لشاكرة⁽¹⁾

إنها تدعو على ولدها ببتريده التي طاوعته وقتلت ولي نعمته، فلم يحفظ الجميل، بل كان غادرا، ماكرا، قاطعا للرحم عاقا لولي النعمة، ولم يراعي إلا ولا ذمة في ولي النعمة، وسيد القوم بعد كليب، ولذلك نجدها تسارع بالفخر بابنها، معلنة أنه لا يغدر بأحد حتى وإن غدر به، تقول أم معدان الشيبانية:

معدان من للحي إذا هبت شامية فجورا
عسراء من قبل الشمال تكاد تنتزع الكسورا
وتبادر القوم القداح وأغلت السنة الجزورا
غدرت به بهراء ولم يكن ابني غدورا⁽²⁾

وتفخر عمرة الخنعمية بوفاء ابنيها وعونهما لقومهما، دونما عجز أو ضعف أو خشية من غدر، أو خذلان، فتقول:

هما أخوا في الحرب من لا أخا له إذا خاف يوما نبوة فدعاهما
إذا نزل الأرض المخوفة بها الردى يخفض من جأشيها منصلاهما

(1) يموت، شاعرات العرب (ص39).

(2) المرزباني، أشعار النساء (ص127).

إذا استغنيا حب الجميع إليهما ولم ينأ من نفع الصديق غناهما
إذا افتقرا لم يجثما خشية الردى ولم يخش رزعا منهما مولياهما⁽¹⁾

ثانيا: الصفات الحسية (الخلقية):

الأم مقلة في وصف ابنها الكبير وصفا خلقيا، وذلك لأنها كغيرها، تهتم بالصفات المعنوية التي تتناسب المرحلة العمرية، فالابن غدا رجلا قويا، شجاعا كريما، حليما ذا همة عالية... أما الصفات الخلقية فتتناسب مرحلة الطفولة أكثر، لكننا نجد بعض الذكر للصفات الخلقية بشكل موجز وقليل ومن ذلك قول أم بسطام ابن قيس:

لبيك ابن ذي الجدين بكر بن وائل فقد بان منها زينها وجمالها
إذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم نجوم سماء بينهن هلالها⁽²⁾

تقول إن بكر بن وائل فقدت الجمال والحسن بفقد ابنها الذي يشبه القمر بين النجوم، إنها تصف ابنها وصفا مجملا، فالقمر يضرب به المثل في الجمال العام دون تفصيل.

وتفخر الخرنق بأبنائها وقومها، مظهرة صفة الفحولة والرجولة والقوة من خلال صفة خلقية، حيث كثافة الشعر في الجسم عامة، وفي الذراعين خاصة. تقول:

النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الأزر
الضاربون بحومة نزلت والطعانون بأذرع شعر⁽³⁾

فالذراعان غطاهما الشعر رجولة وفحولة وقوة في البنيان الجسدي.

(1) المرزباني، أشعار النساء (ص127). والأصفهاني، شرح ديوان الحماسة (ص759).

(2) مارديني، شواعر الجاهلية (ص298).

(3) الخرنق، الديوان (ص43-44).

وتصف زوجة عبدالله بن عباس ابنها بالدرتين اللتين تشقق عنهما الصدف فتقول:

يا من أحس بنيي اللذين هما كالدريين تشظى عنهما الصدف⁽¹⁾

وتذكر امرأة أعرابية أن ابنها لجماله وحسن جلاله كان لهوا للعيون وقرة لها، يعجب الناظرين لجماله وحسنه تقول:

لئن كنت لهوا للعيون وقرة لقد صرت سقما للقلوب الصائح⁽²⁾

لا يكون المرء لهوا للعيون، إلا إذا كان وسيما جميلا، يسر الناظرين إليه، يعجبهم بحسنه وجماله، ويسلب الألباب بظرفه وحسن فعاله.

لم تكثر المرأة في وصف الابن الكبير وصفا خلقيا حسيا، وأكثرت من الصفات الخلقية المعنوية، وربما لأن الصفات الحسية لا تناسب الشباب وما فيه من الرجولة والفحولة، لذلك أهملتها حين تحدثت عنه كبيرا، وأكثرت منها حين كان صغيرا، لأن الصفات الحسية تناسب الأطفال الصغار، ولا تناسب الكبار.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص178).

(2) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج3/213).

المبحث الثالث:

الأخ

المطلب الأول: مكانة الأخت عند أخيها:

أحب الأخ أخته وأعزها، وأحبت الأخت أخاها واعتزت به، ومن مظاهر حب الأخ لأخته مقاسمته إياها في ماله، جاء في حديث الخنساء لعائشة _ رضى الله عنها _ أذ قالت إن والدي زوجني رجلا مبذرا، فأذهب ماله، فأتيت إلى صخر فقسم ماله شطرين، فأعطاني خيرهما، ثم ضيع زوجي ماله مرة أخرى، فقسم أخي ماله شطرين، فأعطاني خيرهما. فلما كانت المرة الثالثة قالت امراته: أما ترضى أن تعطيهما النصف حتى تعطيهما الخيار؟ فقال:

والله لا أمنحها شراها وهي حصان قد كفتني عارها

وإن هلكت خرقت خمارها واتخذت من شعر صدرها

فآليت ألا يفارق الصدر صدري ما بقيت. (1)

ومن مظاهر حب الأخ لأخته الاستماع لمشورتها، والإذعان لرأيها في أمور شتى ومن ذلك أن سفانة ابنة حاتم الطائي _ بعد أن أطلقها النبي صلى الله عليه وسلم من السبي وكساها _ لحقت بأخيها عدي، وكان قد فر إلى الشام هاربا، فرغبته في الإسلام، وأن يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا، وجاء في كلامها: "فإن يكن الرجل نبيا فليسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذلل في عز اليمن وأنت أنت" فقال لها: "والله إن هذا للرأي، وقدم على رسول الله وأسلم. (2)

وكان الأخ يحمي أخته حتى من زوجها القوام عليها، ومن ذلك أن كليب وائل قتل لبيد بن عنبسه زوج أخته، وكان قد لطمها لطمه شديدة، سجرت منها عيناها، وتنفض من قدر أخيها، وفي الحادثة تقول:

ما كنت أحسب والحوادث جمة أتأ عبيد الحي من غسان

(1) ينظر الجاحظ، المحاسن والاضداد (ص 171).

(2) ينظر النووي، نهاية الادب في فنون الادب (ج 18/79).

حتى علتني من لبيد لطمه سجرت لها من حرها العينان
 إن ترض تغلب وائل بفعالهم تكن الأدلة عند كل رهان
 لولا الوجيهة قطعتني بكرة جرباء مشعلة من القطران (1)

وكان من أثر ذلك حرب زبون بين اليمنيين ومضر ومن حالفهما. (2)

ومن حبه لها، وتقديره وإعزازه، أن يجير من أجارت، فقد أجارت امرأة من بني قيس بن ثعلبة، السليك بن السلكة حين استجار بها من بكر بن وائل، وحين أراد القوم أخذه عنوة، وغلبوها، ونزعوا خمارها، صرخت في إخواتها وكانوا عشرة، فمنعوا القوم وأجاروا السليك، فضرب بها المثل، فقالت العرب أوفى من فكيهة، وفي ذلك يقول السليك مادحا(3):

لعمر أبيك والأنباء تنمي لنعم الجار أخت بني عوارا
 من الخفريات لم تفضح أباهما ولم ترفع لإخوتها شنارا
 وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السيف واستلبوا الخمارا (4)

والأخ يغار على أخته_ كما يغار على زوجته، ومن ذلك أن القتال _ عبدالله المضرحي كان يتحدث إلى ابنة عمه، فرأهما أخوها زياد، فنهى القتال، وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنه وبعد أيام رآه يحدثها، فأراد ضربة بالسيف ففر القتال هاربا، فتبعه زياد، فلما دنا منه زياد ناشده القتال بالله وبالرحم، فلم يلتفت إليه، فعطف القتال على زياد فقتله (5) وقال:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص31).

(2) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص316).

(3) السليك بن السلكة. (000 - نحو 17 ق هـ = 000 - نحو 605 م). السليك بن عمير بن يثري بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه: فاتك، عداء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية. يلقب بالربئال. كان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة. وكان لا يغير على مضر. وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة. قتله أسد ابن مدرك الخثمي. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج3/115).

(4) فرحات، ديوان الصعاليك (ص187- ص 188).

(5) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص317)

نشدت زيادا والمقامة بيننا
وذكرته أرحام سعد وهيثم
فلما رأيت أنه غير منته
أملت له كفي بلدن مقوم
ولما رأيت انني قد قتلته
ندمت عليه أي ساعة مندم (1)

وهو يغار عليها من أن يتغزل بها أحد لأن في غزله تشهيرا بها، وجرحا لشرف أهلها، علم الأصبع بن محصن أن ابن الدمينة يحب أخته جنوب، فألى يمينا لئن عرض لها، أو زارها ليقتلته، ولئن عرض بها في شعره، أو ذكرها ليأسرته ثم لا يطلقه حتى يجز ناصيته في نادي قومه، فبلغ ذلك مالكا فقال:

فما الحلق بعد الأسر شر بقية
من الصد والهجران وهي قريب
أحب هبوط الواديين وإنني
لمشتهر بالواديين غريب
أحقا عباد الله أن لست خارجا
ولا والجا إلا على رقيب
وهل ربيعة في أن تحن نجبية
إلى إلفها أو أن يحن نجيب (2)

لهذا كان الغزل بالأخت يتخذ أحيانا وسيلة للكيد والإغظة والتجريح، كما تغزل قيس بن الخطيم (3) بعمره بنت رواحة في تمهيدته للفخر بانتصار الأوس على الخزرج في يوم بعث:

أتعرف رسما كاطراد المذاهب
لعمرة وحشا غير موقف راكب
تراعت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها وضنت بحاجب (4)

(1) العبيدي، التذكرة السعدية في الأشعار العربية (ص5)

(2) الزجاجي، الأمالي (ص154)

(3) قيس بن الخطيم واسمه ثابت بن عيدي بن عمرو بن سواد بن ظفر وهو كعب بن الخزرج بن عمرو وهو النبيث بن مالك بن الأوس بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزدي. وقيس يكنى أبا يزيد وكان مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين براق الثيايا حسن الصورة. شاعر مجيد فحل. ينظر المرزباني، معجم الشعراء، (ص321).

(4) ابن الخطيم، الديوان (ص15).

فرد عليه عبدالله بن رواحة عدوانا بعدوان، وتغزل في ليلى بنت خطيم أخت قيس:

اشاقتك ليلى في الخليط المجانب نعم فرشاش الدمع في الصدر غالبي (1)

ومن حب الأخ لأخته حمايتها وافتداؤها بكل غال ونفيس، فالعصر الجاهلي كان عصر حروب ونزاعات، فإذا ما وقعت الأخت في الأسر، افتداها أخوها بأعز ماله، فقد أسر عمرو بن الحارث العكلي، حسينة بنت جابر العجلي؛ أخت أبجر بن جابر في يوم العذاب في الجاهلية، ففادها أخوها أبجر بمائة من الإبل وخمسة أفراس، فسار معها عمرو بن الحارث حتى جوزها أرض تميم، وقال مصورا موقف أخيها أبجر، وحرصه على فداء أخته:

وكانت صفوتي من سبى عجل حسينة من كواعب كالظباء

وهبناها لأبجر إذ أتانا وفينا غيرها منهم نساء

فكان ثوابه منها جيادا وسوق هنيذة فيها رعاء (2)

ومن حبه لها أنه حريص على أن تحيا حياة سعيدة بعد زواجها، حياة كريمة، تصان فيها كرامتها، مع رجل يحقق لها العزة والمتعة، يقول امرؤ القيس في وصيته لأخته هند:

أيا هند لا تتكحي بوهة عليه عقيته، أحسبا

مرسعة بين أرساغة به عسم يبتغي أرئبا

ليجعل في كفها كعبها حذار المنية أن يعطبا

ولست بخذرافة في قعود ولست بطياخة، أحدبا

ولست بذى رثية، إمّر إذا قيد مستكرها أصحابا

وقالت بنفسى شباب له ولمته، قبل أن يشجبا

(1) ابن الخطيم، الديوان (ص36).

(2) المرزباني، اشعار النساء (ص133).

وإذ هي سوداء مثل الفحم تغشي المطانِب والمنكبا (1)

والأخت كذلك تحب أخوها، وتعتر به، وكثيرا ما كانت تؤثره على زوجها، "لأن روابط العاطفة في الجماعات الأولى كانت بين الأب وابنته، والأخ وأخته، أقوى منها بين الزوج وزوجته. (2)

ولم لا وهو ملجؤها في وقت العسر والضيق فقد كان صخر ابن الشريد حلالا لمشكلات أخته الخنساء المالية كما أسلفنا تقول مصورة ذلك:

وكنت إذا ما خفت أرداف عسرة أظل لها من خيفة أتقع

دعوت لها صخر الندى فوجدته لها يسرا يجلى به العسر أجمع (3)

لذلك ليس غريبا أن نجد الأخت تطلق لسانها متغنية بمناقب أخيها صانعة منه نموذجا فريدا قل مثيله، فهو في الحرب الفارس الشجاع المقدام، الصبور على مجالدة الأعداء، وهو في الجذب والقحط جواد كريم، يعطي بسخاء، راضي النفس، يشمل كرمه الضيف الغريب، والطفل الصغير، والمرأة الأرملة، وسائر الفقراء، وهو في المجالس الحكيم الحليم، الفصيح، يحاجج عن قومه، ويدفع خصومة.

فإذا ما فقدته بالموت، شقت جيبها، وخمشت وجهها، ولطمت خدها، وحلقت شعرها، وضربت بالنعال صدرها، وبكته بحرقة وألم، ورثته متفجعة متوجعة.

(1) امرؤ القيس، الديوان (ص80). بوهة : بومة، العسم : اليبس في مفصل الرسغ، الخذرافة : الخفيف الكثير الكلام، الطياخة : الذي طالما يقع في بلية وسوء، الاحدب : الاحمق، يشجب : يموت، المطانِب : جمع مطنِب وهو العائق

(2) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص319).

(3) الخنساء، الديوان (ص77 - ص78).

المطلب الثاني: صورة الأخ في شعر النساء

أولاً: الصورة المعنوية:

أ- السيادة:

أكثرت شواعر العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي، من نعت إخوانهن بالسيادة والريادة والقيادة، حيث إن السيد يمثل بطلا عظيما من أبطال القبيلة، وبه يقتدى بقية الأبطال، وقد وقف العرب كثيرا عند صفاته التي يجب أن يتصف بها، واشتروا أن يكون جامعا بجوانب البطولة المختلفة كأن يتحمل أذى قومه، ولذلك قيل للسيد (محتمل أذى قومه) وأن يكون شريفا في أفعاله، حليما يغض نظره عن أعمال الحمقى والجهلة، وأن يتجاهل السفلة السفهاء، فلا يغضب ولا يثور، وأن يكظم غيظه، وأن يحترم الناس مهما كانت منازلهم، وأن يؤلف بينهم، ويكتسب محبتهم، وأن يكون ملاذهم، وأن يجعل بيته بيتا للجميع، ومضيفا لكل من يغدو إليه من كبير أو حقير أو صغير، وأن يفتح قلبه للجميع وعليه أن يكون في مقدمة القوم في الحروب والغزو، وأن يكون شجاعا لا يهاب الموت حتى يكسب النصر لقومه ولنفسه. (1) ولا يشترط أن تتوفر في السيد كل الصفات السابقة، فقد تتوفر له بعضها، وقد لا تتوفر له أخرى، وشروط السيادة تختلف من قبيلة الى أخرى، يقول الجاحظ " كانت العرب تسود على أشياء، أما مضر فتسود ذا رأيها، وأما ربيعة فمن أطعم الطعام، وأما اليمن فعلى النسب، وكان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والتواضع، والبيان، وصار في الإسلام سبقا وقيل لنفيس بن عاصم بم سدت قومك؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصرة المولى، وتعجيل القرى، وقد يسود الرجل بالعقل والعفة، والأدب والعلم، قال بعضهم: السؤدد اصطناع العشيرة، واحتمال الجريرة " (2) تقول ناجية بنت ضمضم في رثاء أخيها هرم:

يا لهدف نفسي لهدفه المفجوع أن لا أرى هرما على مودوع
من أجل سيدنا ومصراع جنبه علق الفؤاد بحنظل مجروع (3)

(1) ينظر دراوشة، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي (ص90).

(2) الالوسي، بلوغ الأرب (ج2/187).

(3) يموت، شاعرات العرب، (ص47). مودوع: اسم جواده.

فأخوها سيد قومه الذي فجعت بموته حتى أنها لا تطيق أن ترى أحدا على فرسه غيره.
وصخر بن الشريد سيد قومه، فهو شريف النسب، عالي المجد، تقول الخنساء:

مورث المجد ميمون نقييته ضخم الدسيعة في العزاء مغوار
فرع لفرع كريم غير مؤتشب جلد المريرة عند الجمع فخار (1)

وهو سيد يخضع له الناس، ويقومون له إجلالا وتعظيما وتقديرا:

ملك ماجد يقوم له النا س جميعا قيامهم للهلال (2)

ولا يستطيع أحد أن يصل الى منزلة رفيعة إلا وكانت منزلته أعلى، تقول:

على ماجد ضخم الدسيعة بارع له سورة في قومه لا تحول
فما بلغت كف امرئ متناول بها المجد الا حيثما يلت أطول (3)

وما نال صخر المكانة العالية بين قومه إلا لأنه حاز من كل مكربة أعلاها تقول:

وإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشئتو لنحار
وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا وإن صخرا إذا جاعوا لعقار
وإن صخرا لتاتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
وللحروب غداة الروع مسعار وللحروب غداة الروع مسعار
حمال الوية هباط أودية شهادة أندية للجيش جرار

(1) الخنساء، الديوان (ص47)، فرع الفرع: أي رأس لرأس، المؤتشب : المخلوط النسب، المريرة: ابرام الرأي.

(2) المصدر السابق (ص88).

(3) المصدر نفسه (ص91).

نَحَار رَاغِيَةً مَلْجَاءً طَاغِيَةً فَكَأكَ عَافِيَةً لِلْعَظْمِ جِبَار (1)
تقول:

قَد كَانَ فِيكُمْ أَبُو عَمْرٍو يَسُودُكُمْ نَعَمُ الْمَعْمَمُ لِلدَّاعِينَ نَصَار
إن اجتماع كل الخصال السابقة لأخيها، أهلتها لسيادة قومه صغيرا، تقول:

رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النِّجَا دَسَادُ عَشِيرَتِهِ أَمْرِدَا
إِذَا بَسَطَ الْقَوْمُ عِنْدَ الْفُضَال أَكْفَهُمْ تَبْتَغِي الْمَحْمَدَا
وَكَمَا ابْتَدَاهُمْ لِلْعُلَى أَشَارَ فَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَا
فَنَالَ التِّي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنْ الْمَجْدِ ثُمَّ انْتَمَى مَصْعَدَا (2)

وتذكر الخرنق بنت بدر أن أخاها طرفة ساد قومه شابا فتقول:

عَدَدْنَا لَهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ حِجَةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدَا ضَخْمَا (3)
وتقول الخنساء وهي تحت عينيها على البكاء لفقد الفتى السيد الجريء المقدام:

أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِيءِ الْجَمِيعِ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا (4)

وتبكي رائطة بنت شيزم⁽⁵⁾ أخويها السديين اللذين يحميان الديار، ويدفعان الأعداء
بشجاعة وبأس فتقول:

(1) الخنساء، الديوان (49)،

(2) المصدر السابق (ص31).

(3) الخرنق بنت بدر، الديوان (ص15).

(4) الخنساء، الديوان (ص31).

(5) لم أعثر لها على ترجمة.

لهفي على الأخوين كالأسدين مسعود وحاتم

السيدان المانعين الذائدين عن المحارم

الفاثقين الراءعين السابقين إلى المكارم (1)

إنهما شجاعان يدافعان عن المحارم بجرأة الأسود ،سباقان إلى المكارم والمحامد وهذه صفات سادة الناس ،والسيد في الجاهلية كان مطاعا، إذا قال استمع الناس لقوله وإذا حكم رضي بحكمه، وإذا أمر قوبل أمره بالسمع والطاعة، تقول الخنساء:

ورأيه حكم وفي قوله مواعظ يذهب داء العليل (2)

وبعد فهذه بعد الشواهد التي رسمت صورة الأخ السيد في المجتمع الغربي القديم، حيث كان للخنساء الحظ الأوفر منها، فالسيادة لا تكون إلا مع خصلتين مهمتين هما الشجاعة والكرم، وهما خصلتان سافصل القول فيها إن شاء الله.

2 - الشجاعة

حياة العرب قبل الإسلام كانت حياة مضطربة، حياة مليئة بالعصبية والقبلية والبقاء فيها للأقوى، فالصراع على الماء والكلأ كان محتدما، لذا مجّد العرب الشجاعة والبطولة والإقدام، فنجد شعر النساء مليئا بذكر الشجاعة، والفروسية، والبطولة، والذود عن الرحمات والحمى. "والعرب في الجاهلية لم يكونوا يبكون الميت بكاء مرا، ويؤبنونه تأبيننا شجيا ؛ من أجل رابطة الدم التي تربطهم به وحسب، وإنما ما يضاعف حرقتهم عليه، أنهم يرون أنفسهم قد فقدوا بفقدته نموذج القيم، التي كانوا يؤمنون بها، وبها يهتدون في حياتهم، فهو عندهم نموذج الشجاعة، وحماية الجار ". (3)

(1) ابن منقذ، المنازل والديار (ص448).

(2) الخنساء، الديوان (ص96).

(3) ابن صالح، هند بن صالح ابراهيم، الشعر الجاهلي عنتره، الخنساء، النابغة (ص61).

تقول أم عمرو وأخت ربيعة بن مكرم⁽¹⁾ في رثاء أخيها ربيعة الذي كان من فرسان العرب المعدودين:

فتى هو خير من أخيك مالك إذا احمر أطراف الرماح من الدم
وشب حروب بينكم وتقصفت عوال بأيدي شجعة غير لوم⁽²⁾

وتصف جنوب⁽³⁾ أخت عمرو ذي الكلب أخاها بالاسد الذي يهلك النفوس ويحمي عرينة شجاعا باسلا ليس بالجبان ولا الطائش تقول:

فأقسم يا عمرو لو نبهاك اذن نبها منك داء عضالا
أذن نبها غير رعيادة ولا طائش رعرش حين صالا
إذن نبها ليث عرية مفيدا مفيتا نفوسا ومالا
إذن نبها واسعا ذرعة جميع السلاح جليدا بسالا
هزيرا فروسا لأقرانه أيبا إذا صاول القرن صالا⁽⁴⁾

وهو فارس لا يقو أحد على لقائه والثبات أمامه فأعداؤه يفرون من أمامه تاركين حرماهم سلبا له:

(1) أم عمرو بنت مكرم: وهي أم عمرو بن مكرم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان بن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، كان أخوها ربيعة بن مكرم أحد فرسان مضر المعدودين قتله نبيشة بن حبيب السلمي فرثته أخته أم عمرو. ينظر: مارديني، شواعر الجاهلية (ص33).

(2) مارديني، شواعر الجاهلية (ص222) الشجعة: الشجعان، واحدهم شجاع.

(3) جنوب الهذلية: هي جنوب بنت العجلان بن عامر بن برد بن منبه إحدى بني كاهل بن هذيل وهي شاعرة جاهلية هذلية رثت أخاها عمراً ذا الكلب. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، (415/10)، وينظر: البصري، الحماسة البصرية (255/1).

(4) المرجع السابق (ص233). العضال: الشديد، الرعيدي: الجبان، الطيش: خفة العقل، الرعرش: الجبان، العرية: ماوى الاسد، المفيت: مهلك النفوس والمال، واسع الذرع: واسع الخلق، الذرع: الطاقة، الباسل والبسيل: الشجاع.

وقد علمت فهم عند اللقاء

بأنهم لك كانوا نفالاً

كأنهم لم يحسوا به

فيخلوا النساء له والحجالاً (1)

وتتجلى البطولة والشجاعة التي أرهبت العدو، ففروا من وجه أخيها الذي أرهب الفرسان، واستباح حماهم، وحمى الديار، وسد الثغور، ولكن الشاعرة بعد هذا كله تعتذر كونها لم تمدحه بما هو أهله ولم تبلغ قدره فتقول:

وخيل سرت لك فرسانها

فولوا ولم يستقلوا قبالا

وحي أبحت وحي صبحت

غداة الهياج منايا عجالا

وكل قبيل وإن لم تكن

أردتهم منك باتوا وجالا

وخوف وردت وثغر سددت

وعلج شددت عليه الحبالا

ومال حويت وخيل حميت

وضيف قريت يخاف الوكالا

وأبراد عصب وخطية

بنيت لقومك منها الظلالا

فما بلغت مدحتي لا مريء

يزم الكمأة ويعطي النوالا

وينزل في غمرات الحروب

إذا كره المحجمون النزالا (2)

وتزهو الشاعرة بشجاعة أخيها، وتتعالى بنسبه، مفاخرة على قبيلة هذيل، فهو خيرهم نسبا، وأشدهم بأسا، يجيد الطعان، وقتل الأقران، ويستبيح الحرمات ويسبي الفتيات، والكواعب الحسنات تقول:

(1) مارديني، شواعر الجاهلية (ص234) النفل: الغنيمة، الحجال : جمع حجله وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والسور.

(2) المرجع السابق (ص253 - ص 236) القبيل :الجماعة من الناس، الوجال : جمع وجل وهو الخائف، العلج : الرجل الشديد الغليظ، الوكال : العجز والضعف، العصب : ضرب من برود اليمن، الخطية : سيوف عمانية.

أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها	عني رسولا وبعض القول تكذيب
بأن ذا الكلب عمرا خيرهم نسبا	ببطن شريان يعوي عنده الذيب
الطاعن الطعنه النجلاء يتبعها	مثنجر من دمء الجوف أتعوب
والتارك القرن مصفرا أنامله	كأنه من نقيع الورس مخضوب
تمشي النسور إليه وهي لاهية	مشي العذارى عليهن الجلابيب
المخرج الكاعب الحسناء مذعنة	في السبي ينفح من أردانها الطيب
فلم يروا مثل عمرو ما خطت قدم	ولن يروا مثله ما حنت النيب (1)

وتلجأ الفارعة بنت شداد⁽²⁾ إلى صيغ المبالغة ؛ لبيان شجاعة أخيها وكرمه، وفصاحته، وشدة بأسه، وجماعه لكل خصال الخير، حتى غدا محمودا عند أهله وجيرانه، تقول:

شهاد أندية رفاعة أبنية	شداد ألوية فتاح أسداد
كار راغية قتال طاغية	حلال رايبية فكاك اقياد
قوال محكمه نقاض مبرمة	فراج مبهمه حباس اوراد
حلال مرعة حمال مضلعه	قراع مفضعه طلاع انجاد (3)

- (1) مارديني، شواعر الجاهلية (ص237-ص238) شريان : وادي، المثنجر: السائل من الماء والدمع، انتعب الماء: سال، القرن: الكف والنظير، الورس: نبت اصفر يصبغ به، الجلابيب: مفردها جلباب وهو القميص الكاعب: الانثى كعب ثديها مذعنة: مطيعة، اردانها: اكمامها، النيب: مفردها ناب وهي الناقة المسنة.
- (2) الفارعة بنت شداد: شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية ونقلت بعض المصادر أن أسما عمرة بنت (داد)، وأوردت المصادر للفارعة رثاءها في أخيها مسعود بن شداد، ينظر: مارديني، شواعر الجاهلية (ص104).
- (3) مارديني، شواعر الجاهلية (ص290) الراغية:الناقة، المحكمة : الخطبة او القصيدة، المبرمة الامور : المحكمة، الاورد : جمع وردوهم الجماعة الواردون الى الماء، الممرعة : الارض المعشبة، المضلعة : المتقلبة الاضلاع.

وعنه تقول:

قد يطعن الطعنة النجلاء يتبعها مضرج بعدها تغلي بإزباد
ويترك القرن مصفرا أنامله كأن أثوابه مجت بفرصاد (1)

ويمثل هذا مدحت ميه بنت ضرار الضبية⁽²⁾ أخاها، قبيصة بن ضرار، فهو الفارس الشجاع؛ الذي يخوض الأهوال، ويطاعن الرجال، ويجندل الأبطال، تقول:

ما بات من ليلة مذ شد مئزرة قبيصة بن ضرار وهو موتور
الطاعن الطعنة النجلاء عن عرض كأنها قبس بالليل مسعور
التارك القرن مصفرا أنامله تحت العجاجة يسفي فوقه المور (3)

وتصف الخنساء أخاها معاوية بالشجاعة، والقوة والبأس، والقدرة على قتل الأبطال، حيث تتكدس الخيول، ويجتمع الفرسان، فلا يقوى أحد على الثبات في وجهه، فيولون مدبرين وهو يضربهم من خلفهم، تقول:

وخيل تكدس بالدارعين نازلت بالسيف أبطالها
تطاعنها فإذا أدبرت بللت من الدم أكفالهها (4)

(1) مارديني، شواعر الجاهلية، (ص289) القرن: الكفاء والنظير، الفرصاد: الجمرة.

(2) مَيَّة بنت ضرار بن عمرو الضبي كان أبوها ضرار من أشرف ضبة وساداتها وفرسانها تولى مدَّة رئاسة الكعبة في الجاهلية فلما قتل صارت بعده لقبیصة ابنه، فلما قتل قبيصة رثته أخته مَيَّة بنت ضرار. ينظر: شيخو، رياض الأدب في مرثي شواعر العرب (ج1/150).

(3) المرجع السابق (ص301) العوراء: الكلمة القبيحة، المور: الغبار تثيرة الرياح.

(4) الخنساء، الديوان (ص101).

وتصف الفارعة القشيرية⁽¹⁾ أخاها قدامه بالفارس الشجاع بعيد الغارات، يؤلم عدوه طعانه:

أضاعوا فتى غير جثامة طويل النجاد بعيد المغار
يئن الفوارس عن رمحه بطعن كأفواه كهب المطار
وفرت كلاب على وجهها خلا جعفر قبل وجه النهار⁽²⁾

وتقول ريطة بنت العباس السلمي إن أخاها فارس قومه، يقودهم في السلم والحرب، بيده اشعالها، وبيده اطفأؤها، يعصم قومه في كل شدة:

وكان إذا ما أورد الخيل بيثية إلى هضب أشراج أناخ فألجما
فأرسلها رهوا رعالا كأنها جراد زهته ريح نجد فأتها
وكان ثمال الحي في كل أزمة وعصمتهم والفارس المتغشما
وينهض للعليا إذا الحرب شممت فيطفئها قهرا وإن شاء أضرما⁽³⁾

وتشبه مية بنت ضرار أخاها وهو في مرقبته أعلى الجبل بالصقر، فهو فارس في الحرب مقدم لا يجبن إذا ما فر الجبان تقول:

وكانه صقر بأعلى مربأ من كل مرتبأ تراه شخيصا

يسر الشتاء وفارس ذو قدمة

-
- (1) الفارعة بنت معاوية القشيرية: هي شاعرة جاهلية يعود نسبها إلى قشير بن كعب بن عامر، لها شعر تُعَبِّرُ به بني كلاب؛ وذلك عندما سبي يوم النصار، فسأل بنو كلاب أن يتجافى لهم عن شطر السبي، ويسلموا الشطر. ينظر: المرزباني، أشعار النساء: (ص 65)، وينظر: مارديني، شواعر الجاهلية (ص 105).
- (2) عبدالرحمن، ديوان شعر الايام (ص 426).
- (3) يموت، شاعرات العرب (ص 96).

وتقول فيه أيضا:

كـرـيـم ثـنـا هـ وآلـه
تـرـاه عـلـى الخـيـل ذـا قـدـمـة
وـكـافـي العـشـيـرة مـا غـالـها
وـخـلـت وـعـولـا أشـارـى بـها
وـإـذا سـرـيـل الـدـم أكـفـالـها
وـقـد أـزـهـف الطـعـن اـبـطـالـها
وـلـم يـمـنـع الحـي رث القـوى
وـلـم تـخـف حـسـنـاء خـلـخالـها (1)

إنه فارس قومه، يكفي العشيرة ويمنعها، ويقدمها على فرسه، مقبلا على عدوه، وقد ملأ الدم أكفال الخيل، وعزت المتعة وأخرج الخوف النساء من أخبيتهن، فطلبن ملجأ لصون أعراضهن.

وتصف رائطة بنت شيطم (2) براعة أخويها وقتلهم لعدوهم في ميدان الحرب يضربون رؤوس الأبطال بالسيوف، ويطعنون القلوب بالرماح تقول:

الضاريين جماجم الأبطال بالبيض الصوارم
والطاعنين بكل مارنة وقاصمة وقاصم
حـدق الفـوارس بـالأسـنة والقـلوب لـدى الغـلاصـم (3)

وتصف ريطة أخت تأبط شرا شجاعة أخيها وفروسيته في الميدان وقتله لأقرانه وحمائته لظهور أخوانه فتقول:

يـجـدـل القـرن وـيـرـوي النـدـمان
ذـو مـأقـط يـحـمي وـراء الإخـوان (4)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص85). ومارديني، شواعر الجاهلية (ص 302-303). غاله : اهلكه، السريال : القميص، الاشر : البطر، أزهبه : قتله.

(2) لم أف لها على ترجمة.

(3) ابن منقذ، المنازل والديار (ص449).

(4) مارديني، شواعر الجاهلية (ص255). جد له : صرعه على الجداله وهي الأرض، المأقط : مكان الحرب أرادت أنه فارس الحرب.

وتصف أسماء بنت ربيعة⁽¹⁾ أخاها كليباً بالأسد الهصور الذي تفر الخيل والفرسان من وجهه، فلا يقدرّون على لقائه هيبه منه:

بطل ضرغامه حين بدا
من تفر الخيل في الرّوع له
تحتّه الأشقر مثل التّفّل
بطل مثل هزبر مشبل⁽²⁾

وتذكر الخنساء شجاعة أخيها بقولها:

صلب النحيزة وهاب إذا منعوا
يا صخر وراذ ماء قد تناذره
وفي الحروب جريء الصدر مهصار
أهل الموارد ما في ورده عار
حمال أويوة هباط أويوة
شهاد أنديّة للجيش جرار⁽³⁾
وتقول:

وخيل لبست لأبطالها
تصيد بالرمح ريعانها
شأبلا ودمرت قوما دمارا
وتهتصر الكبش منها اهتصارا
فألجمتها القوم تحت الوغى
وأرسلت مهرك فيها فغارا⁽⁴⁾

(1) أسماء أخت كليب التغلبيّة: هي أسماء بنت ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم التغلبيّة، شاعرة جاهليّة من تغلب شاركت مع قومها في حروبها، لها شعر في رثاء أخيها كليب، وقد ذكرت بعض المصادر أن هذا الشعر منسوب إليها. ينظر: شيخو، رياض الأدب في مرثي شواعر العرب (ج 3/1)، وينظر: كحالة، أعلام النساء (ج 61/1).

(2) ميدان، شعر تغلب في الجاهليّة (ص 212).

(3) الخنساء، الديوان (ص 45-46). النحيزة: الطليعة. المهصار: الذي يدق الأعناق. وراذ الماء: أي الموت. تناذره: أنذر بعضهم بعضا.

(4) المرجع السابق (ص 50-51). الشليل: هي الدرع ليست بسابقة، ريعانها: أولها وفضلها، تهتصر: تعطف وتكسر.

إن أخاها يفتك بالقوم فتكا، ويتصيد الأبطال تصيدا، ويعتصر الدم منهم كما يعصر الماء من الثوب.

وتشبه أخاها بالأسد الذي يكشر عن أنيابه فتقول:

حامي الحقيق عند الوغى أسدا ببيشة كاشر الأنياب

أسدا تناذره الرفاق ضبارما شثن البرائن لاحق الأقراب (1)

وهو أشجع من أسد في عرينة وبين أشباله يدافع عنهم:

أشجاع فانت أشجع من ليث عرين ذي لبدة وشبال (2)

وتصر الشاعرة على تصوير أخيها بالشجاع، الذي يحمي الحرمات ويسرع في إغاثة المستغيث وإجابة المستصرخ، فالذي يحمل هذه الصفات "يحتل في قلوب هؤلاء المكروبيين مكانة سامية، لأنه كان لا يتوانى عن تلبية استغاثاتهم الملهوفة في ميادين الوغى فيدافع عنهم وينقذهم ويحميهم من كل أذى ليبرهن بذلك على شجاعة انسانية نبيلة " (3)

وترى الخنساء أن أخاها حامي العشيرة، ومأوى للجباة والأيتام ويستقبل الضيوف ويفك العناة تقول:

يا صخر من لطراد الخيل إذا وزعت وللمطايا إذا يشدون بالكور

ولليتامى وللأضياف إن طرقوا أبيتنا لفعال منك مخبور

ومن لكربة عان في الوثاق ومن يعطي الجزيل على عسر وميسور

(1) الخنساء، الديوان (ص16). ببشة : مأسدة في بلاد العرب، تناذره : خوف بعضهم بعضا، الضبارم : صفة للأسد.

(2) المرجع السابق (ص 364).

(3) المرجع نفسه (ص346). الخطيب : الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام (ص84)

ومن لطعنة حلس أو لهاتفه يوم الصياح بفرسان مغاوير (1)

الشاعرة تريد أن تقول إن هذه المناقب ماتت بموت أخيها ،ودفنت بدفنه، وكأنه كان منفردا بها دوناً عن أقرانه وتقول في موضع آخر. واصفة شجاعته في لقاء أقرانه، وشدة بأسه في ضربة وطعانه ،حليم مع الحليم، وجهول مع الجهول، تقول:

ظفر بالأمور جلد نجيب وإذا ما سما لحرب أباحا
ويحلم إذا الجهول اعتراه يردع الجهل بعدما قد أشاحا
فارس يضرب الكتيبة بالسيف إذا أردف العويل الصياحا
يقبل الطعن للنحور بشزر حين يسمو حتى يلين الجراحا
فارس الحرب والمعمم فيها مدره الحرب حين يلقى نطاحا (2)

يتبين مما سبق حرص شواعر العرب على وصف الأخ بالشجاعة، والاقدام، والجرأة، والبأس، والمهارة في فنون القتال، والاستماتة في نصرته الضعيف، وإغاثة الملهوف، وحماية الديار وصون الحرمات، لما لهذه الأمور من أهمية في المجتمع العربي القديم.

الكرم:

أكرم صفة خلقية تحلك العربي بها، وحرص عليها وافتخر بها في مكان ومدح بها من قبل غيره، ويعرف الكرم بأنه " انتصار على شجع النفس: وبذل للمعروف في كل وجه، وكل وقت، لا يعجب ضعاف النفوس، لخشيتهم الفقر ". (3)

والعرب تتباهى باكرام الضيف، واعطاءه كامل حقوقه دون تقصير ف: " ماذا يعني الثراء عند المرء اذا حضر الموت ؟ لا شي لكن الكرم يفيد، لانه يخلد ذكره ". (4)

(1) الخنساء، الديوان (ص58).

(2) المصدر السابق (ص29).

(3) الجهني، الصورة الفنية في المفضليات (ص404).

(4) رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد (ص291).

لذلك حرص العرب على الكرم؛ لأنه يخلد ذكركم بعد موتهم، يقول حاتم الطائي:

وعاذله قامت علي تلومني كأنني إذا أعطيت مالي أخيها
أعاذل إن الجود ليس بمهلكي ولا يخلد النفس الشحيحة لومها
وتذكر أخلاق الفتى وعظامه مغيبة في اللحد بال رميمها (1)

ويقول:

مهلا نوار ألقى اللوم والعذلا ولا تقولي لشيء فات ما فعلا
ولا تقولي لمال كنت مهلكه مهلا وإن كنت معطي الجن والخبلا
إن البخيل إذا مات يتبعه سوء الثناء ويحوي الوارث الإبلا
فاصدق حديثك إن المرء يتبعه ما كان يبني إذا ما نعشه حملا (2)

ويرى زهير أن الكرم والجود يورث الناس الحمد حتى بعد موتهم، يقول:

ألم تر أن الناس تخلد بعدهم أحاديثهم والمرء ليس بخالد (3)

من هنا أكثر شاعر العرب من ذكر صفة الكرم عند حديثهم عن اخوانهم، وربطها بينها وبين الشجاعة ربطا بديعا، حتى لا تكاد تخلو صورة من صور الشجاعة، إلا وكان الكرم حاضرا معها، تقول الخنساء:

له كف يشد بها وكف تحلب ما يجف ثرى نداها (4)

(1) الطائي، الديوان (ص137-138) والمبرد، الفاضل (ص40).

(2) الطائي، الديوان (ص56). وابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج 1 / 238).

(3) ابن أبي سلمى، الديوان (ص236)

(4) الخنساء، الديوان (ص115).

وتقول أيضا:

صلب النحيضة وهّاب إذا منعوا وفي الحروب جريء الصدر مهصار (1)

وتبكي الخنساء أخاها الذي كان حصنا للأرامل والأيتام وللجار الغريب وهم أولى الناس بالكرم والرعاية والرفق، تقول:

فابكي أخاك لأيتام وأرملة وابكي أخاك إذا جاورت أجنابا

هو الفتى الكامل الحامي حقيقته مأوى الضريك إذا ما جاء منتابا

يهدي الرعيل إذا ضاق السبيل بهم نهد التليل لصعب الأمر ركابا

المجد حلتاه والجود علتاه والصدق جوزته إن قرنه هابا

سم العداة وفكأك العناية إذا لاقى الوغى لم يكن للموت هيابا (2)

وتقول إنه أصبح فأوى للأيتام، ومقصد للأضياف والغرباء، يتدفق كرمه كالنهر الجاري يجزل العطاء للفقراء:

ضخم الدسيعة بالندى متدفقا مأوى اليتيم وغاية المنتاب (3)

وتمدح العوراء بنت سبيع⁽⁴⁾ أخاها عبدالله بالكرم، فهو يعصي البخيل الشحيح، ولا يسمع للعادل، كأنه حصان ليس له رسن، يذهب حيث شاء، ولا يطيع أحدا تقول:

طيان طاوي الكشح لا يرخني لمظلمه إزاره

يعصني البخيل إذا أرا د المجد مخلوعا عذاره⁽⁵⁾

(1) الخنساء، الديوان (ص45).

(2) المرجع السابق (ص13-ص14) اجناب: الغرباء، الضريك: الضرير، الرعيل: القطيع، المتاب: القاصد.

(3) المرجع نفسه (ص16).

(4) العوراء بنت سبيع الذيبانية، شاعرة إسلامية.

(5) مارديني، شواعر الجاهلية، (ص285)، طيان: ضامر، طاوي الكشح: مضمّر ليس بضخم الجنين،

المظلمة: المرأة التي اظلم عليها الليل، تريد انه كان عفيفا، العذار للفرس: اللجام، أي لا يطيع العادل.

أما سعدى بنت الشمردل الجهنية (1)، فأخوها يطعم الركبان الجياع، والمنقطعين بالصحراء، الذين نفذ زادهم، وهو مقصد الجياع، يؤمون بيته، ويشدون في السير إليه تقول:

فلتبك أسعد فتية بسباب
يا مطعم الركب الجياع إذا هم
نعم الفتى يأوي الجياع لبيته
وتجاهدوا سيرا فبعض مطيهم
إن تأتاه بعد الهدو حاجة
متحلب الكفين أميث بارع
سمح إذا ما الشول جارد رسلها
أقووا وأصبح زادهم يتمرّع
حثوا المطي إلى العلا وتسرعوا
يوما إذا حثوا المطي وأوضعوا
حسرى مخلفة وبعض ضلّع
تدعو يجبك لها نجيب أروع
أنف طوال الساعدين سميدع
واستروح المرق النساء الجوع (2)

ومن الكرم، الاطعام في الليلة شديدة البرد، حيث ينقطع اللبن، وتهزل الإبل، ويأخذ الجهد والعسر من الناس مأخذا، وهذا ما مدحت به جنوب أخت عمرو ذي الكلب بقولها:

وليلة يصطي بالغرث جازرها
لا ينبج الكلب فيها غير واحدة
أطعمت فيها على جوع ومسغبة
يختص بالنقري المثرين داعيها
من العشاء ولا تسري أفاعيها
شحم العشار إذا ما قام باغيها (3)

(1) سعدى بنت الشمردل: هي شاعرة جاهلية وقد ورد في بعض المصادر أن اسمها (سلمى)، قال عبد الملك بن قريش (ت216هـ) إن اسمها (سعدى بنت الشمردل الجهنية ترثي أخاها، قتله بهز من بني سليمان منصور) الأصمعي، الأصمعيات، (ص101). وقال الخطيب التبريزي: (هي سعدى بنت الشمردل، ترثي أخاها أسعد بن الشمردل)، التبريزي، تهذيب إصلاح المنطق (ص736).

(2) المرجع السابق (ص269). السبب: المفازة، واقووا: نفذ زادهم، التمزع: التقسم، اوضعت البعير ممثلة على سرعة السير، تجاهدوا سيرا: اشتدوا فيه، حسرى: معيبة، مخلفة/متروكة لتموت، متحلب الكفين: تسيل كفاه بالعطاء، الأميث: اللبن السهل، السميدع: الكرم، الشول: انقطاع اللبن، الرسل: اللبن، حارد: انقطع، تروح: تشمم.

(3) مارديني، شواعر الجاهلية (ص239). الغرث: سارقين الكرش، النقري: الدعوة الخاصة، باغيها: من يبغي القرى.

وتصف الفارعة بنت شداد أباها بالكرم، فهو من كرمه لا يظن بالزاد ولا يجفو الضيف، إذا ما جفا الناس وضمنوا بالزاد، لقله فيه، أو لشح فيهم تقول:

من لا يصار له لحم الجزور ولا يجفو الضيوف إذا ما ضمن بالزاد

ولا يحل إذا ما حل منتبذا خوف الرزية بين الحضر والباد (1)

وهو ينحر الإبل بكثرة، ويفك العاني:

نحار راغية قتال باغية حلال رابية فكاك أقياد (2)

وهو محبوب عند جيرانه لأنه يطعم في الشتاء، ويجمع كل خصال الخير في شخصه:

هو الفتى يحمد الجيران مشهده عند الشتاء وقد هموا بإخماد

جماع كل خصال الخير قد علموا زين القرى ونكال الظالم العادي (3)

وهو من يشتري الخمر للضيوف ولذوي الحاجة مبالغة في إكرامهم:

السائبى الزق للأضياف إن نزلوا إلى نراه وغيث المحوج الغادي (4)

وتمدح جنوب أباها بالكرم في اوقات البرد الشديد، وانقطاع المطر، وقلة الزاد، وانقطاع اللبن من الضرع، فتقول:

وقد علم الضيف والمرملون إذا اغبر أفق وهبت شمالا

وخلت عن أولادها المرضعات ولم تر عين لمزن بلالا

(1) مارديني، شواعر الجاهلية (ص288). الجزور : الناقة، المنتبذ : المتتحي المنفرد.

(2) المرجع السابق (ص290)

(3) المرجع نفسه (ص 291) النكال : تقول نكل بفلان، اذا صنع به صنيعا يحذر منه غير اذا رآه.

(4) المرجع نفسه (ص290) السائبىء: المبتاع للخمر، المحوج الغادي : السائل

بانك كنت الربيع المغيث لم يعتفيك وكنت الشمال (1)

وتمدح الخنساء أباها بالكرم في مواضع كثيرة، فهو الذي يطعم الجوعى والفقراء والأرامل، حتى يزيل عنهم الكرب تقول:

يا فارس الخيل إذا شدت رحائلها ومطعم الجوع الهالكى إذا سغبوا

كم من ضرائك هلاك وأرملة حأوا لديك فزالت عن الكرب (2)

وهو نعم الفتى يكرم الضيوف، والمكروب، والطارقين ليلاً، وبفك الأسير:

نعم الفتى كان للأضياف إذا نزلوا وسائل حلّ بعد النوم محروب

كم من مناد والليل مكتنع نفست عنه حبال الموت مكروب

ومن أسير بلا شكر جزاك به بساعديه كلوم غير تجليب

فككته، ومقال قاتته حسن بعد المقالة لم يؤبن بتكذيب (3)

وتقول مصورة عطفه على الأسرى والأرامل وعابري السبيل والفقراء:

من لضيف يحل بالحي عان بعد صخر إذا دعاه صياحا

وعليه أرامل الحي والسفر ومعتزهم به قد الأحا

وعطايا يهزها بسماح وطماح لمن أراد طماحا (4)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص101). الرملون : الذين نفذ زادهم، الشمال : الغيات الذي يقوم بامر غيره،

(2) الخنساء، الديوان (ص17). الهلكى : الفقراء، السغب : الجوع، الضرائك : مفردتها الضريك وهو اشد الناس فقرا، الارملة : التي فقدت زوجها

(3) المرجع السابق (ص18). المحروب : الذي اخذ ماله، المكتنع : الداني والحاضر، المكروب : صفة المنادي، الكلوم : الجراح، التجليب : من اجلب اذ يبس، ارادت ان جراحه لا تزال تسيل دما.

(4) الخنساء، الديوان (ص28-ص29) المعتز : المعترض للمعروف من غير ان يسأل، ألأح: اذا بدا وظهر،

الطماح : من طمح اليه البصر، اذا ارتفع ونظر اليه نظرا شديدا

إن فقد الأخ رزء لها، وللضيوف، الذين يؤمون بيته، وللأرامل وذوي الحاجات؛ الذين لم يبق لهم بعده مغيث.

ولم لا وهو الذي يطعم الأضياف والجوعى بكرم وسخاء، وطيب نفس، في أوقات الشدة والضيق، والبرد الشديد الذي يجعل الإبل تهزل، وتتقوس ظهورها، ويجف درعها، ويرتفع لبنها، وتبحث عن مأوى يقيها البرد تقول:

فمن للضيف إن هبت شمال
مزعزة تناوحها صباها
وأجأ بردها الأشوال حدبا
الى الحجرات بادية كلاها
هنالك إن نزلت بآل صخر
قرى الاضياف شحما من ذراها (1)

والكرم عند العرب لا يكون للضيف وطارق الليل والارملة وذوي الحاجة المعون فقط، ولكن الكرم يشمل الأيتام الذين مات عنهم آباؤهم، إما في ساحات الوغى، أو تخرمهم الدهر، لذلك " عد العربي إكرامه (أي اليتيم) ورعايته مكرمة عظيمة، وفضيلة من الفضائل، لذلك احتفى أصحاب المراثي بمن اشتهر بفعل ذلك وبكوا عليه اشد البكاء ". (2)

ومن هنا نجد كثير من النساء الشواعر، مدحن الأخ بإكرامه للأيتام والأرامل، حتى غدا بمنزله الأب، في عطفه، وحنانه، وشفقته، ورعايته، تقول ليلي بنت سلمة (3) إن أباها غدا مأوى للأيتام الفقراء المحلّين الذين جاؤوه شعنا غربا:

فنعم مناخ الركب كان إذا انبرت
شمال وأمست لا يعرجها ستر
ومأوى اليتامى المحلّين إذا انتهوا
إلى بابه شعنا وقد قحط القطر (4)

(1) الخنساء، الديوان (ص116) الاشوال : جمع شائل وهي الناقة التي أتى على وضعها او حملها سبعة اشهر، الحجرات :جمع حجرة وهي حظيرة الابل، بادية لحلاها : ارادت ظاهرة من الهزال.
(2) العواجي، القيم الانسانية في شعر الرثاء الجاهلي (ص51).
(3) شاعرة جاهلية، لم أقف لها على ترجمة.
(4) يموت، شاعرات العرب (ص68).

وتتعت ميسون الباهلية أباها بأبي اليتامى، مبالغة في بيان رعايته، وحرصه على تقديم العون لهم، تقول:

وأبو اليتامى ينبتون فناءه نبت الفراخ بمكلىء معشاب (1)

منه تدب فيهم الحياة عنده، بعد أن قتلهم الجوع والعطش، كالأرض تنبت من جديد إذا ما نزل عليها الغيث.

وتقول الخنساء واصفة معاوية بأبي اليتامى:

ومنزل الضيف إن هبت مجلجلة ترمي بصم سريع الخسف رساف

أبي اليتامى إذا ما شتوه نزلت وفي المزاحف ثبت غير وجاف (2)

إنه ينزل الأضياف بيته، فيكرمهم في وقت الشدة، حيث الرياح العاتية المدوية، ويحنو على الأيتام حنو الأب على ابنه، رغم قسوة الشتاء وبرودته والأيتام هم أبناء الأرمال من النساء، ولذلك إذا ما ذكرت الأرملة فبدهياً تشمل اللفظة الأم والأبناء الذين تعولهم.

تقول الخنساء إن الأرمال يعتصمن به في أوقات الشدة والجذب وقلة الرزق، وقد أجهدن الثكل والأنين:

نعم أخو الشتوة حلت به أرامل الحي غداه البليل

يأتينه مستعصمات به يعلن في الدار بدعوى الأليل

ونعم جار القوم في أزمة إذا التجا الناس بجار ذليل (3)

(1) البتريزي، شرح ديوان الحماسة (ص458)، الفراخ: دود يكون في العشب، الكاليء : موضع الكلا وهو العشب، المعشاب : كثير العشب

(2) الخنساء، الديوان (ص83). المجلجلة : ذات الصوت الشديد، والمصيبة. الصم : الصلب، الخسف : الجوع والظلم، والرساف : المشي مشي المقيد، المزاحف : السير للحرب، الثبت : الشجاع، غير وجاف : أي غير مضطرب.

(3) الخنساء، الديوان (ص95) الأليل : الثكل والانين.

ولا شك أن الكرم والجود، والبذل، وفك العاني والأسير، من الصفات الحميدة عند العرب، حرصوا عليها، وأفنوا مالهم من أجلها، ولطالما خشي العرب أن تؤتى من قبلها، أي أنه كان يحرص على أن يخلد ذكره بعد موته بالكرم، وأن ينال ثناء الناس، فيطيب ذكره ويخلد ألى أن يشاء الله، وكان يخشى أن يوصف بالبخل، فیسوء ذكره في حياته، وبعد مماته، يقول نفاع _ موضحا هذه الفكرة _ : "يسري مفعول الكرم بعد الموت، فشهرة الجود أو عار البخل يعيشان طويلا، لذا يحاول الشعراء أن يمنعوا تشييع الناس لهم بعد الموت، وأن يضمّنوا ثناء جميلا". (1)

تقول الخنساء:

ترى المجد يهوي إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يحمدا (2)

فالشاعرة تجعل طيب الذكر قبل الموت، وبعده، أهم سبب عند أخيها، يدفعه إلى الكرم لذلك تراه يفوق الغيث كرما وعطاءً وبذلا، تقول:

وما الغيث في جعد الثرى دمث الربا تبّعق فيه الواابل المتهاّل

بأفضل سيبا من يدك ونعمة تعم بها بل سيب كفيك أجزل (3)

وهو يطعم في السنة الشديدة المجدبة، فلا يبخل بلحوم الإبل التي أعلى القحط والجذب ثمنها، بل يجود بها للسائلين والضيوف وذوي الحاجة تقول:

معقل الناس إذا ما عصفت جريباء الريح فيها بالخطر

يطعم القوم من الشحم إذا أغلت الشتوة أثمان الجزر (4)

(1) نفاع، الجود والبخل في الشعر الجاهلي (ص48).

(2) الخنساء، الديوان (ص31).

(3) المرجع السابق (ص91). جعد الثرى : الذي تقبض من كثرة نداءه، دمث: سهل ولين، الربى : جمع روبة وهي ما ارتفع من الارض، تبّعق : اندفع السيل العطاء والجود.

(4) المرجع نفسه (ص410). الجريباء الشمال، والحظر : ما يحظر به من اغصان الشجر.

وتقول:

يشبع القوم من الشحم إذا ألتوت الريح بأغصان الشجر (1)

ومن الكرم أن يستقبل الضيف بالترحيب، والبشاشة وطلاقة الوجه، تقول الخنساء:

إذا ما الضيف حل الى ذراه تلقاه بوجه غير بسر

وفرج بالندى الأبواب عنه ولا يكتن دونهم بسر (2)

فأخوها لا يستتر من ضيوفه، بل يخرج اليهم مبتسما، مرحبا.

ومثله قولها:

كأن لم يقل أهلا لطالب حاجة وكان بليج الوجه منشرح الصدر (3)

ومن علامات الكرم عند العرب، أن توقد النار ليلا ليهتدي الناس إلى بيت صاحبها،

تقول الخنساء:

فاذا أضاء وجاش مرجه فلنعم رب النار والقدر (4)

ويعد يمكن القول إن شعر المرأة العربية القديمة يزخر بوصف الأخ بالكرم وهذا يظهر

أهمية وقيمة هذه الفضيلة في المجتمع العربي القديم، وهذا ما حرص عليه الأخ، ليطيب ذكره في حياته وبعد مماته.

الصبر والجلد:

الحياة العربية في الجزيرة واطرافها حياة صعبة، قاسية، صحراء ممتدة وجبال عالية،

واودية، وارض ذات مجارة يصعب السير فيها، مع قلة للماء والطعام كل هذا جعل الحياة

(1) الخنساء، الديوان (ص56).

(2) المصدر السابق (ص44). الدرر: كل ما يستر من حاجز، غير بسر: غير كالح، يكتن: يستتر

(3) المصدر نفسه (ص48). بليج الوجه : طليقه.

(4) المصدر نفسه (ص52).

صعبة، قاسية، تحتاج الى الصبر والجلد، وركوب الاهوال، ومجابهة الاخطار، لذلك نجد بعض شواعر الجاهلية والاسلام حرص على وصف الاخ بالصبر والجلد تقول الخنساء:

كراهية والصبر منك سجية (1) اذا ما رحى الحرب العوان استدرت

وهو بصبره وجلده يحصل على كل ما يطلبه:

ظفر بالأمور جلد نجيب (2) واذا ما سما القتال لحرب اباحا

وتقول ايضا:

جلد مخيل وهوب باع يسر (3) وفي الحروب اذا لاقيت مسعار

وتقول

جلد جميل المحيا كامل ورع (4) وللحروب غداة الروع مسعار

وتقول:

فرع لفرع كريم غير مؤتشب (5) جلد المريرة عند الجمع فخار

الحلم:

الحليم هو الرجل الذي يسيطر على انفعالاته في وقت الغضب فلا يطلق لغضبه العنان ان يقوده الى السفاهة والطيش، والنزق، لذلك عد الحلم من دلالات القع الراجح، ومن الشاعرات اللاتي وصفن اخوانهم بالحلم، والخنساء فهي تصف صخرا اخاها بالحلم لانه استحق ذلك

(1) الخنساء، الديوان (ص21)

(2) المصدر السابق (ص29).

(3) المصدر نفسه (ص54).

(4) المصدر نفسه (ص46).

(5) المصدر نفسه (ص47)، فرع لفرع : أي رأس لرأس، المؤتشب: المخلوط النسب، المريرة: ابرام الرأي.

لامور منها "انه كان موصوفا بالحلم، ومشهودا بالجدود، ومعروفا بالتقدم في الشجاعة،
ومحظوظا في العشيرة". (1)

تقول:

متى كان ذا حلم أصيل وتؤده إذا ما الحبي من طائف الجهل حلت (2)

إنه حلیم لا یجهل كمل یجهل غیره، وأفعاله منضبطة و غیر طائشة لأنه یدفع بحلمه
الطیش والظلم والجهل، تقول:

وبحلم اذا الجهول اعتراه یردع الجهل بعدما قد اشاحا (3)

وتمدحه بالحلم واصلاح الذات البین فی قولها:

ومن لجلیس مفحش لجلیسه علیه بجهل جاهدا یتسرع

ولو كنت حیا كان إطفاء جهله بحلمك فی رفق وحلمك أسرع (4)

وتصف اخويها بالحلم، مهما لا يتظالمان ولا يجهل احدهما على الاخر فتقول:

من حس لي الاخوي ن كالغضين أو من رآهما

أخوين كالصقرين لم یر ناظر شرواهما

قمرین لا يتظالما ن ولا یرام حماهما (5)

(1) المبرد، الكامل (ج4/ص44).

(2) الخنساء، الديوان (ص23) التؤدة : التمهل والتأني في الشيء.

(3) المرجع السابق، (ص29).

(4) المرجع نفسه (ص77). المفحش : الذي يرتكب الموبقات، يتسرع : يبادر ويعجل.

(5) المرجع نفسه (ص117) راهما : رآهما بالتسهيل، شرواهما : مثلهما.

وتصف جنوب اخت عمرو ذي الكلب اخاها بالحلم بقولها:

فأقسم يا عمرو لو نبهاك اذن نبها منك داء عضالا
اذن نبها واسعا ذرعه جميع السلاح جيذا بسالا (1)

وتصف سعدي بنت الشمردل الجهنية، اخاها بالسماحة والليونة والسهولة في المعاملة وهذا لحلمه، فتقول:

متحلب الكفين أميث باع انف طوال الساعدين سميدع
سمح اذا ما الشول حارد رسلها واستروح المرق النساء الجوع (2)

العفة:

العفة هي الترفع عن كل ما يسيء إلى الإنسان، ويخدش الحياء، ويصم المرء، وينقص المروءة، وهي شرط من شروط السيادة، وتبدو العفة في جوانب متعددة: العفة عند الفواحش، والعفة عن التلصص وتتبع عورات الناس، والعفة عن الشره في الطعام والشراب، والعربي يحرص على العفة ويفتخر بها، ويحب أن يمتدح بها، يقول عنتره:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتني حتى يوارني جارتني مأواها
إنني امرؤ سمح الخليفة ما جد لا أتبع النفس اللجوج هواها (3)

ويقول مسكين الدارمي (4):

(1) مارديني، شواعر الجاهلية (ص233). يقال : رجل واسع الذرع ،: أي الخلق. الذرع : الطاقة، الباسل : الشجاع.

(2) المرجع السابق (ص269). الاميث: اللين السهل، السميدع : الكريم.

(3) عنتره، الديوان (ص93).

(4) مسكين الدارمي، (000 - 89 هـ = 708 - 000 م)، هو ربيعة بن عامر بن أنيف (بالتصغير) بن شريح الدارمي التميمي: شاعر عراقي شجاع، من أشرف تميم. لقب مسكينا لأبيات قال فيها: (أنا مسكين لمن أنكرني) ومن متداول شعره: (أخاك أخاك، إن من لا أخا له... كساع إلى الهيجا بغير سلاح)، له أخبار مع معاوية. وكان متصلا بزياد بن أبيه. وجمع خليل العطية وعبد الله الجبوري، ببغداد ما وجدنا من شعره في (ديوان مطبوع). ينظر: الزركلي، الأعلام، (ج3/16).

وما ضر جار لي أجاوره ألا يكون لبابه ستر

أعمى إذا ما جرتي برزت حتى يوارى جرتي الحذر (1)

فعنتره يفنخر بالعفة، وبالسيطرة على شهوات النفس ورغباتها، لسماحة في الخلق وعفة في النفس، فلا يطلق لبصره العنان في تتبع عورات جيرانه.

ويقول عروة ابن الورد:

وإن جرتي الوت رياح ببيتها تغافلت حتى يستر البيت جانبه (2)

وامتدح بعض الشعراء اخوانهم، الذين يجتنبون الفواحش في مواضع عدة، وهذا يظهر اهمية هذه الصفة في المجتمع العربي. يقول الأعشى في وصف اخيه المنتشر:

لا يصعب الأمر الا ريث يركبه وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر (3)

وينفي كعب بن سعد الفتوى الفاحشة عن اخيه فيقول:

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هيبوب (4)

ويصف الأعشى أخاه المنتشر بأنه عفيف النظرات إلى جاراته فيقول:

لا يهتك الستر عن أنثى يطالعها ولا يشد إلى جاراته النظرا (5)

وهو عفيف في المأكل والمشرب فتكفيه قطعه من اللحم، وقليل من الشراب يقول:

(1) الخالدي، حماسة الخالدين (ص35).

(2) عروة، الديوان (ص16). الوت رياح ببيتها : أي ذهب به والفته

(3) الاصمعي، الأصمعيات (ص91).

(4) المصدر السابق (ص95).

(5) اليزيدي، الأمالي (ص16)، والبغدادي، خزنة الادب (ج1 / ص197).

تكفيه حزة فلذ ان الم بها من الشواء ويروي شربه الغمر (1)

ويقول الشنفرى:

وان مدت الايدي الى الزاد لم اكن بأعجلهم اذا اجشع القوم اعجل (2)

مما سبق ذكره يتبين لنا اهمية العفة عند العرب، وحرصهم عليها، وهذا يجعلها تبلغ مكانة الشجاعة من حيث الاهمية، لما لها من صلة وثيقة بمكارم الاخلاق.

ومن صور عفة الاخ عن الفواحش في شعر النساء، قول الخنساء في اخيها صخر بانه عاش طاهر الثوب، وهذه صورة شعرية، تريد الشاعرة من ورائها ان تقول ان اخاها صخرا، كام سليم الطبع، مستقيم الخلق، حسن السريرة ن بعيدا عن الريبة، وكل ما يصم الانسان من فعال تقول:

فلئن هلكت لقد غنيت سميذعا محص الضريبة طيب الاثواب (3)

وتصف ليلي بنت سلمى، أخاها بالعفة والبعد عن أذى الجار، فلا ينظر إلى حرماته، ولا يتعدى عليها، بل يأمن الجيران أذاه تقول:

لعمرى ما كان ابن سلمة عاجزا ولا فاحشا يخشى أذاه المجاور (4)

وتقول الخنساء إن أخاها لا يغشى ساحة جاره في غيابة، ولا يتتبع جاراته بنظره، وذلك لشرفه وعفته تقول:

لم تره جارته يمشي بساحتها لريبة حين يخلي بيته الجار (5)

(1) العسكري، جمهرة الامثال (ج1/ص122).

(2) ابن الشجري، مختارات شعراء العرب (ج1/ص19).

(3) الخنساء، الديوان (ص16).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص68).

(5) الخنساء، الديوان (ص47).

كما تصف عفته في الشراب متجنباً الفحشاء فتقول:

وإن تلقه في الشرب لا تلق فاحشاً ولا ناكثاً عقد السرائر والصبر (1)

وتصف مية بنت ضرار الصبية أباها بالعفة، عند حضور الطعام سواء أكان قليلاً أم خبيثاً فتقول:

يطوي إذا ما الشح ابهم قفله بظنا من الزاد الخبيث خميصاً (2)

وتقول أيضاً مية أنه لا يبيت على ريبة ولا يتكلم بالألفاظ الفاحشة والبذينة ولا يسمح بها في مجلسه:

ما بات من ليلة مذ شد مئزره قبيصة بن ضرار وهو موتور

ولا على ريبة يوماً يزن بها ولا فقيراً وما الفقر تعيير

لا تعرف الكلمة العوراء مجلسه ولا يذوق طعاماً وهو مستور (3)

الوفاء والصدق:

حياة العرب في الجاهلية كانت حياة قبلية، تسودها العصبية، والخصومات والحروب المستمرة ومع ذلك فإن العرب حرصوا على الوفاء، ونبذ الخيانة والضرر، "كانت الكلمة ينطقها العربي عهداً يجب عليه أن يفي بها، وإلا عرض شرفه للتجريح، لذلك رثى الشعراء قتلاهم وموتاهم بذكر وفائهم كصفة كريمة كانوا يتحلون بها". (4)

تصف الخنساء أباها بالسيد الأمين الصادق بقولها:

بالسيد الحلو الأمين الذي يعصمنا في السنة العادية (5)

(1) الخنساء، الديوان (ص 49).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 84).

(3) المرجع السابق (ص 84).

(4) الشوري، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية (ص 106).

(5) الخنساء، الديوان (ص 121). العادية : الجائرة، الظالمة.

وتصفه أيضا بالصدق وعدم الكذب فتقول:

وفارس هيجا يعلم الناس أنه إذا ما دعا بالجزع غير مكذب (1)

وتصفه بالوفاء والسماحة وعدم الغدر فتقول:

سمح خلائقه جزل مواهبه وافي الذمام إذا ما معشر غدروا (2)

الفصاحة والبيان:

أدرك العرب أهمية الفصاحة والبيان، فطبيعة عيشهم جعلت المناظرات في المجالس لمحاجة الخصوم أمرا بالغ الأهمية، لأنها مطلب لفض الخصومات بين المتنازعين، كذلك كثرة الحروب تطلبت وجود خطباء يخطبون الناس فيستنهضون همهم وعزائمهم وحياتهم الاجتماعية، تطلبت منهم وجود خطباء يتكلمون في قضايا الزواج والطلاق وغير ذلك.

كل هذا جعل الفصاحة مطلبا مهما "ولا يكون العربي في نظرهم كاملا ما لم يبلغ من لسانه الغاية، وكان من يبلغ بلغته نثرا أو نظاما، منزلة منزلة رفيعة من الخطابة أو الشعر تبلغ به لغته منزلة أرفع بين قومه وأبناء عشيرته" (3)

لذلك نجد الشعراء وصفوا بمدوحهم بالفصاحة والبلاغة والبيان في مواضع عديدة، مثل قول الخنساء في أخيها صخر:

وخطيت اشم اذا سعروا الحر ب وصفوا صف الخصيم الرماحا (4)

وتصفه بالبيان في موضع آخر فتقول:

حديد السنان ذليق السان يجازي المقارض امثالها (5)

(1) الخنساء، الديوان (ص215).

(2) المرجع السابق (ص58).

(3) المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة (ص23).

(4) الخنساء، الديوان (ص243)، الخطيب: متكلم القوم وافصحهم، الاشم: السيد الكريم.

(5) المرجع السابق (ص100) ذليق اللسان: طليقه، يكافئ: يجازي.

وهو بفصاحته لا يهاب المحافل، ولا يعجز عن اتیان الحلول في الأمور الغامضة التي
تعجز غيره تقول:

خطاب مفصلة فرّاج مظلمة أن هاب مفضة سنى لها جاجا (1)

وهو اذا ما تكلم فكلامه فصل بين واضح بليغ مؤثر يفرق بجلاء بين الحق والباطل،
تقول:

حلو حلاوته، فصل مقالته فاش جمالته للعظم جبار (2)

التعاس عن الثأر:

قد يتأخر العربي في الاخذ بالثأر والاسباب كثيرة، ولكن المرأة تظل متعجلة للأخذ بثأر
اخيها الذي قتل غدرا، حتى تطفئ النار المتأججة في صدرها، لذلك نجدها حادة سليطة اللسان،
على اخيها ان لم يسارع بالثأر لأخيه تقول كبشة أخت عمرو بن معد يكرب⁽³⁾ فخاطبه قومها
ومعرضة بهم وباخيها عمرو:

وأرسل عبدالله إذ حان يومه إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إفاالا ولا أبكرا وأترك في بيت بصعده مظلم

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم

فاعن أنتم لم تثأروا واتديتم فمشوا بأذان النعام المصلم

ولا تردوا إلا فضول نسائكم إذا ارتملت أعقابهن من الدم

(1) الخنساء، الديوان (ص14).

(2) المرجع السابق (ص46).

(3) كبشة أخت عمرو: وهي كبشة أخت عمرو بن معد يكرب الزبيدي لم تذكر المصادر نسبتها صريحة وإنما
جاءت في أكثر المصادر مقرونة بنسب أخيها وذلك لأنه كان أباها لأمها، ولم تحفل المصادر بحديث
واضح عن حياتها إلا من خلال مقتل أخيها عبد الله والشعر الذي رثته به. ينظر: الأصفهاني، الأغاني (ج15/221)،
وينظر: ديوان الحماسة، لأبي تمام (ج1/71).

جدعتم بعبدا لله أناف قومه بني مازن ان سب ساقى المحزم (1)

أن تصفهم بالنعام مجدوع الأذان، الذين لا يستطيعون ورود الماء إلا بعد النساء اللاتي تظهرن من الحيض، وهي صورة مقززة ومهينة لأخيها وقومه.

ولامت هند بنت حذيفة قومها بكلمات لاذعة مؤلمة موجعه، فوصفتهم بالإماء العواهر، لتقاعسهم عن الأخذ بثأر أخيها حصن فقالت:

فان أنتم لم تصبجوا القوم غارة يحدث عنها وارد بعد صادر

وترموا عقيلاً بالتي ليس بعدها بقاء فكونوا كالإماء العواهر (2)

من المؤكد أن رابطة الدم قوية، والأخوة من أوثق الروابط كانت وما زالت وفقد الاخ يؤلم ويجع، ولا تهدأ النفس إلا بالثأر، لذلك تظل المرأة حريصة على الأخذ بالثأر، محرضة عليه ما لم تشف غليلها من قاتل أخيها، تقول الخنساء:

لا نوم حتى تعود الخيل عابسة ينبذن طرحا بمهترات وأمهار

او تحفروا حفرة والموت مكتع عند البيوت حصينا وابن سيار

فتغسلوا عنكم عارا تجلكم غسل العوارك حيزا بعد أطهار (3)

وتحض أسماء بنت ربيعة قومها على الثأر لأخيها كليب قائلة:

يا بني تغلب لا تتأخروا واطلبوا ثأر مليك الجفيل

إنني قاتلة مقتولة فعسى الأيام أن تعقب لي (4)

وبعد هذا ليس غريبا أن تمدح الخنساء قيس الجشمي الذي قتل هاشم بن حرملة الذي قتل أخاها معاوية حيث تقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 97).

(2) المرجع السابق (ص 46).

(3) الخنساء، الديوان (ص 55).

(4) ميدان، شعر تغلب في الجاهلية (ص 212- ص 213).

فدى للفراس الجشمي نفسي أفديه بمالي من حميم
وأفديه بكل بني سليم بظاعنهم وبالأنس المقيم
خصت بها أبا الأحرار قيسا فتى في بيت مكرمة كريم (1)

وبعد يمكن القول إن الأخت كانت حريصة على الثأر لأخيها، وكان دورها واضحا في التحريض على ذلك وخصوصا" ان استنهاض الرجولة للثأر امر تجيده الانوثة اكثر مما تجيده الذكورة، وذلك نظرا لقابلية الرجل للاستفزاز على يد المرأة التي يجد فيها _المقابل له _ احياء او ايقاظا لقدراته، كمان ان قدرة النساء العجيبة على البكاء والتفجع أمر لا يجيده الرجال من جهة، ويخلق جوا تحريزيا انتقاميا عبر استجابة الرجال للموقف الفجائي القادر على تطوير الشعور من جهة اخرى، ولعل حلقات الندب على الميت وهي ما تقوم به النساء في بعض اريافنا حتى اليوم هي من موروثات تلك الحقبة، واستمرار لذلك التقليد الذي كان يستهدف غرز الرغبة في الثأر للصريع داخل نفوس الأحياء " . (2)

الصفات الحسية للأخ:

لم تكثر المرأة من الصفات الحسية للأخ، كما اكثرت في الصفات المعنوية، ولكنها كانت بين الحين والآخر تذكر صفة من صفاته الحسية لتمييزه عن اقاربه فالخنساء مثلا تصف اخاها بجمال المحيا، والوضاءة والنور، وتفضله على سائر رجال القبيلة، فصورته تضيء الليل، وتكشف الظلمة تقول:

مثل السنا تضيء الليل صورته جلد المريرة حر وابن أحرار (3)

إنها تريد القول إن بياض أخيها، وإشراقه وجهه، نابعان من عرافة الأصل وشرف النسب، والخلو من الهجنة، وهذا ما كانت العرب تحرص عليه، وتكثر من المدح بها وتقول:

(1) الخنساء، الديوان (ص 106).

(2) فتح الباب، فن الرثاء في الشعر العربي القديم (ص318).

(3) الخنساء، الديوان (ص 54). الجلد : القوي، المريرة : عزة النفس والانفة والكبرياء.

جهم المحيا تضيء الليل صورته ابأؤه من طوال السمك احرار (1)

وكذلك تصف اخاها بصفة جامع له لكن حسن جميل، حيث تقول:

جلد جميل المحيا كامل ورع وللحروب غداة الروع مسعار (2)

فالجمال والكمال صفتان جامعتان لكل حسن جميل مستحب.

وفي صورة اخرى تكرر الشاعرة صرة الوضاعة والاشراف والنور حتى ان اخاها غدا مميزا معروفا للناس بجماله ورجاحة عقله، وحسن تدبيره فكأنه جبل على رأسه نار تقول:

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار (3)

"ويمثل جمال الوجه ووضاعته ركنا أساسيا من أركان الرثاء والمدح، تفنن الشعراء في رسمه ورفعته الى اعلى الدرجات فضلا عن ان مظاهر الجمال من الصفات البارزة في الغزل"
(4)

من هنا لا نستغرب وصف الأخ بالحلاوة والجمال الذي يميزه عن غيره، تقول الخنساء:

حلو حلاوتة فصل مقالته قاش جمالته للعظم جبار (5)

وتقول الخنساء:

مثل الرديني لم تنفد شبيبته كأنه تحت طي البرد إسوار (6)

(1) الخنساء، الديوان (ص47).

(2) المرجع السابق (ص46).

(3) المرجع نفسه ص386. علم في رأسه نار: مثل يضرب به في ذبوع الشهرة والعلم هو الجبل.

(4) ابن صالح، هند، وابن صالح ابراهيم، الشعر الجاهلي (ص70).

(5) الخنساء، الديوان (ص 387).

(6) المرجع السابق (ص 47).

"وهذه المحاسن قلما تجتمع الا لفتى الفتیان، زين الرجال، من سمياء الحسن، ومن محياه الجمال، الاهیف، الطویل القامة كالأسوار تحت طی البرد، وفيه كفاية عن نضارة شبابه، وعدم ترهل جسمه ". (1) فنقول:

قد كنت بدرا يستضاء به **فقد ثوى يوم مت المجد والجود** (2)
وتشبهه صفة الباهلية⁽³⁾ اخاها بالقمر فنقول:

كنا كأنجم ليل بيننا قمر **يجلو الدجى فهوى من بيتنا القمر** (4)
ولكننا نجد صورة مغايرة لما سبق ترسمها لنا زينب بنت الطثرية لأخيها، فهو مع نضارته واشراق وجهه حين يلقي الناس، اما اذا تولى فهو اشعث الرأس تقول:

كريم اذا لاقيته متبسما **واما تولى لشعث الرأس جافله** (5)

ويعلق بعض الباحثين على هذه الصورة بقوله "ونكاد نلمس توتر الشاعرة وتخبط الانفعالات الكثيفة داخل جوانح نفسها... فنجدها تنشئ بلغة التصوير مجسما للمرثي تجمع في قسماته ملامح كريم منبسط الوجه تكلل نضارته ابتسامه سخية، ثم تضي على الصورة بقعا سوداء مغبرة نلمح فيها كتلا من سعر جافل، بحيث لا ينتهي ذهن القارئ او السامع من تخيل الجانب المشرق من تلك الهيئة حتى تعجل الشاعرة بما يطفئ نضارة تلك الهيئة من المخيلة، ويسكن الاحساس بالكأبة والعمه في النفس ". (6)

ولا اذهب إلى ما ذهبت له الباحثة فالشاعرة رسمت صورتين منفصلتين عن بعضهما، فالأولى: الابتسامه وطلاقة الوجه والإشراق إذا أقبل على من يحب في وقت السلم والرضى.

(1) السلمي، الصورة الفنية في شعر الخنساء (ص57).

(2) الخنساء، الديوان (ص38).

(3) صفة الباهلية: لم تورد المصادر أي شيء عنها سوى أنها شاعرة جاهلية قالت شعراً في رثاء أخيها. ينظر: للتبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج1/393).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص98).

(5) المرجع السابق (ص196).

(6) بنون، فن الرثاء عند المرأة في الشعر الأموي (ص107).

والثانية: صورته في الحالة الأخرى، وهي حين الغضب والحرب والقتال، فواحدة وقت الرضى والمسالمة وموطن الكرم والسخاء، والأخرى في وقت الغضب والحرب. وتجمع جنوب بين صورتين، فأخوها شمس في النهار، وقمر في الليل، فتقول:

فكنت النهار به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهللا (1)

وتقول الخنساء إن أخاها يشبه الشمس في إشراقه وبياض وجهه:

أبيض أبلج وجهه كالشمس في خير البشر (2)

وهو جميل ويعرفه الناس كما يعرفون البدر، أي أنه مشهور شهرة القمر تقول:

جم فواضله تندى أنامله كالبدر يجلو ولا يخفى على الساري (3)

وأخيرا يمكن القول إن شواعر العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي أحبين إخوانهن حبا شديدا، ويكينهم بكاء حارا، وأجدن في وصفهم في وقت السلم والحرب، وأكثرن من الوصف المعنوي، وكن مقالات في الوصف المادي، ففي الوصف المعنوي أكثرن من وصفهم بالشجاعة والفروسية والإقدام، والحسب والنسب وعراقة الأصل، والكرم والحلم، والفصاحة والبيان، وكلها صفات حرص عليها العربي، وأحب أن يمدح بها، كي يطيب ذكره في حياته وبعد موته.

رابعا: أقارب آخرون

1- ابن الأخ:

ترسم لنا أميمة بنت أمية بنت عبد شمس بن عبد مناف صورة قيمة لابن أخيها أبي سفيان بن أمية ومن قتل من قومها يوم عكاظ، وهو الرابع من حرف الفجار، فالشاعرة تجزع عليهم جزعا شديدا حتى لكأن الظواهر الكونية اعتراها خلل لفقدهم، فحزنها كبير، ومصابها جلل، تقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص101).

(2) الخنساء، الديوان (ص 57).

(3) المصدر السابق (ص64).

ونـيـط الطرف بالكوكـب	ابـي ليلـى ان يـذـهـب
ن الـدلو والعقـرب	ونـجـم دونه الـاهـول بيـ
ولا دنـو ولا يقـرب	وهـذا الصـبح لا يـأتـي
كـرام الخـيم والمنـصب (1)	بفـقـد عـشـيرة منـا

لقد تطاول ليلها وامتد حتى ظننت أنه لا يذهب، وتعلق الطرف بالنجوم بسبب الأرق وكل ذلك لفقد أقارب كرام سادة من قومها.

إن ما حل بهم ما كان ليخطئهم، حيث لا مهرب من القضاء، تقول:

حديـد النـاب والمخـاب	أحـال عـلـيهم دهر
ولـم يقـصر ولـم يشـطب	فـحل بـهم وقـد أمـنوا
مـن منـجى ولا مـهـرب	ومـا عـنه إذا مـا حـل
بـدمع منـك مسـتغـرب (2)	ألا يـا عـين فـابكـيهم

وتبرر الشاعرة سبب بكائها وجزعها وهلعها على ابن أخيها، ومن قتل من قومها، بأنهم أهلها وعشيرتها، الذين تعنت بهم وتشرف بالانتماء إليهم وهم حضنها الذي تلجأ إليه إذا ما دهمها أمر من الأمور، وهم فرسانها الذين يحمونها ويشدون على أعدائها حين تريد ذلك ، تقول:

وهـم ركنـي وهـم منـكـب	فإن أبـك فهـم عـزي
وهـم نسـبي إذا انسـب	وهـم أصـلي وهـم فرـعي
وهـم حصـني إذا أرهب	وهـم مجـدي وهـم شـرفـي

(1) يموت، الشاعرات العرب (ص111).

(2) المرجع السابق (ص111).

وهم رمحي وهم ترسي وهم سيفي اذا اغضب (1)

فالشاعرة رسمت صورة مشرقة لهم، فقد وصفتهم بالشرف وعراقة النسب، والمجد التليد
وتصفهم بالصدق والفصاحة والبلاغة والبيان فنقول:

فكم من قائل منهم اذا ما قال لم يـذب

وكم من ناطق فيهم خطيب مصقع معرب (2)

وهم فرسان شجعان، معلومو المكانة والمنزلة عظماء سادة كرام، لا تتطفئ لهم نار، ولا
يضام لهم جار، نجباء منجيبين نقول:

وكم من فارس فيهم كمي معلوم محرب

وكم من مدره فيهم أديب حوّل قلب

وكم من جفـل فيهم عظيم النار والموكب

وكم من خـزم فيهم نجيب ماجد منجب (3)

2- الجد:

رثت هند بنت معبد الأسيديّة⁽⁴⁾ جدّها، الذي كان ينادم النعمان فسكر وأمر بقتله مع
عمرو بن مسعود، فقالت:

ألا بكر الناعي بخير بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد (5)

(1) يموت، الشاعرات العرب (ص111-ص112).

(2) المرجع السابق (ص112).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص112) كمي : شجاع، محرب : الشجاع في الحرب وغيرها، المدره : السيد الذ
يدفع عنهم، اريب : لبيب متيقظ، خـزم : الكثير من كل شيء، نجيب : كريم.

(4) هند بنت معبد: شاعرة جاهلية من بني أسد كان جدّها من ندماء النعمان وذات يوم سكر النعمان فأمر
بقتل جدّها ومعه عمرو بن مسعود لها رثاء في قومها. ينظر: شيخو، رياض الأدب في مرثي شواعر
العرب (ج1/91).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص28)، الصمد : الذي ينتهي اليه السؤدد.

إن جدها سيد قومها، وهو خير قبيلة أسد كلها، ولا يسود الرجل، ولا يكون خير قومه، إلا إذا كان شريفاً عفيفاً، كريماً، حلماً، شجاعاً، فارساً، مقداماً، فصيحاً بين اللسان، وكأن الشاعرة جمعت كل الصفات السابقة في كلمتين (خير _ سيد).

ثم تشكو بعده عنها بعد قربه منها، حيث إنها لم تفكر يوماً في هذا البعد ولم تخشاه تقول:

أثاروا بصحراء الثوية قبره وما كنت أخشى أن تنادي به البلد (1)

وتتمنى لو أنها كانت تستطيع دفع الموت عنه، ولكنها لا تستطيع فعل شيء، فقد غدوا بعيداً عنها تحت صخر وتراب، ولم يبق لها إلا البكاء فهو سلاح من لا سلاح له، وحيلة من لا حيلة له تقول:

أميم هيهات الصبا ذهب الصبا واطار عني الحلم جهل غرابي

أين الألى بالأمس كانوا جيرة أمسوا دفين جنادل و تراب

ماتوا ولو أني قدرت بحيلة لأحدث صرف الموت عن أحبابي

ما حيلتي إلا البكاء عليهم إن البكاء سلاح كل مصاب (2)

إذا صورت الشاعرة جدها، في صورة السيد المدره، وهو الذي ينتهي إليه السؤدد، وتتمنى لو أنها قدرت على إنقاذه وافتدائه ولكن لا حيلة لها إلا البكاء، فهو سلاح الضعفاء عند المصيبة.

3- ابن العم:

المجتمع العربي قبلي عصبي، والمرأة جزء أصيل من هذا المجتمع وصلة القرابة صلة قوية تربط أبناء الأسرة برباط العصبية التي تغذيها القيم السائدة في المجتمع الجاهلي التي لا يتسع المقام لذكرها، ولكن مكانة ابن العم مكانة خاصة عند ابنة عمه، لذلك لا غرابة أن تبكيه بحرقة وألم، وأن تتغنى بمناقبة؛ مزهوة بتلك المناقب، ومفاخرة غيرها، وحين نطالع الشعر العربي القديم، نجد بعض الشواعر العربيات من رسمن صورة من أجمل الصور التي يمكن أن ترسمها امرأة لابن عمها، فهذه هند بنت معبد تصور ابن عمها خالد بن حبيب في أزهى الصور

(1) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/ص161).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص28).

وأبهاها، معددة مناقبه المعنوية التي يفخر بها كل عربي ويحرص عليها، فابن عمها، كريم يملأ الجفان بالطعام للضيوف وذوي القربى، ويملاً الزق شراباً، وهو فارس شجاع مهاب الجانب، يقصر عن فعالة أقرانه، يقهر أعدائه، ويسبي نساءهم سمح لين حلیم، ودود تطيب محادثته، ومجالسته، في وقت اللين واليسر، حتى غدا أحلى من التمر، ولكنه في وقت الجد يكون أحر من الجمر على أعدائه، أبي أنف عصى على أعدائه في وقت الإباء، من أجل ما سبق تستغرب من ملل البواكي بكاءه، وهو على ما كان عليه تقول:

أسمى بواكيك ملن البكا	وشر عهد الناس عهد النسا
فابن حبيب فابكيا خالدا	لجفنة ملأى وزق روى
وابن حبيب فابكيا خالدا	لظعنة يقصر عنها الأسا
إن تبكيا لا تبكيا هنيئا	وما بما مسكما من حفا
إن يخرج الكاعب من خدرها	يومك لا تذكر فيه الحيا
أحلى من التمر وأحر من الجمر	ر وأبى عند جد الإبا (1)

وهذه أعرابية ترسم صورة جميلة لابن عمها، فجعلته جبل المعالي الذي يزخر بالجود والكرم، والعطاء والسخاء، حتى انه لم يدع للآخرين شيئاً فيوم دفن الجود كله معه، فموته موت السماحة والندى وكل جميل من مكارم الأخلاق حتى إن الدنيا غدت خاشعة بعد موته، وحق لها ذلك، بعد أن كانت نضيرة به، تقول:

عجبت لظود جهم للمعالي وزاخر	من الجود أتى صير اللحد مضجعا
فلم يأتحد جهم وحيدا وإنما	حوى لحدده ظود المكارم أجمعا
ولم يحترمه الدهر فردا وإنما	أصاب به بحر الندى والسدى معا
وقد كانت الدنيا بحبهم نضيرة	فأحر بها من بعده أن تخشعا (2)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص28).

(2) البغدادي، التذكرة الحمدونية (ج4/ص198).

الفصل الثاني

الآخر الزوج والمحبوب في شعر النساء في
العصرين الجاهلي والإسلامي.

المبحث الأول: الآخر الزوج في شعر النساء

أولاً: مكانة الزوجة:

علت مكانة الزوجة عند زوجها، ونالت حظوة كبيرة، فقد عرف لها قدرها، وأعلى من شأنها، وأشركها في أمور حياته، وخصها بحبه وعطفه وحنانه، وشملها برعايته وذكرها في شعره متغزلاً فيها، مجاهراً بحبها، يقول زهير بن أبي سلمى:

أمن ام أوفى دمنة لم تكم بحومانة الدراج فالمتلثم⁽¹⁾

ويقول امرؤ القيس متغزلاً بزوجه أم جندب:

خليلي مرا بي على أم جندب لنقضني حاجات قلب معذب

فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفغي لذي أم جندب

ألم ترياني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

عقيلة أتراب لها لا زميمة ولا ذات خلق إن تأملت جانب⁽²⁾

فالشاعران السابقان نادوا زوجاتهم باللقب دون الاسم تكريماً لهن وهذا كان شائع عند العرب مناداة الزوجة باللقب، تكريماً لها ورفعاً لقدرها وتحبباً في وصلها وقربها، ورضى بعشرتها، يقول عروة بن الورد مخاطباً زوجته:

ذكرت منازلنا من أم وهب محل الحي أسفل ذي النقيير

وأحدثت معهد من أم وهب معرسنا فويق بني النظير⁽³⁾

(1) الزوزني، شرح المعلقات (ص133).

(2) امرؤ القيس، الديوان (ص 29-30).

(3) عروة، الديوان (ص63).

ويقول أيضا:

سلي الطارق المعتري يا أم مالك إذا ما أتاني قدري ومجزري

ويقول:

ذريني ونفسي أم حسان إنني بها قبل أن لا أملك البيع مشتر⁽¹⁾

وربما ناداها بألقاب أخرى تحبها وتعتز بها إكراما وإعزازا لها، ويقول عروة ملقبا زوجته بأبيها العظيم:

أقلي علي اللوم يابنة منذر ونامي وإن لم تشتهي النوم فاسهري⁽²⁾

ويقول حاتم الطائي لزوجته وقد أتته بالطعام:

يا ابنة عبدالله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلًا فإني لست آكله وحدي⁽³⁾

وربما ناداها الزوج باسمها مجردا، إشعارا بالألفة وقرب النفس إلى النفس، وهذا هو الغالب، وربما ناداها اسمها مصغرا تدليلا وإيناسا، وربما كنى عنها بميزة من مميزاتا، وخاصة من خواص عملها، قال الشاعر:

ألم تعلمي يا ربة الخدر أنني أبي إذا رام العدو تهضمي⁽⁴⁾

وقال أزهري ابن هلال التميمي ذاكرا اسم زوجته صراحة:

أعاتك ما وليت حتى تبددت رجالي وحتى لم أجد متقدما⁽⁵⁾

(1) عروة، الديوان (ص 67).

(2) المرجع السابق، ص 67.

(3) الطائي، حاتم (ص 143).

(4) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 201).

(5) المرجع السابق (ص 202).

و قد يصغر اسمها تحببا كقول تابط شرا⁽¹⁾:

تقول سليمي لجاراتها (2) أرى ثابتا قد غدا مرملا

ويقول عروة:

وقد علمت سليمي أن رأيي ورأي البخل مختلف شتيت (3)

و كان العربي كان يفخر بحسن عشرته مع زوجته فقد " كان من سراوة الخلق وسمات الرجولة أن يحسن الرجل عشرة زوجته، لذلك خايل بعضهم بانه لا يسيء عشرتها "(4) يقول ذو الأصبع العدوانى إنه يلبي نداء جارته وكنتها ولا يفجع زوجته بشر:

ثم سلا جارتى وكنتها هل كنت فيمن أراب أو فزعا

أودعتاني فلم أجب ولقد تأمن في حلياة الفجعة⁽⁵⁾

وإذا كان العربي يحب الفخر بنفسه، وأن تذكر مفاخره ومحامده، فإنه يحرص أحيانا على أن يوجه الخطاب للزوجة، علما منه أنها تعشق مثل هذه الصفات والمفاخر، يقول عروة:

وقد علمت سليمي أن رأيي ورأي البخل مختلف شتيت

وأني لا يريني البخل رأي سواء عطشت وأن رويت

(1) تأبط شرا، (000 - نحو 80 ق ه = 000 - نحو 540 م)، ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي، من مضر: شاعر عداء، من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة. شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بقصيدة له، مطلعها: (يا عيد مالك من شوق وإبراق) ويقال إنه كان ينظر إلى الضبي في الفلاة فيجري خلفه فلا يفوته. قتل في بلاد هذيل وألقي في غار يقال له (رخمان) فوجدت جثته فيه بعد مقتله. وللجلودي كتاب (أخبار تأبط شرا) وللسيدين سلمان داود القره غولي وجبار جاسم، كتاب (شعر تأبط شرا - مطبوع) في النجف. ينظر الزركلي، الأعلام (ج2/97).

(2) البصري، الحماسة البصرية (ج1/24).

(3) عروة، الديوان (ص 50).

(4) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 205).

(5) الأصفهاني، الأغاني (ج3/97).

وَأني حين تشتجر العوالي حوَالي اللب ذو رأي زميت⁽¹⁾

ويقول أوس بن حجر⁽²⁾:

ألم تعلمي أم الجلاس بأننا كرام لدى وقع السيوف الصوارم ؟

وأنا لنعطي الحق منا وأننا لناخذه من كل أبلج ظالم⁽³⁾

ويقول عروة:

سلي الطارق المعتر يا أم مالك إذا ما أتاني بين قدري ومجزري

أيفر وجهي انه أول القرى وأبذل معروفني له دون منكر⁽⁴⁾

ونجده يسارع بالاعتذار لها إذا ما فر من المعركة، لأنه يحرص على أن يظل فارساً بطلاً مقداماً في ذهنها، وألا تهتز هذه الصورة لعلمه المسبق بما تمثله هذه الصفات عندها، والتي طالما ذكرتها وتغنت بها وحرصت على وجودها في زوجها. يقول أوس بن حجر معتذراً لزوجته عن فراره من بني عبس:

أجاعلة أم الحصين خزاية على فراري أن لقيت بني عبس

لقيت أبا شأس وشأسا ومالكا وبكرا فجاشت من لقاءهم نفسي

وليس يعاب المرء من جبن يومه إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس⁽⁵⁾

(1) عروة، الديوان (ص 50).

(2) أوس بن حُجر، (98 - نحو 2 ق هـ = 530 - نحو 620 م)، أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، في نسبه اختلاف بعد أبيه حجر. وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند، في الحيرة. عمّر طويلاً، ولم يدرك الإسلام، في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر شعراء العرب. وكان غزلاً مغرماً بالنساء، قال الأصمعي: أوس أشعر من زهير، إلا أن النابغة طأطأ منه. وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها: (أيتها النفس أجملني جزعا) له (ديوان شعر مطبوع). ينظر الزركلي، الأعلام (ج2/31)

(3) ابن حجر، أوس، الديوان (ص 28).

(4) عروة، الديوان (ص 78).

(5) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج1/130).

ويعتذر زهير بن هلال لزوجته بأنه لم يفر إلا بعد أن تفرق عنه رجاله وهزموا، ولم يجد من الحصافة والكياسة أن يتقدم وحده ولم يفر إلا بعد أن أثنى الجراح في أعدائه:

أعاتك ما وليت حتى تبددت رجالي وحتى لم أجد متقدما
وحتى رأيت الورد يدمى لبانه وقد هزّه الأبطال فانتعل الدما
أعاتك أفناني السلاح ومن يطل مقارعة الأبطال يرجع مكلما⁽¹⁾

والعربي لا يحب أن تكون للزوجة سلطة عليه، فإنه كان يحرص على حسن معاملتها، فإنه لا يرضى أن يكون خنوعا وإمعة لا رأي له، فرجولته وفتوته تأبى ذلك، يقول الشنفرى:

إذا ما جئت ما أنهاك عنه ولم أنكر عليك فطلقيني
فأنت البعل يومئذ فقومي بسوطك لا أبالك فاضربيني⁽²⁾

ويقول عروة أنه لا يطيع زوجته إذا أمرته بعقوق:

إذا أمرتني بالعقوق حلياتي فلم أعصها إني إذا لمضيع⁽³⁾

لذلك نجد العربي يحرص على أن يتزوج المرأة العفيفة الشريفة، التي نشأت منشأ حسنا، فهي التي ستصبح مسئولة عن بيتها وزوجها وأبنائها، فصلاحتها صلاح لأبنائها، وهذا ما يشير إليه عبيد بن أيوب العنبري⁽⁴⁾ حيث يقول:

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث النجل خبث الحلائل⁽⁵⁾

(1) البغدادي، التنكرة الحمدونية (ج2/448).

(2) فرحات، ديوان الصعاليك (ص54).

(3) عروة، الديوان (ص84).

(4) عبيد بن أيوب العنبري، من بني العنبر، يكنى أبا المطراب أو أبا المطراد: من شعراء العصر الأموي. كان لصا حاذقا. أباح السلطان دمه، وبرئ منه قومه، فهرب في مجاهل الأرض، واستصحب الوحوش، وأنس بها، وذكرها في أشعاره. وكان يزعم أنه يرافق الغول والسعلاة ويبيت الذئب والأفاعي وكتب الدكتور نوري حمودي القيسي " عبيد بن أيوب العنبري، حياته وما بقي من شعره " في مجلة المورد لعراقية: العدد 2 من المجلد 3 (ص 121 – 136). ينظر: الأعلام (ج4/188).

(5) الجاحظ، الحيوان (ج2/ص138).

فالرجل يحب المرأة الكريمة العفيفة الحية، البعيدة عن الريبة، لذلك نتجه يتغنى بهذه الصفات التي يحبها ويعشقها في زوجته، يقول الشنفرى:

لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها
إذا ما مشيت ولا بذات تلفت
تبيت بعيد النوم تهدي غبوقها
لجارتها إذا ما الهدية قلت
تحل بمناجة من اللوم بيتها
إذا ما بيوت بالمذمة حلت
كأن لها في الأرض نسياً تقصه
على أمها وإن تكلمك تلبت⁽¹⁾

ويقول في أمانتها وحفظها لأسرار زوجها، وعدم ذكر زوجها أمام الناس إلا بما يحب، وعفتها ولزوم بيتها وعدم مغادرته:

أميمة لا يخزي نثاها حليلها
إذا ذكر النسوان عفت وجلت
إذا هو أمسى آب قرة عينه
فآب السعيد لم يسئل أين ظلت

قال الأصمعي: "هذه الأبيات أحسن ما قيل في حق النساء وعفتهن"⁽²⁾

وإذا كان الشعر العربي يزخر بالشعر الذي الذي أبدع أصحابه في وصف المحبوبة وصفا حسيا ومعنويا، حتى أنهم لم يتركوا شيئا يخصها إلا وصفوه، فإن الشاعر العربي أيضا لا يجد حرجا في وصف الزوجة وصفا حسيا وخصوصا في اوقات المعارك، يقول عمرو بن كلثوم:

على آثارنا بيض حسان
نحاذر أن تقسم أو تهونا
إذا ما رحن يمشين الهوينا
كما اضطريت متون الشاربينا
يقتن جياننا ويقان لستم
بعولتنا إذا لم تمنعونا⁽³⁾

(1) الضبي، المفضليات (ص159). الغبوق: ما يشرب بالعشي، المنجاة: مفعلة من النجوة وهي الارتفاع.

النسي: الشيء المفقود. نقصه: تتبعه. أمها: قصدها

(2) المرجع السابق (ص159).

(3) ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات (ج2 / 122-126).

و يقول الأعشى يصف النساء في معركة ذي قار:

لما أتونا كأن الليل يقدمهم
مطيق الأرض يغشاها بهم سدف
وظعننا خلفنا كحلا مدامعها
أكبادها وجف مما ترى تجف
حواسر عن خدود عاينت عبرا
و لاحها وعلاها غبرة كسف
من كل مرجانة في البحر أخرجها
غواصها ووقاها طينها الصدف⁽¹⁾

والزوج الذي يحب زوجته يعلم تماما أن زوجته تبادله الحب والتقدير وتحرص على حياته، وماله وقد تكثر من لومه بعاطفة صادقة، وقلب نابض بالمحبة، لذلك نجده يتقبل هذا ويستمتع له بسعة صدر وطول بال، ويحاورها حوارا هادئا رزينا.

يقول حاتم الطائي مصورا لومها له على بذل ماله

وعاذلة هبت بليلى تلومني
وقد غاب عيوق الثريا وعردا
تلوم على إعطائي المال خلة
إذا ضن بالمال البخيل وصردا
تقول ألا أمسك عليك فإنني
أرى المال عند الممسكين معبدا
ذريني وحالي إن مالك وافر
وكل امرئ جار على ما تعودا⁽²⁾

إنه يحاورها حوارا هادئا، بسعة صدر، وطول بال ومحاوولا إقناعها على أن تكف عن لومه بحده فيقول:

أعاذل لا آلوك إلا خليقتي
فلا تجعلي فوقى لسانك مبردا

(1) الأعشى، الديوان (ص 347). الصدفة: الظلمة.الظعينة: الزوجة.المدامع: جمع مدمع وهي العين. تجف:

تحقق. كسف: جمع كاسف وهو المهموم.

(2) الطائي، الديوان (ص 74) عيوق الثريا: هو النجم الذي ينثو الثريا ولا يتقدمها، عرد: مال للمغيب، المال

المعبد: المال المعبود.

ذريني يكن مالي لعرضي جنة
أريني جوادا مات هزلا لعنني
وإلا فكفي بعض لومك واجعلي
أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا
إلى رأى من تلحين رايك مسندا (1)

كذلك نجده يحاورها حوارا هادئا رزينا، ينم عن شخصيته متزنة، تعرف للمرأة قدرها، مع وعي لما تكنه زوجته من حرص على نفسه وماله وعياله. (2)

والزوجة تحب أن يظل زوجها مستقيما يحافظ على علاقه السليمة بها دون إسفاف ، أوعكوف على الهوى والخمر، والانغماس في المذات، والملهيات لما فيه من اعوجاج للخلق، وبعد عن الفضيلة، يقول الأعشى:

ذريني لك الويلات آتي الغوانيا
متى كنت زراعا أسوق السوانيا

ولكن الرجل قد يتضجر من تماديها في اللوم، فإذا ما وجد أنها تعدت حدودها التي رسمتها لها الأعراف السائدة، فإنه يكون عنيفا معها، قاسيا عليها، يغلظ القول لها، يقول عنتره لامرأة من بجيلة تذكر خيله وتلومه على جواد كان يؤثره، ويسقيه ألبان إبله:

لا تذكرني مهري وما أطمعته
فيكون جلدك مثل جلد الأجر

إن الغبوق له وأنت مسوءة
فتأوهي ما شئت ثم تحوبي (3)

بما الزوجة المحبة لزوجها والحريصة على حياته تحاول أن تثنيه عن الغزو والخروج للقتال، وقد تلجأ للبكاء من أجل إثارة الشفقة لديه فيطيعها إلى ما تريد لأنها لا تطيق العيش بدونه، ولا تقدر على فراقه، يقول عروة:

تقول: ألا أقصر من الغزو وأشتكي
لها القول ، طرف أصور العين دامع

(1) الطائي، الديوان (ص 74). جنة : وقاية، تلحين : تلومين.

(2) ينظر: ديوان حاتم الطائي (ص 78، 83، 104)

(3) عنتره، الديوان (ص 108). الغبوق : شراب العشي، التحوب : التوجع

سأغنيك عن رجع الملام بمزمع من الأمر لا يعيشو عليه المطاوع⁽¹⁾

ومع ذلك فالمرأة العربية تفضل الرجل الغني على الرجل الفقير، فهي تستحنه على السعي في طلب الرزق، فالمال فيه مهابة، والفقير شر لا يمكن احتمالها. يقول عروة:

قالت تحاضر إذا رأيت مالي خوي وجف الأثارب فالفؤاد قريح

مالي رأيتك في الندي منكساً وصبا كأنك في الندي نطيح

خاطر بنفسك كي تصيب عنيمة إن القعود مع العيال قبيح

المال فيه مهابة وتجله والفقير فيه مذلة وفضوح⁽²⁾

إن العربي يدرك هذه الحقيقة وهي أن الزوجة تحب المال، وتستهوئها الثروة، فالفقير لا خير فيه عندها، فهو يقابل بكل احتقار وازدراء عندها وعند صغارها، أم الغني مهما كان وزنه فإنه ينعم بالاحترام والتقدير وتقبل خطاياها، وتغفر زلاته، يقول عروة:

دعيني للغنى أسعى فاعني رأيت الناس شرهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن امسى له حب وخير

ويقصيه الندي وتزدرية حليته وينهره الصغير

ويلقي ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذبه والذنب جم ولكن الغني رب غفور⁽³⁾

(1) عروة، الديوان (ص82). مزعم : من أزمع الأمر قرره، وأثبت عليه وأصر، وأظهر فيه حزماً، يعيش عليه : يقصده. المطاوع: الموافق.

(2) عروة، الديوان (ص 54). خوى : فرغ، الوصب المريض. النطيح : الذي نطحه الثور بقرنه، ونطحه فلان: دفعه عنه وأزاله.

(3) عروة، الديوان (ص79).

وحب الزوجة للمال يجعلها حريصة عليه، تخشى من تبذيره وضياعها، لذا نجدها تطلب من زوجها الاقتصاد في الإنفاق، وقد يصل بها الأمر الى البخل أحيانا ،كما يصور ذلك تأبط شرا حين يقول:

تقول أهلك ما لا لو قنعت به
من ثوب صدق ومن بز وأعلاق
عاذلتى إن بعض اللوم مغنفة
وهل متاع إن أبقيته باق⁽¹⁾

" لعل حب المرأة الزوجة للمال، نابع من خوفها المستمر من المجهول الذي ينتظرها ويلف مستقبلها، حيث أن الفقر وضياع المال مدعاة للخروج المستمر، والتعرض للخطر الدائم الذي يؤول بالمرء إلى الموت أو الوقوع في الأسر وهذا ما تخشاه المرأة دائما."⁽²⁾

والعربي يدرك حقيقة مرة وهي أن الزوجة تحب الشباب لما فيه من فتوة وقوة، ونضارة وجمال، وانطلاق نحو الحياة، لذا يعاني من الاعراض عنه إذا ما وخطه الشيب، لذلك ظل الشيب نذير شؤم، حيث أنه إيذان بنهاية مرحلة اللهو والتصابي والشباب. فهذا قيس بن الحدادية⁽³⁾ يدرك هذه الحقيقة كما أدركها غيره فيقول:

هل الأدم كالآرام والزهر كالدمى
معاودتي أيامهن الصوالح
زمان سلاحي بينهن شبيبي
لها سائف في سيبهن ورائح
فأقسمن لا يسقينني قطر مزنة
لشبيبي ولو سالت بهن الأباطح⁽⁴⁾

لذلك نجد العربي يحاول أن يسلك طريقا آخر إلى قلب زوجته ألا وهو طريق الفروسية والبطولة وخوض الأحداث الجسام، فيقول أن ما بي من شيب ليس من طول العمر، ولكن من كثرة المعارك التي خضتها وجابهت أهوالها، واكتويت بحر نارها⁽⁵⁾، يقول عروة:

(1) الضبي، المفضليات (ص30).

(2) مهنا، المرأة في شعر الصعاليك (ص115).

(3) قيس بن الحدادية الخزاعي والحدادية أمه وهي من بني حداد من كنانة وقوم يجعلونها من حداد محارب، وهو شاعر قديم كثير الشعر له مع عامر بن الظرب العدوانى حديث. ينظر المرزباني، معجم الشعراء (ص325).

(4) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (ص 321).

(5) ينظر مهنا، المرأة في شعر الصعاليك، (ص 115).

وما شاب رأسي من سنين تتابعت طوال ولكن شيبته الوقائع (1)

ولكن قيس ابن الحدادية يبرر شيبه بسبب آخر غير الحرب وقتال الأعداء، فشيبه بسبب حب محبوبته التي أحبها وهام بها حتى أنه ليرتجى الموت ولا يسمح برحيلها. يقول:

و إن الذي أملت من أم مالك أشاب قذالي واستهام فؤاديا

فليت المنايا صبحتني غدية بذبح ولم أسمع لبين مناديا (2)

إن الشيب مبعث قلق للعربي، يقول مالك بن صريح:

جزعت ولم تجزع من الشيب مجزعا وقد فات ربي الشباب فودعا

ولاح بياض في سواد كأنه صوار بجو كأن جدبا فأمرعا (3)

من أجل ذلك نجد العربي الذي أدرك هذه الحقيقة، يعزف هو الآخر عن طلب ود من لا يرغب في وده، والسعي وراء من أدار له ظهره، بل يدرك حقيقة تتكشف له يوما بعد يوم؛ أن التصابي واللهم مع الناس قد أضحى لا يتناسب مع سنه وعمره؛ لذلك نجده يشغل نفسه بوصف ناقته وبيدع في وصفها، ويتحدث عن خوض الصحراء، وذكر حله وارتحاله في مجاهلها، وتحمل مشقات السفر فيها، وربما يهدف من هذا، التأكيد على أنه ما زال قويا قادرا على تحمل أعباء الحياة.

وبعد فإن المرأة وجدت عند زوجها المنزلة والمكانة التي حفظت لها قدرها وصانته وجهها، وأعلت شأنها، حاطها برعايته، وحماها بقوته وأحسن صحبتها، فعاشت في كنفه عزيزة، كريمة، شريفة، إن قالت سمع لقولها، وإن أشارت استمع لمشورتها، في ود ومحبة وألفة، وسعة صدر، ورحابة نفس، وعلو همة، وحسن خلق.

(1) عروة، الديوان، (ص 82).

(2) الأصفهاني، الأغاني، (ج 151/14). القذال: جماع مؤخر الرأس. استهام فؤاده: أذهب

(3) الأصمعي، الأصمعيات (ص 62). الصوار: القطيع من البقر. الجو: ما انخفض من الأرض.

ثانياً: الصفات المعنوية:

لقد أدركت المرأة العربية الجاهلية المكانة الكبيرة والمهمة للزوج الذي ربطت حياتها بحياته، ومستقبلها بمستقبله، وتبثه ودها وحبها، وله تسلم أمرها، فلا غرو فهو الذي يحوطها برعايته، فعنها يدافع، ومن أجلها يكافح وينافح، لذلك فإنها تصوره بالجبل المانع الحصين الذي تلوذ به فتحيا حصاناً بعيدةً عن كل ما يسوؤها، تقول فاطمة بنت الأحجم⁽¹⁾:

يا عين بكّي عند كل صباح	جوذي بأربعةٍ على الجراح
قد كنت لي جبلاً ألوذ به	فتركتني أضحى بأجردٍ ضاح
قد كنت ذات حميةٍ ما عشت لي	أمشي البرازَ وكنت أنت جناحي
فاليوم أخضعُ للذليل وأتقي	منه وأدفعُ ظالمي بالراح
وإذا دعيت قمريةً شجناً لها	يوماً على فننٍ دعوت صباحي
وأغضُّ من بصري وأعلم أنه	قد بان حدُّ فوارسي ورماحي ⁽²⁾

نلاحظ مما سبق أن الزوجة كانت تحيا حياة هانئة وادعة في كنف رجل أبي حمي تحتمي بسلطانه، وتعزز بقوته وعنفوانه، فلا يجرؤ أحد على الاقتراب منها، أو المساس بها، إلا أن فقدته غير الأمن خوفاً، والعز ذلاً، وأضحت بعده تدفع عن نفسها براحة يدها، فأصبحت كسيرة الجناح، مهيضة الجانب.

(1) فاطمة بنت الأحجم الخزاعية: هي ابنة الاحجم بن دندنة، ويقال الاحجم أيضا. وهو أحد سادات العرب في الجاهلية، وأمها خالدة بنت هاشم بن عبد المطلب، وقد تمثلت السيدة فاطمة بنت محمد (ﷺ) بشعرها حين انتقل الرسول (ﷺ) الى الرفيق الأعلى. ينظر: كحالة، أعلام النساء (ج 4/26).

(2) عبدالرحمن، عفيف، ديوان شعر الأيام (ص 449). المرزوقي، حماسة أبي تمام (ج 2/959). ويموت، شاعرات العرب (ص 164). بكّي: أكثرني البكاء. الأربعة: أرادت بها قبائل الرأس والدمع يخرج من الشؤن. الضاحي: البارز للشمس، الأجرد: الأملس. البراز: المكان الفضاء من الأرض. أدفع ظالمي بالراح: أدافعه باللين ما أجد السبيل إليه. دعوت صباحي: قلت واصباحاه. أغض من بصري: غض البصر من فعل الذليل.

إن هذا الشعور الطاغي على المرأة العربية يجعل جليلة بنت مرة ترى أن فقد الزوج يعني انهدام البيت، حيث تقول:

يا قتيلاً قوض الدهرُ به سقّف بيتي جميعاً من عل
هدّم البيت الذي استحدثته وسعى في هدم بيتي الأول
مسني فقد كليب بلظي من ورائي ولظي مستقبلي⁽¹⁾

لقد آل بيت الزوجية إلى الخراب والدمار بعد مقتل زوجها، فهي تعبر عن مصيبتها في فقد زوجها بعاطفة صادقة ملتهبة لا تكلف فيها ولا تصنع، فالأمر جلل، والمصيبة عظيمة.

إن الزوج هو ذلك البطل الهمام الذي يحمي الحرمات، ويدفع المنكرات، ويذود عن حمى القبيلة في الشدائد والملمات، إذا ما اشتد أوار الحرب واكتوى الناس بلظاها، وهو الذي يكرم الضيف، ويغيث الملهوف، فإذا ما فُقد، فقدت كل هذه الخصال، واستحال الأمن خوفاً، وجهداً وبلاءً، وازدادت الحياة ضنكاً، مما يورث الزوجة حرقة وألماً لا ينقضيان، ودمعاً لا يرقأ، وسهداً طويلاً. تقول سمية زوجة شداد العبسي:

جفاني الكرى وأنا في الغسق وساعدني الدمعُ لما اندفق
لفقد همام مضى وانقضى وقد زاد مني عليه القلق
فمن بعد شداد يحمي الحريم إذا الحرب قامت وسال العرق؟
ومن يردع الخيل يوم الوغى ومن يطعن الخصم وسط الحدق؟
ومن يكرم الضيف في أرضه ومن للمنادي إذا ما زَعق؟
لقد صرت من بعده في ضنى وقلبي لأجل الفراق احترق⁽²⁾

(1) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية (ص 37 - 38).

(2) ديوان شعر الأيام (ص 351 - 352). ويموت، شاعرات العرب (ص 95). الحدق: جمع حدقة وهي السواد المستدير وسط العين. زعق: صاح.

فشداد فارس شجاع يحمي الحرمات، ويخف لنصرة الملهوف والمستجير، ويكرم الأضياف، وهي صفات طالما أحببتها المرأة في زوجها، لذا فهي تعبر عن حزنها لمقتل زوجها وما انتابها من سهاد وضنى؛ فأمضت ليلها تذرف الدموع الغزار، التي كانت معينها في محنتها، لقد زاد قلقها؛ لأنها فقدت الرجل الشجاع، الذي يحمي الحرم، ويدفع عنها السبي، عند اشتداد أوار المعارك فيرد خيل الأعداء ويطعنهم الطعنة النجلاء⁽¹⁾.

ونجد الرباب زوجة الحسين بن علي - رضي الله عنه -، تلح في شعرها على ذات الصفة التي تتغلغل في أعماق المرأة معبرة عن حاجتها الدائمة لمن يحميها ويدفع عنها حيث تقول:

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به وكننت تصحبنا بالرَّحْمِ والدين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أُغَيَّبَ بين الرَّمْلِ والطين⁽²⁾

فالمرأة أكثر من وصف الزوج بالجبل، وهذا تضخيم في الوصف يظهر الحالة النفسية، وهذا الشعور الطاغي عليها، الذي يعد مزيجاً من الخوف والقلق، والألم والحسرة، والضعف وقلة الحيلة، والتي كان الزوج حصناً لها منها، الأمر الذي يعد هذا الوصف منطقياً ومقبولاً. لذلك نجد أن الخرنق بنت بدر ترى أن الحزن يتوقف عند فقد زوجها بشر حيث تقول:

ألا أقسمتُ آسى بعد بشرٍ على حي يموت ولا صديق⁽³⁾

وما ذاك إلا لما يتصف به زوجها بشر، من صفات الشجاعة والإقدام والحمية، والكرم، تقول:

ألا ذهب الحلال في القفرات ومن يملأ الجفان في الحجرات
ومن يرجع الرمح الأصم كُغُوْبِهِ عليه دماءُ القوم كالشقرات⁽⁴⁾

(1) ينظر: عبد قاسم، مراثي النساء في شعر عصري ما قبل الإسلام، وصدر الإسلام دراسة موازنة (ص68-69).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص172).

(3) الخرنق، الديوان، رواية أبي عمرو بن العلاء (ص 39).

(4) الخرنق، الديوان، رواية أبي عمرو بن العلاء (ص 48 - 49). الحجرات: السنوات المجدبة، يطعم فيها الأضياف. الشقرات: مفردها الشقرة، وهي شقائق النعمان.

وتقول مفتخرة بزوجها:

لَقَدْ عَلِمْتَ جَدِيلَهُ أَنْ بَشَرًا
غِدَاةً أَتَاهُمْ بِالْخَيْلِ شُعْثًا
عَلَيْهَا كُلُّ أَصِيدٍ تَغْلِبِي
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرَهَفَاتٍ
وَكُلُّ مُتَّقَفٍ بِالْكَفِّ لَدُنِ
فَعَادَرَ مَعْقِلًا وَأَخَاهُ حِصْنًا
غِدَاةً غِدَاةً مُرَبِّحٌ مُرُّ التَّقَاضِي
يَدُقُّ نُسُورَهَا حَدُّ الْقِضَاضِ
كَرِيمٌ مُرَكَّبٌ الْحَدِيدِ مَاضٍ
جَلَاهَا الْقَيْنُ خَالِصَةُ الْبِيَاضِ
وَسَابِغَةٌ مِنَ الْحَلْقِ الْمُغَاضِ
عَفِيرَ الْوَجْهِ لَيْسَ بِذِي انْتِهَاضٍ⁽¹⁾

"قبشر بن عمرو سيد بني مرثد، وكان رجلاً ذا كبرٍ ونخوة"⁽²⁾.

فالشاعرة تعدد صفات زوجها التي أحببتها فيه، والتي تحرص على ذكرها في شعرها، لما لها من أهمية في حياتها، فهو جواد كريم، يحمي الحرمات ويذود عنها، ويجالس عليّة القوم من الملوك والأمراء، تقول:

فَكَمْ بِقَلَابٍ مِنْ أَوْصَالِ خَرْقٍ
نَدَامَى لِلْمَلُوكِ إِذَا لَقَوْهُمْ
هُمْ جَدَعُوا الْأَنْوَفَ وَأَوْعَبَوْهَا
وَبِيضٍ قَدْ قَعَدْنَ وَكُلُّ كَحْلٍ
أَخِي ثَقَاةٍ وَجُمُجْمَةٍ فُلَيْقٍ
حُبُّوا وَسَقَوْا بِكَأْسِهِمُ الرِّحِيقِ
فَمَا يَنْسَاغُ لِي مِنْ بَعْدُ رَيْقِي
بِأَعْيُنِهِنَّ أَصْبَحَ لَا يَلِيْقِ

(1) المرجع السابق (ص 50 - 51). نسورها: بواطن حوافرها، القضاض: الحصى الصغار. الأصيد: المتكبر أو المغرور، أي الذي يرفع رأسه تيهاً وكبراً، ومن هنا قالوا: (الملوك الصيد). الصارم: السيف الثقيل. جلاها القين: صقلها وسنها الحداد. المتقف: الرمح المهذب المسوى، اللدن: الطري، المهتز، السهل السيطرة عليه. سابغة: واسعة. المغاضة: هي الثياب الفضفاضة. ليس بذى انتهاض: أرادت الخرنق أنه أصبح جثة هامة لا حراك لها.

(2) المرجع السابق (ص 33).

أضاع بضوعهن مُصابٌ بشرٍ و طعنةُ فاتكٍ، فمتى تفيقي؟! (1)

أما ليلي العفيفة، فإنها تفخر بزوجها البراق وتمدحه بقولها:

براق سيدنا وفارس خيانا وهو المطاعن في مضيق الجحفل

وعماد هذا الحي في مكروهة ومؤمل يرجوه كل مؤمل (2)

فالبراق ابن عم الشاعرة وزوجها، فارس العشيرة، وسيدها، الذي لم يُخيب ظنها فيه حين استتجبت به وهي عند الفرس أسيرة، حيث احتال لها وخلصها، وعاد بها إلى أهلها، معززة مكرمة، وفيه قالت وهي في الأسر:

ليت للبراق عيناً فتري ما ألقى من بلاء وعنا (3)

وقد يصل الحد بالمرأة أن تجعل الجماد يشاركها إحساسها الطاغي عليها، وحسرتها المتمكنة منها، فيفتخر القبر بمن حل فيه، ويتيه على باقي القبور، غبطة بساكنيه، لما يحوي الجب من الصفات الطيبات، البطولة والسماحة والكرم وبعد المنال.

تقول امرأة:

هل خبّر القبر سائليه أم قرّ عيناً بزائريه

أم هل تراه أحاط علماً بالجسد المستكين فيه

لو يعلم القبر من يوارى تاه على كل ما يليه (4)

ثم كغيرها تعدد صفات البطولة والشجاعة والإقدام، وحماية الأعراس فتقول:

أنعى بريداً إلى حروب تحسّر عن منظر كريه

(1) الخرنق، الديوان، رواية أبي عمرو بن العلاء (ص 41 - 42). الخرق: الجواد التي يتخرق بالمعروف.

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 34).

(3) المرجع السابق (ص 32).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص 181).

يا جبلاً كان ذا امتناعٍ وطفود عزٌّ لمن يليه⁽¹⁾

وترى نعم زوجة شماس بن عثمان في فقهه فقداً للكرم والشجاعة والإقدام، والفروسية، فهو الرجل الجواد الكريم، القائد الشجاع، الذي لا يقعد عن سرية، ولا يقبل الدنية، وهو الكافي لأهله ومؤونتهم وسبل عيشتهم، تقول:

يا عين جودي بفيض غير إبساس على كريم من الفتيان لبّاس

صعب البديهة ميمون نقيبته حمّال ألوية ركّاب أفراس

أقول لما أتى الناعي له جزعاً أودى الجوادُ وأودى المطعمُ الكاسي

وقلت لما خلّت منه مجالسه لا يبعد الله عنّا قرب شمّاس⁽²⁾

وانظر إلى هذه المبالغات التي لجأت لها، وهي تمعن في الوصف، وتتأنق في إلحاق الصفات، التي طالما أحببتها فيه.

وتعترف سلمى بنت حريث النضرية بأن زوجها يمثل الحصن المنيع الذي يحميها من اللأواء والغير، وصرّوف الدهر، حيث تقول:

أصبحت نهياً لريب الدهر صابرة للذل أكثر تحناناً إلى زُفر

إلى امرئ ماجد الآباء كان لنا حصناً من اللأواء والغير

كان العماد لنا في كل حادثة تأتي بها نائبات الدهر والقدر⁽³⁾

فزوجها هو الملاذ لها من كل حوادث الدهر، فتحيا في كنفه عزيزة كريمة، فإذا ما فقدته، كانت عرضة للذل والهوان.

(1) المرجع السابق (ص 181).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 126). الإبساس: إبساس الرجل بالناقة لتدر. ينظر: البندنجي أبو بشر (ت 284 هـ)، التفقيه في اللغة (ص 472). النقيبة: النفس. وميمون النقيبة: أي مظفر.

(3) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 181). اللأواء: الشدة والبلية. الغير: الملمات.

وهذا جعل المرأة العربية تحرص على أن يتصف زوجها بالشجاعة والإقدام وإغاثة الملهوف في وقت يقل المغيث، ونجدها ترد هذا كثيراً في شعرها، تقول امرأة من طيء:

ألهفي عليك ابن الأشد لهمةً أفزّ الكمأة طعننا وضرائبها
متى يدعه الداعي إليه فإنه سميع إذا الآذان صمّ جوابها
هو الأبيض الوضاح لو رُميت به ضواح من الريان زال هضائبها⁽¹⁾

فزوجها فارس شجاع لا يخشى لقاء الفرسان، ولا يقعد عن نصره المستغيث.

إن الزوج يغدو في نظر الزوجة مزيجاً من الصفات التي أحببتها حتى إنها تبكي - حين تبكيه - على فقدها، تقول امرأة:

أبكيك لا للنعيم والأنس بل للمعالي والرمح والفرس
أبكي على فارس فجعت به أرماني قبل ليلة العرس
يا فارساً بالعراء مطرحاً خانته قواده مع الحرس
من لليتامى إذا هم سغبوا وكل عان وكل محتبس!⁽²⁾

وهذه زهراء الكلابية تتحدث عن فقدها للأمن والأمان الذي كانت تحياهما في كنف زوجها، فتقول متحسرة:

وكنت أنام الليل من ثقتي به وأعلم أن لا ضيم وهو صحيح
فأصبحتُ سالمتُ العدو ولم أجد من السلم بدأً والفؤاد جريح⁽³⁾

إن ابنة النعمان بن بشير لم تنس زوجها مالك بن عمرو الغساني، حين أن فقده ألقدها النطق عاماً، وعندما أرادوا أن يزوجوها بأحد أبناء الملوك أنشأت تقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 92). الكمأة: مفردها كمي، وهو الفارس الشجاع.

(2) المبرد، الكامل (ج 4/ 80).

(3) البصري، الحماسة البصرية، (ج 1/ 228).

يقول رجال زوّجوها لعلها تفيق وترضى بعده بخليل
فأضمرت في النفس التي ليس بعدها رجاءً لها والصدق أفضل قيل
أبعد ابن عمرو سيد القوم مالك أرف إلى زوجٍ بعضبٍ كليل⁽¹⁾

إنها ترفض الزواج بغير زوجها، الذي أحبته، حباً ملك عليها نفسها، تصغي لكل حديث
يدور حول زوجها، مبتهجة لكل ما يقال عنه من رفاقه، تقول:

وخبرني أصحابه أن مالكاً خفيفاً على العلات غير ثقيل
وخبرني أصحابه أن مالكاً ضروباً بماضي الشفرتين صقيل
وخبرني أصحابه أن مالكاً جواداً بما في الرّحل غير بخيل
وخبرني أصحابه أن مالكاً ثوى، وتنادى صحبه برحيل
فما كان يشريني خليلي بخلةً وما كنت أشري مالكاً بخليل⁽²⁾

وتصف عاتكة بنت زيد⁽³⁾ صفات زوجها عبد الله بن أبي بكر (رضي الله عنهما) مبرزة
صفات الشجاعة والإقدام والحمية والصبر، وعدم الخوف من الموت فتقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص177). الوشاء، الظرف والظرفاء، (ص 112 - ص113).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 177).

(3) عاتكة بنت زيد: هي السيدة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية، أخت سعيد بن زيد، أمها أم
كريب بنت عبد الله بن عمار بن مالك الحضرمي، كانت من المهاجرات تزوجها عبد الله بن أبي بكر
الصديق (رضي الله عنه) ثم بعد استشهادها تزوجها عمر بن الخطاب، ثم تزوجها الزبير بن العوام وبعد استشهادها تزوجها
الحسين بن علي (رضي الله عنه) لها مرات فيهم جميعاً. ينظر: الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، (ت453هـ):
ج1/66، وينظر: القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (431/4-432).

فأله عيناً من رأى مثله فتىً أكرّ وأحمى في الهياج وأصبراً

إذا شرعت فيه الأسِنَّة خاضها إلى الموت حتى يثرك الموت أحمرًا⁽¹⁾

إنها تصف شجاعة زوجها وبلاته في الحرب "وهي في وصفها لشجاعته لا تعتمد إلى التأميل الطويل في تعظيم شجاعته، وإظهاره بصورة هو مغاير لها، بل كان وصفها له حقيقة من غير تأمل لأنها زوجته وأقرب الناس إليه؛ لذلك فهي أقدر الناس على اكتشاف حقيقة شجاعته"⁽²⁾.

وها هي تطلب من عينيها أن تجود بالدموع على عادة النساء الشواعر في عصر ما قبل الإسلام، وكن يعلنن طلبهن هذا بأن الزوج كان شجاعاً، وحامياً للحريم والزوار، وسريع الأخذ بالتأثر من القتل، إلا أن بكاء عاتكة كان لأسباب أغلبها إسلامية أخلاقية؛ فزوجها كان عصمة للناس من الانحراف في كسب المال؛ لأنه قام بحقوقهم وأجزّل لهم العطاء فكفاهم عما في أيدي الناس، فكان عادلاً وناصحاً وخير معين للمسلمين على مصائب الدهر ونوائبه⁽³⁾، تقول:

عينٌ جودي بعبرةٍ ونحيب لا تملي على الأيمن النجيب

فجعتني المنون بالفراس المع — أم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهر — ر وغيث المحروم والمحروب⁽⁴⁾

وتقول:

أبكي أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائح وصعيد⁽⁵⁾

(1) البصري، الحماسة البصرية (ج1، ص202).

(2) الجبيلي، الشهادة والشهيد (ص84).

(3) عبد، قاسم، مراثي النساء (ص167).

(4) البصري، الحماسة البصرية (ج1/203).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص169).

وتقول:

وفجعتني فيروز لا درّ درّه
رؤوف على الأدنى غليظ على العدا
متى ما يُقْلُ لا يكذب القول فُغله
سريع إلى الخيرات غير قطوب⁽¹⁾
بأبيض تالٍ للكتاب منيب
أخي ثقة في النائبات نجيب

لقد جمعت الشاعرة بين المعاني التقليدية، والألفاظ الإسلامية الجديدة، وهذا طبيعي لشاعرة عاشت العصرين وتأثرت بالبيئتين، فهي تذكر الدمع والبكاء، ثم تذكر كرم الزوج بألفاظ إسلامية (كأمير المؤمنين) وهذه لفظة جديد جاءت مع الإسلام، إنها ترى في موته فجيعة للناس جميعاً؛ فقد كان غياثهم في السلم والحرب، ومعيناً لهم على النائبات، ومخلصهم من الشرور والبيغي، "إنها تحاول أن تحدد ملامح شخصيته (رضي الله عنها) بوصفه إماماً عادلاً، وخليفة صادقاً، فقد كان سباقاً إلى الخير والإيمان، وقافاً عند حدود الله"⁽²⁾.

وتعدّ الشاعرة مناقب زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه، فهو في نظرها فارس شجاع، ليس طائشاً ولا جباناً، ولا يقعد عن غزوة ولا يتأخر عن مكرمة، فهو سباق إلى الإنفاق في سبيل الله، كريم جواد، حتى عدّ قدوة فيه، تقول:

غدر ابن جرموزٍ بفارس بهمةٍ
يا عمرو لو نبّهته لوجدته
يوم اللقاء وكان غير معرّد
كم غمرةٍ قد خاضها لم يثنه
لا طائشاً رعش الفؤاد ولا اليد
شلت يمينك، إن قتلت لمسلماً
عنها طرادك يا ابن فقع القرد
حلت عليك عُقوبة المتعمّد

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 168).

(2) عبد، قاسم، مراثي النساء في شعر عصري ما قبل الإسلام وصدر الإسلام (ص 168).

إن الزبير لذو بلاءٍ صادقٍ سمحٌ سجيئته كريمُ الشهيد⁽¹⁾

إن شعر عاتكة بنت زيد يحمل الكثير من المعاني الإسلامية، التي تتبع من روح ملأها الإيمان، وغلبتها عاطفة الحب والوفاء لأزواجها، مما جعل شعرها ينساب رقراقاً، متدفقاً على لسانها، في سهولة ويسر دون تكلف.

أما هند بنت أثاثة⁽²⁾ فهي خير من يثبت لنا صفات الكرم والجود والحب والوفاء، لأنها أقرب الناس إليه وهي راعية في بيته تعد الطعام لضيوفه الغرباء في أصعب الظروف والأوقات، فالناس قد أصابها القحط والجذب، وهم يعانون قسوة ليالي الشتاء الباردة، فكانوا بأمس الحاجة إلى الراحة، والدفء، والطعام فوجدوا ذلك في بيت عبدة إذ اهتدوا بناره التي أوقدا بالحطب الجزل حتى تبقى مشتعلة إذ يتبعه نحوه طارق الليل البعيد، ولم ينس الأرامل والأيتام فقد شملهم بعطائه فهو يرعاهم ويقضي حوائجهم⁽³⁾، تقول:

قد ضمّن الصفراءُ مجداً وسؤدداً وجنماً أصيلاً وافرَ اللبِّ والعقل
عبدة فابكيه لأضياف غربةٍ وأرملة تهوي لأشعث كالجدل
ويكّيه للأقوام في كلّ شتوةٍ إذا احمرّ آفاق السّماء من المخل
ويكّيه للأيتام والريح زفّزف وتشيببُ قِدرٍ طالما أزيدت تغلي
فإن تصبح النيرات قد مات ضوءها فقد كان يذكهنّ بالحطب الجزل

(1) البصري، الحماسة البصرية (ج1، ص 72)، ويموت، شاعرات العرب (ص169). فارس بهمة: شجاع.

غير معرّد: غير جبان. فقع: نوع رديء من الكمأة. القردد: أرض مرتفعة إلى جانب وهدة.

(2) هند بنت أثاثة: هي هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشية كانت في الجاهلية شاعرة ذات شهرة ثم أسلمت وبايعت النبي (ﷺ) بعد معركة بدر تزوجت أبا جندب بعد معركة خيبر فولدت له ابنته (ربطة) لها شعر في رثاء النبي (ﷺ) وبكائه توفيت نحو سنة 10 هجرية. ينظر: ابن هشام، السيرة: (ج2/284)، وينظر: أعلام النساء (5/286). وينظر: شاعرات في عصر النبوة (ص 189).

(3) ينظر الجبيلي، الشهادة والشهيد في الشعر العربي (ص84).

لطارق ليلٍ أو لملتمسِ القرى ومستنجٍ أضحى لديه على رسل⁽¹⁾

فزوج الشاعرة كريم جواد، يكرم الضيوف والمحتاجين، في أشد وأهلك الظروف، "فالذي يقدم كرمه في مثل هذه الظروف القاسية ولكل هؤلاء الناس وهم في تلك الحالة البائسة جواد إلى درجة الإيثار"⁽²⁾.

إن هذه الصفات المعنوية من شجاعة وإقدام، وكرم وحسن خلق، وحب ووفاء، وغوث الملهوف، ونصرة الضعيف، وحماية الحرمات وصونها، كل هذه الصفات أحببها المرأة العربية في الرجل وامتدحتها وعددتها، وتغنّت إما مزهوة بها، أو متحسرة على فقدها، إنها صفات كانت موجودة في الجاهلية، وعززها الإسلام، لذا وجدنا كلاً من شاعرات الجاهلية وشاعرات الإسلام تحرص على ذكرها بكثرة في الشعر.

وقد تظل المرأة وفية لزوجها، حتى بعد مماته، تحفظ عهده، وتصون وده، وتعيش على ذكره، وذلك إذا كان لها محباً، وعلى ودها محافظاً، فهذه لطيفة الحدانية⁽³⁾ تتزوج ابن عمها، وتولع به ولعاً شديداً، إلا أنه يمرض ويموت، فاستولى عليها الحزن، فرؤيت على قبره بكامل زينتها وهي تبكي، فقالوا لها: يا هذه نراك حزينة وما عليك زي الحزن، فقالت:

فإن تسألاني فيم حزني فإنني رهينةُ هذا القبر يا فتيانِي
وإن تسألاني عن هواي فإنه مقيم بحوضي أيها الرجلان
وإنني لأستحييه والتُّربُ بيننا كما كنتُ أستحييه حين يراني

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (ج2/ 41-42). الصفراء: موضع بين مكة والمدينة. الأشعث: المتغير. الجذل: أصل الشجرة وغيرها، تصفه بالثبات والقوة. المحل: القحط. الزفزف من الرياح: الشديدة السريعة المرور. التشبيب: إيقاد النار تحت القدر ونحوها. أزيدت: رمت بالزبد وهو الرغوة. الجزل: الغليظ. المستبج: الذي ينبج في الليل لتبج الكلاب فيستدل على القوم.

(2) الخطيب، بشرى محمد، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام (ص 65).

(3) ليس في ترجمتها سوى خبرها مع ابن عمها. فقد تزوجها فولعت به ولعاً شديداً، ثم مرض ومات، فاستولى عليها الحزن، ورؤيت على قبره وكأنها تمثال، وعليها من الحلبي والحلل شيء كثير وهي تبكي. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص161).والعاملي، الدر المنثور (ص465).

أهابك إجلالاً وإن كنت في الثرى

ثم اندفعت في البكاء، وجعلت تقول:

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بي

قد زرت قبرك في حلي وفي حلل

لما علمتُك تهوى أن تراني في

أردتُ آتيك فيما كنت أعرفه

فمن رأني رأى عبيري مؤلهة

وأكره حقاً أن يسوِّك مكاني⁽¹⁾

عيشاً ويكثر في الدنيا مواساتي

كأنني لست من أهل المصيبات

حلي وتهواه من ترجيع أصوات

أن قد تُسرُّ به من بعض هيأتي

عجيبه الزِّي تبكي بين أموات⁽²⁾

وهذه الذلفاء بنت الأبييض⁽³⁾ تعتذر إلى قبر نجدة زوجها، مبينة له أنها لم تهجره قالية، ولكنها بكت دماً بعد أن انقطع الدمع، وما كان هذا ليحدث لولا أن الزوج أحسن صحبة زوجته، فظلت وفية له بعد مماته، تقول:

يا قبر نجدة لم أهجرك مقلية

لكن بكيتك حتى لم أجد مدداً

وأياستني جفوني من مدامعها

فلم أزل بدمي أبكيك جاهدة

وتقول:

ولا سلوتك عن صبر ولا جأد

من الدموع ولا عوناً على الكمد

فقلت للعين جودي من دم الكبد

حتى بقيت بلا روح ولا جسد⁽⁴⁾

ورحت وماء العين ينهل هامله

يعاجلها من بعده أو تعاجله⁽⁵⁾

سئمت حياتي يوم فارقت نجدة

ولم أر مثل الموت للنفس راحة

(1) يموت، شاعرات العرب (ص150).

(2) المرجع السابق (ص 160).

(3) لم أف على ترجمة لها.

(4) البغدادي، التذكرة الحمدونية (ج 4/ 253-254).

(5) البغدادي، التذكرة الحمدونية (ج4/254).

وانظر إلى أم عقبة ووفائها لزوجها الذي كان مفتوناً بها يحسن صحبتها، ولا تحسن الصحبة إلا باجتماع أحسن الصفات في الزوج والزوجة، فهذا زوجها غسان بن جهضم يسألها ماذا ستفعل بعده فتجيبه شعراً:

قد سمعنا الذي تقول وما قد خفته يا خليل من أم عقبة
أنا من أحفظ النساء وأرهاها لما قد أوليت من حُسن صعبة
سوف أبكيك ما حييت بشجو ومراثٍ أقولها وبندبة⁽¹⁾
فلما مات خطبت من كل جانب فقالت:

سأحفظ غساناً على بعد داره وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشُرُ
وإني لفي شغلٍ عن الناس كُلِّهم فكفُّوا فما مثلي ممن مات يغدُرُ
سأبكي عليه ما حييت بعبرةٍ تجول على الخدين مني فتهمُرُ⁽²⁾

فالمراة الشريفة إن رأت في زوجها من الخلال ما تحب، ومن المعاملة ما يروق لها ويطيب، فإنها تقابل هذا بأحسن منه، وداً صادقاً وصافياً لا تشويه شائبة، ونصحاء خالصة لا رياء فيه ولا موارد، وهو آخر شيء قبل النوم وهو أول شيء بعد اليقظة، وكأنه قد ملك عليها نفسها وملاً عليها حياتها، فلا يلهيها عنه شيء، تقول امرأة:

فصار لك مني النصح ما دمت حيةً وودُّ كماء المزون غيرُ مشوب
وآخر شيءٍ أنت لي عند مرقدِي وأول شيءٍ أنت عند هبوبي⁽³⁾

وهذه امرأة تيمية تعجب رجلاً فيراودها عن نفسها فتقول له: أما لك زاجر من الحياء؟ فيقول لها: لن يرانا إلا الكواكب، فتقول: وأين مكوكبها؟ فقال لها: ألك بعل؟ قالت: قد كان، ولكن دعي إلى ما خلق له، ثم قالت:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 180).
(2) المرجع السابق (ص 180).
(3) يموت، شاعرات العرب (ص 203).

إني وإن عرضت أشياء تضحكني
 إذا دجا الليل أحياء لي تذكره
 وكيف ترقد عين صار مؤنسها
 أبلى الثرى وتراب الأرض جدته
 أبكي عليه حيناً حين أذكره
 أبكي على من حنت ظهري مُصيبته
 والله لا أنس حبي الدهر ما سجت
 لموجع القلب مطوي على الحزن
 وزادني الصبح أشجاناً على شجن
 بين التراب وبين القبر والكفن
 كأن صورته الحسناء لم تكن
 حنين والهة حنت إلى وطن
 وطير النوم عن عيني وأرقني
 حمامة أو بكى طير على فنن⁽¹⁾

لقد عاشت هذه المرأة بعد زوجها موجعة القلب، دامعة العينين غلبها السهد والأرق، والبعد والفرق، وعظم المصيبة، فالذي تحبه وتعشقه قد غدا تحت الثرى، أذهب حسنه تراب الأرض وثرها وليس لها إلا أن تُسلمَ نفسها لحزن لا ينقطع، ومع لا يرقأ، وحين عرّضت عليها الزواج، أطرقت ملياً ثم قالت:

كنا كغصنين في أصل غداؤهما
 فاجتث خيرهما من جنب صاحبه
 وكان عاهدني إن خائني زمني
 وكنت عاهدته أيضاً فعاجله
 فاصرف عنانك عن ليس يروعها
 ماء الجداول في روضات جنات
 دهر بكر بفرجات وترجات
 أن لا يضاجع أنثى بعد مثواتي
 ريب المنون قريباً مذ سُنيات
 عن الوفاء خلاب في التحيات⁽²⁾

(1) 1000. ووت، شاعرات العرب (ص 208).

(2) 1000. ووت، شاعرات العرب (ص 208).

وحُقَّ لها أن تبقى على العهد وفيه، للذي أحسن صحبتها، وصان حرمتها، فكان لها وفياً في حياتها، وحريصاً على ودّها بعد مماتها، يحن إليها، ويعطف عليها، وهذا الذي يجعل المرأة والهة حرّى على فراقه، تنكيه بحرقة وألم، بعد أن تملكها الحزن، وجافى عنها النوم.

والمرأة العربية قد تقع فريسة لطغيان زوجها وتجبره، وسوته عليه، فهذه عمرة بنت الحباب التغلبيّة⁽¹⁾، تصور زوجها في صورة الطاغية المتجبر، حين أقدم على لطمها على وجهها لكمة شديدة، احمرت منها عيناها ولم يشفع لها إلا أمها، تقول:

ما كنت أعلم والحوادث جمّة أنا عبيد الحيّ من غسان
حتى علتني من لبيد لكمةً سُجرت لها من حرّها العينان
إن ترض تغلب وائلٍ بفعالهم تكن الأذلة عند كل رهان
لولا الوجيّهة قطعنتي بكرة جرباء مشعلّة من القطران⁽²⁾

لقد رسمت الشاعرة صورة لزوجها أظهرته فيها - وإن كان ملكاً- زوجاً قالياً لزوجته، زاهداً فيها، عنيفاً في معاملتها على غير عادات السادات من العرب غير مكترث بأهلها وعشيرتها.

وهذه امرأة تتحدث عن سوء معاملة زوجها لها، وتلذذه بعذابها رغم استعطافها له، وصبرها على أذاه، فتمنى لو أنها ملك للأعراب بدلاً منه، فنقول:

(1) عمرة بنت الحباب التغلبيّة، أخت كليب، إحدى شواعر العرب في الجاهلية من قبيلة تغلب أمها: الوجيّهة بنت عمران بن عامر ملك الأزدي تزوجها لبيد بن عنبسة الغساني والي ربيعة من قبل ملك اليمن قتله كليب في لكمة لطمها لعمرة. معجم الشعراء، الكتروني (ص1785).

(2) ميدان، شعر تغلب في الجاهلية (ص 222 - ص223). جمّة: كثيرة. غسان: قبيلة باليمن، وتريد ملوك كندة اليمنيين. لبيد: هو لبيد بن عنبسة الغساني، والي ربيعة من قبل ملوك اليمن، تزوج عمرة أخت كليب، ثم طغى عليهم وثقلت وطأته، فقتله كليب في لكمة لطمها لعمرة التغلبيّة، سُجرت: خالط بياضها حُمرة، حرّها: لهيبتها. رهان: المسابقة على الخيل ومثله. الوجيّهة: أم عمرة التغلبيّة، وهي ابنة عمران بن عامر ملك الأزدي، والتي من أجلها رفض لبيد أن يفعل بعمرة ما يفعله الملوك في خصومهم، فكانوا إذا غضبوا على أحد ربطوه بقيد في ناقة فتية بعد أن يشعلوا بها القطران فتخرج بغية إطفاء النار، فتتمرّق أشلاؤه.

يا من يلذذ نفسه بعذابي ويرى مقاربتى أشد عذابٍ
 مهما يلاقى الصابرون فإنهم يؤتون أجرهم بغير حسابٍ
 لو كنت من أهل الوفاء وفيت لي إن الوفاء حلى أولى الأسبابِ
 ما زلت في استعطاف قلبك بالهوى كالمرتجي مطراً بغير سحبٍ
 يا رحمتي لي في يدك ورحمتي لي منك يا شيناً من الأصحاب
 يا ليتني من قبل ملكك عصمتي أمسيتُ ملكاً في يد الأعراب
 هل لي إليك إساءة جازيتها إلا لباسي حُلَّة الآداب⁽¹⁾

لقد رسمت الشاعرتان صورة بليغة للزوج، أظهرت الأولى الزوج في صورة الرجل العنيف، غليظ القلب، الذي لا يأبه بضعفها، وقلة حيلتها، ولا بنعمتها، ورقتها، فيضربها بقوة وعنف نابعتين عن قسوة في القلب، وبغض للزوجة، وقلبي للعلاقة الزوجية ؛ مما جعلها تشعر أنه لم يعد يبق عليها حتى غدت عنده عدواً لولا أنها لأقدم على قتلها قتلاً وحشياً، لا تقتله الملوك إلا لأعدائها وخصومها وهو قتل شنيع.

وأما الثانية ترى زوجها يتلذذ ويستمتع بعذابها، فهي صورة سادية للزوج قلما نجدها في الأدب العربي، فالزوج لا يردعه ضعف الزوجة، ولا يرعوي، باستعطافها وقلة حيلتها، فهي - كما تقول الشاعرة - كالمرتجي مطراً بغير سحب، إنها تيين وحشية الزوج وسوء طبعه، حين تخبرنا أن هذه المعاملة لم تكن بسبب، حيث أن الزوجة مؤدبة وفيه صابرة، وكلها صفات تثاب عليها المرأة ولا تعاقب.

أما إذا أحست بانشغال الرجل عنها، وضعف شوقه لها، وزهده في وصالها، إما لبعده في المكان، أو لجفوة في القلب، أو لغفلة عن الواجب، أو انشغال بالدنيا، فإنها سرعان ما تحاول إعادته إلى جادة الطريق مستعملة خبث المرأة ودهاءها، فهذه هند زوجة رجل اسمه عثمان، كان زوجها في بعث أدريجان، فرجع الجند ولم يرجع هو، لأنه استفاد من جهاده ذلك

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 203).

ما اشترى به فرساً وجارية، وسمى الفرس ورداً، والجارية حبابة، وألهاه الحب عن العودة، فكتب إلى امرأته يخبرها عن أمره فكتبت إليه:

لعمري لئن شطت بعثمان داره
ألا فأقره مني السلام وقل له
إذا شاء منهم ناشئ مد كفه
بمحمد أمير المؤمنين أقرهم
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم
فأرسل إلينا بالسراح فإنه
إذا رجع الجند الذي أنت منهم
فزادك ربُّ الناس بعداً على بعد⁽¹⁾

فباع الجارية وذهب مسرعاً فوجدها معتكفة على السجود والصلاة، فقال: يا هند أفعلت ما قلت؟! قالت: الله أجل في عيني وأعظم من أن أركب مأثماً، ولكن كيف وجدت طعم الغيرة؟! فإنك غظتني فغظتني.

إن المرأة تجد في زوجها الحصن المنيع الذي يحوطها بالأمن والأمان، ويصونها ويحفظها من غوائل الدهر، فلا يرضى أن يمسه مكروه وهو حي، فإن رأت فيه غير ذلك عاتبته عتاباً شديداً، فهذه امرأة تعاتب زوجها وتلومه على إخلافه وعدة، وتعريضها لشماتة الناس، يرمونها بكلام يدمي الجسد ويكلم الفؤاد، تقول:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني
وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني
لهم عرضاً أرمى وأنت سليم

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 155). شطت: بعدت، الورد: اسم جواد، حبابة: اسم جارية. الغطرفة: مفرد غطريف وهو السيد الشريف، وقيل الغني الجميل. كفل: ردف العجز، ريان: حسن الخلق، الكعيب: الركب الضخم الممتلئ.

فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم⁽¹⁾

وما حاجة المرأة لرجل لا تأخذ الغيرة على زوجته، فيرضى أن يتركها عرضة لكلام الوشاة، فيرمونها بكل قبيح من الألفاظ، والعبارات، وهي قليلة الحيلة مهيفة الجانب، جريحة الفؤاد، دامعة العين.

إن المجتمع العربي مجتمع ذكوري، يحب الأولاد الذكور ويفضلهم على الإناث، فالعربي ربما دفعه طيشه وحمقه إلى وأد البنت صغيرة واستبقاء الولد، وهذا ما حرّمه الدين الجديد، وسفه أحلام من فعل هذا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) (يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: 59]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: 17]

هذا حال بعض العرب التي صورها القرآن وأظهر فيها كرههم للبنات واستيائهم من خبر ولادتهن، لذلك وجدنا القرآن يقضي على هذه العادة السيئة، ويستنقذ البنات من براثن الوأد، فيقول جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۗ﴾ [الإسراء: 31]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: 8 - 9]، إن القرآن يسفه أحلام هؤلاء الرجال ويحط من قدرهم، حيث إنه يوجه الخطاب في سورة التكوير للمؤودة وليس للوائد.

ومع هذا التحريم الصريح لوأد البنات نجد السنة المطهرة جاءت محببة ومرغبة في البنات وتربيتهن، قال (صلى الله عليه وسلم): (أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها وأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعنتها وتزوجها كان له أجران)⁽²⁾، وقال (صلى الله عليه وسلم): (من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار)⁽³⁾، فسمى ولادة البنت ابتلاءً،

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 192).

(2) البخاري، الصحيح، باب النكاح (ج 6/ 120).

(3) عبد الباقي، محمد فؤاد، اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان - البخاري ومسلم - حديث رقم (1688).

لأن العرب تكره البنات، فجاء الشرع يرغبهم في إبقائهن، ويزجرهم عن وأدهن وحببهم فيهن، ووعدهن من أحسن لهن، وجاهد نفسه في الصبر عليهن بالثواب العظيم.

ولكن الدارس لحياة العرب، يجد من العرب من يحب البنات ويحوطنهن بالرعاية والحماية، ويحرص على أن يحييها حياة كريمة.

لقد كان لمعن بن أوس⁽¹⁾ ثمان بنات، ويقول: ما أحب أن يكون لي بهن رجال، وفيهن قال:

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى
ويقول أبو خالد القناني:

وفيهن لا تكذب نساءً صوالحُ
عوائد لا يملنّه ونوائح⁽²⁾

لقد زاد الحياة إلي حباً
أحاذر أن يرين الفقير بعدي
وأن يعرّين إن كُسي الجوّاري
أبانا من لنا إن غبت عنا
بناتي إنهن من الضعافِ
وأن يشربن رنقاً يعد صافي
فتنبو العين عن كرم عجاف
وجد الحي بعدك في اختلاف⁽³⁾

وبعد ذلك فإننا نجد من الرجال من يحمل المرأة ما لا تطيق من الأمر، حيث يحملها المسؤولية عن إنجاب البنات، وكأنها هي من يقرر جنس المولود، ذكراً كان أم أنثى، فيعرض

(1) معن بن أوس، (000 - 64 هـ = 000 - 683 م)، معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني: شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة. رحل إلى الشام والبصرة. وكف بصره في أواخر أيامه، وكان يتردد إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب فيباليغان في إكرامه.

له أخبار مع عمر بن الخطاب. وكان معاوية يفضلته ويقول: (أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس) وهو صاحب لامية العجم التي أولها: (لعمرك ما أدري، وإنني لأوجل... على أينا تعدو المنية أول)، مات في المدينة. له (ديوان شعر مطبوع). ولكمال مصطفى: (معن بن أوس، مطبوع). الزركلي، الأعلام (ج7/273).

(2) عفيفي، المرأة العربية (ج3/18 - 19).

(3) عفيفي، المرأة العربية (ج3/19).

عنها، ويهجرها، فهذه امرأة أبي حمزة الضبي، تلوم زوجها على هجرها، وتحاول أن تردّه عن ضلاله بقولها وهي ترقص بنتها:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد زرعه فينا⁽¹⁾

فرق لها زوجها وصالحها...

المرأة العربية تغنت ببطولات زوجها، وشجاعته، وإقدامه وفروسيته، وحمايته لها، وذوده عنها، الزوج الذي لا يرضى الذل والمهانة، ولا يقبل على النفس الضيم، يكرم الضيف، ويقاتل بالسيف، دون رهبة أو خوف، وهي المرأة التي تبغض الرجل الجبان الرعدي، فتفضل الموت على الحياة معه، فهذه أم قرفة⁽²⁾ زوجة حذيفة بن بدر الفزاري، والتي كانت عزيزة الجانب يضرب بعزها المثل، وتصب جام غضبها على زوجها الذي قبل الدية في ابنها، فأخذت تعيره بالجبن والضعف، وتصفه بالنساء حيناً وحيناً آخر تدعو عليه وعلى نفسها بالموت، فالموت أحب إليها من العيش معه بعد أن رضي بالأنعام والنوق دية لولدها، تقول:

حذيفة لا سلمت من الأعداي ولا وقيت شر النائبات
أقتل قرفة قيس فترضى بأنعام ونوق سارحات

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 193).

(2) أم قرفة، (000 - 6 هـ = 627 - 000 م)، فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، أم قرفة: شاعرة من بني فزارة، من سكان وادي القرى (شمالي المدينة) كان لها اثنا عشر ولداً من زوجها مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري. وكان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً، كلهم من محارمها. وضرب بها المثل في الجاهلية، فقيل: " اعز من أم قرفة! " و " أمنع من أم قرفة " ولما ظهر الإسلام سبّت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرت، وجهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها، وقالت: اغزوا المدينة واقتلوا محمداً. ووجه إليهم النبي صلى الله عليه وسلم سرية مع زيد بن حارثة فظفر بهم وأسر أم قرفة، فتولى قتلها قيس بن المحسر اليعمري. ينظر، الزركلي، الأعلام (ج5/130-131).

أما تخشى إذا قال الأعادي حذيفة قبله قلب البنات

فخذ ثأراً بأطراف العوالي وبالبيض الحداد المرهفات⁽¹⁾

إنها تقسو على زوجها، فتبدأ بالدعاء عليه بالموت، ثم تحاول أن تثير فيه الحمية للأخذ بثأر ابنها، ورفض الدية، حتى لا يقول الأعداء أن حذيفة رجل جبان قلبه قلب امرأة، وهذا من أفسى ما يخاطب به الرجل، فهي قسوة حادة، وكلمات جارحة مؤلمة، تكلم القلب وتدميه، وتحط من كبرياء الرجل.

إنها تخيره بين الأخذ بالثأر، وبين تركها تبكي ولدها ليلاً ونهاراً، عليها تلقى حتفها، فتستريح عن عشرة زوج جبان، الحياة معه أسوأ حياة، تقول:

فخذ ثأراً بأطراف العوالي وبالبيض الحداد المرهفات

والأخني أبكي نهاري وليلي بالدموع الجاريات

لعل منيتي تأتي سريعاً وترميني سهام الحادثات

فذاك أحب من بعل جبان تكون حياته أردا حياة⁽²⁾

بدت الشاعرة محبطة من زوجها الذي ترى أنه جاز عن كل الصفات، فلا تجد له وصفاً يليق به، ولا عملاً يرده إلى جادة الطريق التي تراها، فيعجزها الأمر، وتظلم الدنيا في وجهها فلا ترى في الكون إلا ظلمة وسواداً، وبكاءً وعويلًا، فتتساءل وهي تبكي طيور الأراك والحمائم وينحن مثلها، وهل يجدن مثل الذي تجد، تقول:

فيا أسفي على المقتول ظلماً وقد أمسى قتيلاً في الفلاة

تُرى طير الأراك ينوح مثلي على أعلى الغصون المائلات

وهل تجد الحمائم مثل وجدي إذا زُميت بسهم من شتات

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 43).

(2) المرجع السابق (ص 93).

فيا يومَ الرهان فجعت فيه بشخص جاز عن حدّ الصفات

ولا زال الصباح عليك ليلاً ووجه البدر مسودّ الجهات⁽¹⁾

وهذه أخرى تقسو على زوجها الذي انشغل عنها، بمجلس طعام عند الحجاج، فترى أنه لا يحب إلا نفسه، شحيح ضنين على أهله، بطين من كثرة أكله، حتى غدا أهل البيت لا يجدون الطعام الذي يقتاتون به، فتشبهه بكلب السوء الذي ضيع أهله فهزلوا وهو سمين.

تقول فيه وقد أرسل لها كتاباً يخبرها أنه يحضر طعاماً عند الحجاج:

أتهدي لي القرطاس والخبز حاجتي وأنت على باب الأمير بطين

إذا غبت لم تذكر صديقاً ولم تُقم فأنت على ما في يدك خنين

فأنت ككلب السوء ضيع أهله فيَهزُلُ أهل البيت وهو سَمِينُ⁽²⁾

إن زوج السوء يجعل المرأة تتمنى الموت على العيش مع زوج يبغضها وتبغضه، فهي ترى فيه رجلاً، قالياً لها، غير مبق عليها، كاذباً في ودّها، لئيم الطبع، قليل الحياء، حتى غدا مزيجاً من الفواحش.

تقول:

من عذيري من بعلٍ سوءٍ يراني وأراه بأعين البغضاء

تتهادى منا الضمائرُ وحيّاً بقلبي يستكن في الأحشاء

غاض مكنون ما عليه احتوينا في قلوب إلى الفراق ظمءاء

نتنأى حديث أثر وعينٍ بائن أنسه عن الأهواء

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 43).

(2) المرجع السابق (ص 204)، الجاحظ، الحيوان (ج1/153)، الزمخشري، المستقصى من أمثال العرب (ج2/121).

فكلانا على أسي البغض مبدٍ	كاذب الودّ من لسان رياءٍ
رجل لا تخيّر اللومَ لؤمًا	كان أو رائدًا وليّ اللواءِ
ملء عين من الفواش كاسي	الوجه من سوءةٍ سليب حياءِ
يا لقومي داءٌ عياءٌ فأنّي	لي اقتدار بحمل داءِ عياءِ
ليت لي حية ببعلي صمّاء	وأجيبُ بالحياة الصمّاء
إن بدت كان دونها لي حجابُ	من حفيف الغراق أو من رقاءِ
أين أين الحمام أين لقد أحرزه	منه اليوم واقّي القضاء ⁽¹⁾

إنها تصرخ متمنية الموت، للخلاص من العيش مع هذا الزوج الذي لا ترى فيه شيئاً تحبه وتأنس إليه، وتتسلّى به.

وتستاء امرأة أعرابية من زوجها الذي غدر بها وخانها، وباح بسرّها، وهذه الصفات ليست من صفات الرجال الأسوياء الأتقياء، الأنقياء، وإنما هي من صفات شرار الناس، نقول:

غدرت بنا بعد التصافي وختنتنا	وشر مصافي خلةٍ من يخونها
وبحت بسر كنت أنت أمينه	ولا يحفظ الأسرار إلا أمينها ⁽²⁾

وهذه امرأة أخرى تتمنى لو أنها مانتت بسم ثعبان ذي نيوب شديد السم قبل أن تتزوجه، أي أنها تفضل الموت على صحبته ورفقته وتمليكه أمرها، ثم يبلغ الأمر أشده حين تتمنى ألا يجمع الله بينها وبينه في الآخرة، فإن كان هو من أهل الجنة، تفضل أن يدخلها النار، وهذا يدل على عظيم بغض وكره ما كان ليكون لولا خلال الزوج السيئة. نقول:

إني ندمت على ما كان من عجبي	وأقصر الدهر عني أيّ إقصار
-----------------------------	---------------------------

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 205)، وابن طيفور، بلاغات النساء (ص 109 - ص 110).

(2) المرجع السابق (ص 206).

فليتني يوم قالوا أنت زوجته أصابني ذو نيوب سمه ضاري
يا رب إن كنت في الجنات مدخله فاجعل أميمة رب الناس فيا النار⁽¹⁾

وقد يصل الأمر بالمرأة أن تفكر في قتل زوجها والتخلص منه، لشدة بغضها له، وهوانها عليه، وما يمنعها من ذلك إلا مخافة الله في الآخرة وتغريم الأب في الدنيا، وأن يلحقها العار على فعلها، وما هذا إلا لما ترى فيه من سوء في الطبع، وقلة في الحيلة، وزهد في الوصال، وضعف في الهمة.
تقول أم الأسود الكلابية⁽²⁾:

سأنذر بعدي كل بيضاء حرة
منعمة خود كريم نجارها
قصير قبال النعل يضحى وهمه
قريب ويمسي حيث يعشيه نارها
إذا قال قد أشبعتني بات راضياً
له شملة بيضاء ضاق خمارها
يرى الطيب عاراً أن يمس ثيابه
أو المسك يوماً أن علاه صوارها
ولكنه من رطب أختاء صنانه
إذا أمرعت بالكف منه ديارها
وظير بذيال يرى الليل متنه
لناقته حتى يحين اذكارها
بعيد المدى يقضي الكرى فوق رحله
إذا القوم بالموماة حار شرارها
لعمر أبي ما خار لي أن يبيعي
بأبيرة إذا قحمته عشارها
فوالله لولا النار أو أن يرى أبي
له قوداً أو أن ينالني عارها

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 190).

(2) أم الأسود الكلابية، شاعرة إسلامية، من بني كلب لها شعر في هجاء زوجها، وشعرها فيه قسوة وتصلب في المعاني. ينظر: معجم الشعراء (ص 893).

لقد نازعت كفي المهند ضرية وكان عليه خبلها وشنارها⁽¹⁾

وتذهب هذا المذهب أم الصريح بنت أوس الكندية⁽²⁾ حين ترى وجود زوجها في البيت يحيل البيت حفرة من نار ودخان، إنه الشعور بالبغض والكره، الذي تمكن منها حتى أنها تتمنى أن بينها وبينه بعد المشرقين فلا تراه ولا يراها، فالأمر تخطى المعاملة إلى مجرد الرؤية، لأن رؤية الزوج تثير فيها كوامن البغض والكره، فتصبح الحياة مستحيلة معه، والفراق الذي ترجوه يصبح مستحيلاً، وتلجأ إلى الأمنيات وأنى لها ذلك، إنها ترضى أن تفقدي نفسها منه بمائة من الإبل، تقول:

كأن الدار يوم تكون فيها
عليها حفرة مُئِثتْ دخاناً
فليتك في سفين بني عباد
طريداً لا نراك ولا ترانا
وليتك غائب بالهند عناً
وليت لنا صديقاً فاقتنا
ولو أن النذور تكف منه
لقد أهديتها مائة هجاناً⁽³⁾

لقد أبدت الشاعرة ألماً نفسياً، ملك عليها نفسها وجوارحها، أورثها بغضاً وكرهاً لرجل جعل الحياة معه لا تطاق، والعيش برفقته مستحيلاً، وما كان ذلك إلا لسوء خلال في الرجل الذي كانت تتمناه، حضناً دافئاً، ونبعاً يفيض حناناً ومودةً، وحصناً يحيل الخوف أمناً وطمأنينةً، فلم تجد من ذلك شيئاً، فتمنت الفراق بحرقه وألم.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 191)، ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 200 - ص 201). الخود: الشابة الحسنة الخلق، نجارها: أصلها. قبال النعل: الشُّسع الذي يربط به من الأمام. الأختاء: مخلفات البقر، الصنان: خبث الريح. الموماة: جمعها موامي، وهي الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس. الخبل: الحنون، الشنار: العيب والعار.

(2) أم الصريح الكندية، وفي شاعرات العرب (أم الصريح الكندية): وهي شاعرة جاهلية من شواعر حضرموت، قتل أبنائها في إحدى الوقعات فرثتهم. ينظر: شيخو، رياض الأدب في مرثي شواعر العرب: (ج1/112). وينظر: يموت، شاعرات العرب، (ص 147)، وينظر:مارديني، شواعر الجاهلية (ص 31).

(3) ابن طيفور، بلاغات النساء، (ص 118). ويموت، شاعرات العرب (ص 99).

إن هذا البغض والكره قد يجعلها شديدة عنيفة في قولها، تقول حميدة بنت النعمان
بن بشير في زوجها روح بن زباج:

أثني عليك بأن باعك ضيقاً وبأن أصلك في جذامٍ ملصق⁽¹⁾

وقالت:

فثناؤنا شر الثناء عليكم أسوأ وأنتن من سلاح الثلب⁽²⁾

وقالت بنبرة استعلاء وفخر بأصلها، ومعيرة زوجها بأصله، في قسوة وغلظة غير
معهودتين عن المرأة العربية، فتسم زوجها بالبغل كناية عن الدونية وانعدام النسب والأصل:

وما أنا إلا مهرةً عرييةً سائلةً أفراس تحللها بغل

فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرا وإن يك إقرافاً فما أنجب الفحل⁽³⁾

ومن المبالغة في هجاء الزوج أن يوصف بالمومس الزانية، وهذا يوحي بأن هذا الزوج،
قد فقد كل صفات الشجاعة والإقدام والفروسية والنخوة والكرم والرجولة، وهي الصفات التي
تعشقها المرأة وتقدها في الرجل، تقول حميدة بنت النعمان مخاطبة زوجها:

تكحل عينيك عند العشي كأنك مومسة زانية

وآية ذلك بعد الخوق تُغلفُ رأسك بالغاليلة⁽⁴⁾

ومما يغضب المرأة المعاملة السيئة من قبل الزوج، فالقسوة والشراسة في معاملة الزوجية
ليست من أخلاق كرام الناس، وإنما يفعل ذلك شرارهم؛ لذلك نجدها سرعان ما تعيره بالجبن
والضعف والخور والهيبة، تقول حميدة بنت النعمان في زوجها الفيض بن محمد بن الحكم:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 174).

(2) المرجع السابق (ص 174).

(3) المرجع نفسه (ص 174 - ص 175).

(4) المرجع نفسه (ص 175).

وليس فيضٌ بفيض العطاء لنا لكن فيضاً لنا بالقيء فياض
ليث الليوث علينا باسلٌ شرس وفي الحروب هبوب الصدر جياض⁽¹⁾

وقد يقدم الزوج على هجاء زوجته فتسارع هي بالرد عليه بكل حدة وهذا ما كان يحدث لو لم تكن العلاقة سيئة، والزوجة متبرمة من علاقتها بزوجها، غير راضية عن عيشها معه، فنجدها تطلق لسانها في وصف مقابحه وسوء طباعه، فهذا أبو وجزة السعدي يتزوج زينب بنت عرفة بن مكرم المزنية⁽²⁾ فيقول لها ذات يوم وقد ولدت له ابناً أسماه عبيد:

أعطي عبيداً وعبيدٌ مقتع من عرسي فخرمها جلفع
ذاتِ عساسٍ ما تكاد تشبع تجتلع الصحن وما إن تبضع
تمرُّ في الدار ولا تورع كأنها فيهم شجاع أقرع⁽³⁾

فأجابته زوجته قائلة:

أعطي عبيداً من شيوخ ذي عجز لا حسن الوجه ولا سمح يسر
يشرب عسّ المذق في اليوم الحصر كأنما يقذف في ذات السُعر

تقاذف السيل من الشعب المضر⁽⁴⁾

ثانياً: الصفات المادية:

والمرأة العربية تحب الشاب من الأزواج، وقد تتبرم بشيب الرجل وكبر سنه، وهذا ما أشار له شعراء كثيرون من العصر الجاهلي، وشعراء الإسلام، و"انفق هؤلاء على أن الشباب

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 175 - 176).

(2) لم أعر على ترجمة لها.

(3) الأصفهاني، الأغاني (ج12 ص246). العرس: الناقة الصلبة الشديدة، المحرم: ما وضع عليه الحزام، يعني البطن، جلفع: واسعة البطن. عساس: جمع عس (بالضم)، وهو القدح الضخم. اجتلد الإناء: شرب كل ما فيه. الصحن: العس العظيم. بضع من الماء وبه روي وامتلأ. تتورع: تتحرج. الشجاع: ضرب من الحيات دقيق. شجاع أقرع: قد تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره.

(4) الأصفهاني، الأغاني (ج12/274). العجز (بالتحريك): عظم البطن. المذق: اللبن المخلوط. الحصر: البارد. السُعر: حر النار. الشعب: ميل الماء في بطن الأرض. المضر: القريب الداني.

والمال - وما يستتبعان من مجد ومحامد ومنتعة طبعاً - هما وسيلة اجتذاب المرأة، ونيل إعجابها⁽¹⁾.

لقد تحدث الشعراء عن بغض المرأة للهرم والشيب، فهذا عبيد بن الأبرص⁽²⁾ يشكو من إعراض زوجته عنه، فهي تغلظ له القول، وتمط حاجبها لأنها تراه قد كبر:

ألا عتبت عليّ اليوم عرسي وقد هبّت بليلى تشكتيني
فقلت لي: كبرت فقلت هنا لقد أخلفت حيناً بعد حين
تريني آية الإعراض منها وفظت في المقالة بعد لين
ومطت حاجبها أن رأنتني كبرت وأن قد ابيضت قروني
فقلت لها رويدك بعض عتبي فإني لا أرى أن تزدهيني
وعيشي بالذي يفنيك حتى إذا ما شئت أن تنأي فبيني⁽³⁾

ويتحدث المثقب العبدى عن سخرية زوجته منه وجفائها وهجرها له؛ وذلك لأنها رأت شبيهه، والأبيات تروي أيضاً بن يزيد:

(1) الحوفي، أحمد، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 232).

(2) عبيد بن الأبرص، (000 - نحو 25 ق هـ = 000 - نحو 600 م) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من مضر، أبو زياد: شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. وهو أحد أصحاب "المجمهرات" المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر امرأ القيس، وله معه مناظرات ومناقضات. وعمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه. له "ديوان شعر مطبوع". ينظر: الزركلي، الأعلام، (ج4/188).

(3) ابن الشجري، مختارات شعراء العرب، (ج2/41)، ابن المبارك، منتهى الطلب، (ج2/163). عرسه: امرأته. هبت: أي هبت من نومها تهب هباً وهبواً. هنا: تنحي وابتعدي. أخلفت: أي استبدلت، يقال للبعير إذا بذل ثم مرّ عليه حول مخلف عام، ويقصد أنه أفنى دهر حتى كبر. فظت: كانت سيئة الخلق، وفي منتهى الطلب: قطة، وأراد: أنها أغلظت في الكلام. الإعراض: الصدود. مطت حاجبها: مدتّها عجباً من كبره، وقيل عبت حين رأت شبيهه وتغيرت عما عهدا عليه من المودة. عتبي: عتابي، تزدهيني: تستخفني، أي ارفقي في عتبي. تنأي: تبعدي، بيني: فارقي.

تهزأت عرسي واسـتنكرت
شـيبي فـفيها جنـفـاً وازورأ
لا تكثري هـزءاً ولا تعجبي
فليس بالشـيب على المرء عار
عمرك هل تدريـن أن الفتى
شبابه ثوب عليه معار⁽¹⁾

ويقول علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني
عليم بأدواء النساء طيبب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس له من وُدّهـن نصيب
يُردن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب⁽²⁾

فالزوج الشاب أثير مستحب، لأنه أدنى إلى الزوجة سناً، وأشبه بها خلقاً وميلاً، ولأنه في ريعانه وعنفوانه؛ لذلك رفضت الخنساء أن تتزوج دريد بن الصمة لما خطبها، لأنها تبينت أنه هرم، ولم يثنها أبوها عن رفضها، وحاول أخوها معاوية - وكان صديقاً لدريد - أن يرغمها فما استطاع، وفي ذلك تقول:

أُكْرِهْنِي - هُبَيْتَ - عَلِي دُرَيْدٍ
وقد أصفحتُ سيد آل بدر
معاذ الله يرَضُّغني حَبْرُكِي
قصير الشبر من جشم بن بكر
يرى شرفاً ومكرمة أتاها
إذا أغذى الصديق جريم تمر⁽³⁾

إن هذا الرفض لرجل مثل دريد بن الصمة، كان لسبب واحد هو التقدم في السن، وما ذاك إلا لحب الخنساء للشباب في الرجل وبغضها للشيوخة فيه.

وهذا الرفض أغاظ دريدا فهجاها وتمنى ألا تتزوج زوجاً سعيداً، يقول:

(1) البصري، الحماسة البصرية (ج1/21).

(2) المفضل الضبي، المفضليات (ص 392)، ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج1/213).

(3) الخنساء، الديوان (ص 120). أصفحت: رددت. حبركي: طويل الظهر قصير الرجلين. قصير الشبر: متقارب الخطى.

وقاك الله يا ابنة آل عمرو
من الفتيان أمثالي ونفسي
ولا تلدي ولا ينحكك مثلي
إذا ما ليالة طرقت بنحسي
وتزعم أنني شيخ كبير
وهل نبأتها أنني ابن أمسي
تريد أفيجح القدمين شتناً
يبادر بالجداید كل كرس⁽¹⁾

ولما خطب الحارث بن سليل الأسدي إلى علقمة بن خصفة الطائي - وكان الحارث شيخاً - قال علقمة لأم الجارية: أريدي ابنتك على نفسها، فقالت لها: أي بنية أي الرجال أحب إليك؟ الكهل الججاج، الواصل المناخ، أم الفتى الواضح؟ قالت: لا بل الفتى يا أمه:

إن الفتاة تحب الفتى
كحب الرعاء أنيق الكلام⁽²⁾

ولكن أمها لم تزل بها حتى غلبتها على أمرها، فتزوجته، ثم إنها رأت يوماً شاباً من بني أسد، فتفتست سعداء، ثم بكت، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: مالي وللشيوخ الناهضين كالفرخ، فقال لها: أما وأبيك لرب غارة شهدتها، وسبية أردفتها، وخمرة شربتها، فالحقي بأهلك، فلا حاجة لي فيك، وقال:

تهزأت بي أن رأتي لابساً كبراً
وغاية الناس بين الموت والكبر
عني إليك فإني لا يوافقني
غور الكلام ولا شرب على الكدر⁽³⁾

إن رفض الخنساء وغيرها من نساء العرب للزواج بالشيوخ المتقدمين في السن، إنما هو لبغض استحکم منهن، وحب تمكن من قلوبهن لكل شاب في ريعان شبابه، وهذه فطرة إنسانية جبلت عليها المرأة، ويجب ألا تلام عليها، ولا تجبر على مخالفتها، وانظر إلى الخنساء وهي تتغني بهذه الصفات التي تحبها المرأة في زوجها، وفي كل رجل محب لديها:

(1) منتهى الطلب (ح3: 334 - 335). أفيجح: تصغير أفحج، وهو متباعد القدمين. الشثن: الغليظ الأصابع.
الجداید: جمع جديدة وهي الحظيرة. الكرس: ما تكرر؛ أي صار بعضه فوق بعض.
(2) الخنساء، الديوان (ص 47).
(3) العسكري، جمهرة الأمثال (ج1/263)، والقيرواني، الممتع في صنعة الشعر (ص136).

جلدٌ جميلٌ المحيّا كاملٌ ورعٌ وللحروب غداة الروح مسعارٌ
 مثل الردينيّ لم تنفذ شبيبته كأنه تحت ظي البرد أسوارٌ
 عبثُ الذراعين قد تخشى بديهته له سلاحان: أنياب وأظفار⁽¹⁾

"وسئلت ابنة الخس أي الرجال أحب إليك؟ فقالت: السهل النجيب، السمح الحسيب،
 الندب الأريب، السيد المهيب، وأفضل منه، الأهيف الهفاهف، الأنف العياف، المفيد المتلاف،
 الذي يخيف ولا يخاف"⁽²⁾.

هذه هي رغبة المرأة في شريك حياتها، لذلك لن يكون مستغرباً أن نجد في شعر النساء
 تأففاً وضجراً من الزواج بالكبير، وخصوصاً من أولئك اللاتي أرغمن على الزواج، لصفة قرابة،
 أو لإغراء مال، أو لأي سبب آخر، فسرعان ما نجدها تجاهر بحبها للشباب الفتى، وتفضله على
 الشيخ الكبير، فهذه زوجة أبو العاج الكلبي، تقول صراحة أنها تكره العيش مع الشيخ الكبير
 الذي لا فائدة منه:

شئنت الشيوخ وأبغضتهم وذلك من بعض أفعالية
 ترى زوجة الشيخ مغبرة وتمسي لصحبته قالية
 فلا بارك الله في عرده ولا في عظام استه البالية⁽³⁾

إن زوجة الرجل الكبير تحيا غير ملتفتة لنفسها، فزوجها لا حاجة له فيها، مما يجعلها
 تظل مغبرة كما تقول، لكن هذا يجعلها تزهد في صحبتته، وتسعى لمفارقتها.
 إنها تعشق الشاب الطير طيب النشر والذكر كما تقول ابنة ذي الإصبع العدواني⁽⁴⁾:

(1) الخنساء، الديوان (ص46- ص47) أسوار: قليل لحم الخصر، كأنه سوار من ذهب، وقيل هو فارس
 الفرس. عبل: غليظ، البديهة: ما يفاجأ به.
 (2) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 171).
 (3) يموت، شاعرات العرب (ص 95)، وابن طيفور، بلاغات النساء (ص 99).
 (4) أمامة بنت ذي الإصبع العدواني: هي شاعرة جاهلية وأبوها ذو الإصبع العدواني شاعر جاهلي معروف
 سمي بذئ الإصبع بسبب أن حية نهشت إصبعه فشلت، وكانت أمامة أصغر أولاده، ينظر: مارديني،
 شواعر الجاهلية: (ص26).

ألا ليت زوجي من أناسٍ ذوي غنى

حديث الشباب طيبُ النشر والذكر

لصوقٍ بأكباد النساء كأنه

خليفة جانٍ لا ينام على وتر⁽¹⁾

وهذه أخرى تتمنى ما تمنته الأولى، فنقول:

ألا هل تراها مرةً وحليها

أشمّ كنصل السيف عين المهند

عليماً بأدواء النساء ورهطه

إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي⁽²⁾

وتتحرّس الجيداء بنت زاهر الزبيدية⁽³⁾ على مثل هذه الصفات في زوجها حين تقول:

بدر تمّ هوى إلى الأرض لَمّا

رشقته السهام من كفّ عبد

كان مثل القضيب قدأً ولكن

قدّه صرف دهره أيّ قدأً⁽⁴⁾

إن زوجها مثل البدر جمالاً، وكالقضيب اعتدالاً، وهذا لا يكون إلا للشباب القوي الفتى الطرير، والذي لو رميت به الجبال لأزالها، كما تقول امرأة من طيء:

هو الأبيض الوضاح لو رميت به

ضواح من الريان زال هضابها⁽⁵⁾

وحرصت عاتكة بنت زيد على ذكر صفة محببة إلى نفسها، وهي الشباب، وما يصاحبه من قوة وصحة ونشاط حيث تقول:

فأله عيناً من رأى مثله فتى

أكرّ وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا أشرعت فيه الأسنان خاضها

إلى الموت حتى يترك الرّمح أحمرأً⁽⁶⁾

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 61).

(2) المرجع السابق (ص 62). أشم: الشم ارتفاع الأنف، كناية عن الرفعة والسؤدد والشرف.

(3) لم تترجم كتب التراجم لها، غير أنها شاعرة جاهلية، قتل زوجها خالد بن محارب الزبيدي على يد عنترة في أرض نجد، فقامت ترثيه، وتبين أنه إنما قتل ظلماً وعدواناً.

(4) يموت، شاعرات العرب (ص 49).

(5) المرجع السابق (ص 92).

(6) المرجع نفسه (ص 168).

وبعد هذا فإنه من دواعي العجب عندها أن تُزفَّ إلى شيخ كبير لا تحبه ولا ترغب فيه، وإنما هي مجبرة على هذا بسبب التقاليد السائدة في المجتمع، تقول امرأة زوجها بابن عمها الشيخ الكبير:

أيا عجباً للخود يجري وشاحها تزف إلى شيخ من القوم تنبال
دعاهما إليه أنه ذو قرابةٍ فويل الغواني من بني العم والخال (1)

ومن الأشياء التي كانت سبباً في نفور الزوجة من زوجها، ومدعاة للفراق بينهما، رائحة الزوج النتنة، سواء رائحة الجسد، أو رائحة الفم؛ لذا نجد كثيراً من شاعر العرب تأفن من هذه الرائحة، وأظهرن كبير اشمئزاز منها، تقول حميدة بنت النعمان بن بشير:

نكحت المديني إذ جاعني فيالك من نكحة غاوية
كهول دمشق وشبانها أحب إلينا من الجالية
صنانٌ لهم كصنان التيو س أعيأ على المسك والغالية (2)

إن رائحة جسد زوجها كرائحة التيوس، وهي رائحة نتنة لا يذهبها طيب رائحة المسك لشدتها، وتذم زوجة قتادة بن مغرب اليشكري رائحة فمه، وتصفها وصفاً شنيعاً، حتى أن رائحة جيفة الخنزير تبدو كالمسك إذا ما قورنت بها، فهي رائحة من شدتها أثرت في أذنيها، مما جعلها تفضل الموت على أن تبقى معه في هذه المعاناة، تقول:

حلفت ولم أكذب وإلا فكل ما ملأْتُ لبيت الله أهديه حافيةً
لو أن المنايا أعرضت لاقتحمتها مخافة فيه إن فيه لداهية
فما جيفة الخنزير عند ابن مغرب قتادة إلا ريح مسك وغالية

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 204).

(2) المرجع السابق (ص 177)، ابن طيفور، بلاغات النساء، (ص 98). الجالية: هم أهل الحجاز يجلسون عنها نحو الشمال.

فكيف اصطباري يا قتادة بعدما شممت الذي من فيك أثنى صماخية⁽¹⁾

إنها تقسم على أن بخر فم زوجها أنتن من رائحة جيفة الخنزير، بل إن جيفة الخنزير تبدو مسكاً حين تقارن بها، لذا فهي تختار الموت على أن تعيش مع زوجها خوفاً من بخر فمه لأنه جملة من الدواهي، فهي لا تستطيع الصبر على معاشرته بعدما شممت من بخر فمه ما أثرت رائحته على أذنها، فكيف حال الأنف؟!⁽²⁾

أخيراً يمكن القول أن الزوجة عشقت صفات في الزوج، وأبغضت صفات، أحبت الرجل القوي الشجاع، الفارس الشهم، الكريم الحليم، ذا النخوة، الذي يحمي الحرمات، ويذود عن الحمى، لا يقعد عن غارة، ولا يتأخر عن مكرمة، وأحبت الرجل المحب العاشق لها، الذي يشفه الهوى، ويقتله الفراق والبعد، ويضنيه الجوى، وتكره الرجل القالي الذي لا يكثر بها، ولا يأنس لحديثها، وأبغضت الجبن والضعف والخور في الرجل، وكل صفة تبعد صاحبها عن الشرف والسؤدد، والرفعة، مثل الغدر والخيانة، والبخل والشح، وغيرها، كما أنها أحبت الشباب والفتوة والقوة في الزوج، وتبرمت من الشيخ الكبير، وأحبت الزوج الجميل النظيف، وأبغضت فيه عدم اهتمامه بنفسه وشخصيته، وكل ذلك إنما ينم عن شخصية ذات إحساس مرهف، ونفس شفاف، تواقاة للحياة، والجمال، وهمة قاربت همم الرجال في طموحها لكل رفيع شريف عالٍ من الأمور.

(1) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج2 / 220).

(2) ينظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج2 / 220).

المبحث الثاني:

الآخر المحبوب

لعل تجربة الحب عند المرأة العربية من التجارب الإنسانية الجديرة بالوقوف عند دراستها، وخصوصاً عند المرأة الشاعرة، " وما من شك في أن المرأة كالرجل تحب، وتتشوق وتتذكر وتتمنى، وإذا كانت شاعرة فإن المتوقع أن تتغنى بحبها في شعر تزجيه العاطفة، كما يتغنى الرجل"⁽¹⁾، ولعل الناظر في شعر النساء الوجداني لا يجد كثير شعر، فهو شعر قليل نادر، " كأنه حُلْسُ الدهر أو فلتات اللسان"⁽²⁾. وهذا ليس غريباً لأن النساء مطبوعات على الاستحياء من الجهر بحبهن، مجبولات على كتمان الهوى المعتلج بقلوبهن، بينما يحب الرجل فلا يطيق أن يحتبس حبه، فيعبر عن مشاعره بقصيد يقرضه، أو لحن ينشده، ويطيّر به خياله كل مطير، فيملاً الدنيا غزلاً، وقد يُفْتَنُّ فيتغزل غزلاً روحياً يصور محبوبته ملكاً، أو يتغزل غزلاً حسياً يصور جمالها ويكشف عن بدعها.

"أما المرأة فتحب ولكنها تسرُّ عاطفتها، وتجن مشاعرها، وتحبس حبها في صدرها، على أنها ليست أقل من الرجل حباً"⁽³⁾.

إن حب المرأة حب صامت مكتوم، فهي المحبوبة، وهي المرغوب فيها، وفي يدها مقاليد الحب لا بيد الرجل، "و قليلاً ما يغلبها الحب فتبوح، لأن الرجل أغراها بوعوده، وسحراها بنشيدته، وفك عقدة لسانها ببلاغته، أو لأنها ضاقت بما تجد، فنبتت بكلمة أو تخفتت من ثقل الحب بأبيات من الشعر، ولكن هذا نادر نزر"⁽⁴⁾.

"والمرأة تحب أربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك، وتبغض يوماً واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها، والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك، وإن أحب يوماً واحداً شهدت جوارحه"⁽⁵⁾.

(1) الحوفي،، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 654).

(2) ينظر: المرجع السابق (ص 654).

(3) المرجع نفسه (ص 654).

(4) المرجع نفسه (ص 655).

(5) الجاحظ، المحاسن والأضداد (ص 179).

هناك سببان يجعلان المرأة تكتم حبها ولا تبوح به، - أولهما: مخافة العار واستتالة الألسنة، سئلت مئة بعد موت قابوس، ما كان يضرك لو أمتعته بوجهك قبل موته؟ فقالت: منعني من ذلك خوف العار، وشماتة الجار، ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه، غير أنني وجدت ستره أبقى لما في الصدور من المودة وأحمد للعاقبة، ونفس الجواب كان عند عفراء صاحبة عروة، حين قيل لها، أما عندك له حيلة تخفف ما به؟ قالت: والله لأنا أسرّ بذلك وأشوف إليه منه، ولكن لا سبيل إلى احتمال العار⁽¹⁾.

والسبب الثاني: هو التجلّد والترفّع عن الاتهام بما لا يليق، فعفراء بنت أحمر كانت تكتم حبها عزة وتجلّداً وترفعاً عن أن تنتهم بما لا يليق بالأنثى، ذلك أنه قيل لها ما كان أضرك لو روّحت عن قلب الحارث بن الشريد وأجبتة بزورة؟ فقالت: منعني من ذلك قولكن عفراء قد صبت إلى الحارث⁽²⁾.

لذلك إذا نظرنا في هذا التراث الضخم والغزير من شعر الغزل في الجاهلية والإسلام، فإننا نجد أن هذا الشعر أظهر المرأة بمظهر العفيفة الشريفة، المتمنعة، بخيلة الوصل، بعيدة المنال، وندر في شعر الشعراء تصوير المرأة بصورة المرأة السهلة المنال، المجاهرة بالوصل، التي تبدي شوقها، وتباه بلقاء حبيبها.

والدلائل على هذا الأمر كثيرة في شعر شعراء الجاهلية والإسلام، يقول سويد بن أبي كاهل:

ودعتني برقها إنها
تتزل الأغمم من رأس اليفع
تسمع الحداث قولاً حسناً
لو أرادوا غيره لم يستطع⁽³⁾
ويقول قيس بن الحداية:

قد اقتربت لو أن في قرب دارها
نوالاً، ولكن كل من ضن مانع

(1) ينظر ابن قيم الجوزية، أخبار النساء (ص 56 - ص 57).

(2) ينظر المرجع السابق (ص 57).

(3) ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج 1: 412)، والضبي، المفصليات (ص 192)، الجاحظ، البيان والتبيين (ج 1/

151). الرقي: جمع الرقية. الأغمم: الوعل الذي في يديه بياض. اليفع: المرتفع، كاليفاع. الحداث:

الذين يحدثونها وتحديثهم. لم يستطع: يريد أنهم التمسوا غير الحديث لم ينالوه، وذلك لعفتها.

وقد جاورتنا في شهور كثيرة فما نؤلت، والله راعٍ وسامع⁽¹⁾

ويقول كعب بن رواع:

ويخالها المرح السفيه تحبه ونؤأها غير الحديث بعيد⁽²⁾

ويخبرنا السليك بن السلكة أن قلبه يعاف المرأة المتهالكة الجواد بوصلها، ويتعلق بالمتمنعة التي لا شبهة عليها، فيقول:

لعمر أبيك والأنباء تنمي لنعم الجار أخت بني عوارا

من الخفرات لم تفضح أباهما ولم ترفع لإخوتها شنارا

يعاف وصال ذات البذل قلبي ويتبع الممنعة النوارا⁽³⁾

"وإذا كان هذا هو الذوق العربي العام، فقد وجدوا في تصوير المرأة طالبة للرجل متهالكة عليه، غضاً من أنوثتها وحيائها، واستطالة من الرجل، وزهواً بنفسه، لأنه إذا يتغزل في شخصه لا في حبيبته"⁽⁴⁾، ومن الشعراء الذين خرجوا على هذا الذوق السائد، عمر بن أبي ربيعة، وهو شاعر إسلامي، حيث يقول:

قالت لئرب لها تلاطفها لنفسدن الطواف في عمر

قومي تصدي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها: قد غمزته فأبي ثم اسبطرت تسعي على أثري⁽⁵⁾

(1) الأصفهاني، الأغاني (ج14: 146)، الشننمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين (ص 106).

(2) الأمدي، المؤلف والمختلف (ص 127).

(3) فرحات، ديوان الصعاليك (ص 187 - 188). الخفرات: الحبيبات، الشنار: العيب والعار، النوار: النفور من الريبة.

(4) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 657).

(5) الأصفهاني، الأغاني (ج1/169).

إن هذا الخروج عن المألوف عند العرب، وما كان سائداً عندهم، تمجّه الأذواق، ولا تستسيغه، وتنبذه القلوب ولا تألفه، لما فيه من مخالفة للأعراف السائدة، والأوصاف المألوفة، وهذا جعل كُثيّر يقول له عند سماعه لهذه الأبيات: " لقد أسأت وقلت الهجر، ولو أنك وصفت بهذه هرة أهلك لكنت قد أسأت إليها، وإنما توصف الحرّة بالحياء والإباء والالتواء والبخل والامتناع"⁽¹⁾.

وقال له ابن أبي عتيق عندما سمع قوله:

بينما ينعتنني أبصرني دون قيد الميل يعدو بي الأغر
قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى: نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمّتها قد عرفناه وهل يخفى القمر؟

أنت لم تتسب بها، وإنما نسبت بنفسك، وكان ينبغي أن تقول قلت لها فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه⁽²⁾.

إذاً يمكن القول بأن المرأة أحببت كما أحب الرجل، ونجد في شعرها الغزل العفيف، ونجد أيضاً الغزل الحسي الصريح، وربما كان شعر أم الضحاك المحاربية مثلاً لهذا النوع من الشعر؛ الذي يميّز غزلها بالمجون والفحش أحياناً. ومثال ذلك قولها:

شفاء الحبّ تقبيلٌ وضمٌّ وجرٌّ بالبطنون على البطون
ورهرٌّ تذرفُ العينان منه وأخذٌ بالذوائب والقرون⁽³⁾

ومهما يكن فإن السمة الغالبة على شعر النساء في الغزل، هي العفة والنقاء، ومغالبة الأهواء، وطهارة النفس، وشرف المقصد، والترفع عن الدنيا، والبعد عما يعيب ويصم، فهو شعر رقيق سهل، مغلف بالحياء، يفيض باللهفة والشوق، والألم والحسرة، والمعاناة والحرمان.

(1) الأصفهاني، الأغاني (ج1/ 169).

(2) المرجع السابق (ج1/ 122 - 123).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص64).

وما دمنّا في معرض الحديث عن الحب، فلا بد من تحديد مفهومه، الذي تضاربت فيه الأقوال، وساد فيه الإسهاب والإطناب بين القدماء والمحدثين، فطائفة عرفته بالمثل، وأخرى عرفته بالنتيجة، أو السلوك الظاهر⁽¹⁾.

على أن جميع هذه التعريفات، وأقربها إلى النفس التعريف القائل بأنه: "تجمع وتمركز عواطف الإنسان وشعوره بميل وعطف وحنان على شخص، بإخلاص وثبات مع رغبة شديدة في التمتع تناسلياً بهذا الشخص. وبذلك يتألف الحب من حالتين رئيسيتين: حالة نفسية يتميز بها الإنسان عن الحيوان، وغريزة جسمية حيوانية"⁽²⁾.

أما مفهوم المرأة عن الحب فتجمله هذه الأعرابية بقولها:

الحب أوله ميل تهيم به	نفس المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت	أو مزحة أشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها قدحة فإذا	تضرمت أحرقت مستجمع الحطب ⁽³⁾

فهي ترى أن الحب إذا تمكن من الإنسان لم يعد قادراً على التحكم في عواطفه فيغدو أسيراً لها. بينما ترى أخرى أن الحب يذهب ويعود، حيث تقول لمن لامها عندما تزوجت بعد زوجها الذي عاهدته على ألا تتزوج بعده:

وقد كان حبي ذاك حياً مبرحاً	وحبي لذا إذ مات ذاك شديداً
وكان هواي عند ذاك صباية	وحبي لذا طول الحياة يزيد
فلما مضى عادت لهذا مودتي	كذاك الهوى بعد الذهاب يعود ⁽⁴⁾

(1) ينظر: كحالة، الحب (ص 5).

(2) كحالة، الحب (ص 7).

(3) ابن قيم، أخبار النساء (ص 58).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص 204).

"فهذه الشاعرة أحسنت التخلص من الموقف، وقد عللت زواجها بعد موت زوجها الذي أحبته، بتعليل يقبله أصحاب المذهب الحسي في الحب"⁽¹⁾.

وترى أخرى أن للحب علامات جسمية تظهر على المحب إن كان صادقاً في حبه، فعلاماته نحالة الجسم، والتصاق الجلد بالأحشاء، تقول أم حمادة الهمدانية:

شكوت إليها الحبَّ قالت كذبتني ألسْتُ أرى الأجلادَ فيك كواسيا

رويدك حتى يبتلي الشوقُ والهوى عظامك حتى يـزْتَجِفْنَ بواديا

ويأخذك الوسواس من لوعة الهوى وتخرس حتى لا تجيب المناديا⁽²⁾

وترى أخرى أن الحب يذهب العقل، ويذيق صاحبه ألوان الهوان والذل، تقول امرأة من قيس:

وما كَيْسٌ في الناس يُحْمَدُ رأيه فيوجَدُ إلا وهو في الحبِّ أحمقُ

وما من فتى ما ذاق بؤس معيشةٍ فيعشق إلا ذاقها وهو يعشق⁽³⁾

(1) أبو علي، شاعرات عصر الإسلام الأول (ص 130).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 190).

(3) المرجع السابق (ص 209).

المطلب الأول: الشوق إلى المحبوب:

أحبت أسماء المُريّة عامر بن الطفيل، وهي كغيرها من الشواعر العربيات يحرصن على كتمان الحب ما أمكن ذلك، لذلك تلجأ الشاعرة إلى إخفاء شوقها لمحبيبها، بالحديث عن شوقها وحينها إلى موطنها الذي نشأت فيه، وما ذاك الموطن إلا ذكريات علفت بالذاكرة، وحبيب بعدت به الديار، إنها تشكو الشوق ولوعة الهوى، الذي أحرق الحشا، وأسأل الدموع، فغدت مولهة تكلّي، تتلهف على نسمة باردة من ديار محبوبها؛ تجد فيها شفاء ما بها، تقول:

أيا جَبَلِي نَعْمَانِ بِاللَّهِ خَلِيًّا	نَسِيمِ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمِهَا
فَإِنِ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَفَّسْتَ	عَلَى قَلْبٍ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هَمُومُهَا
أَجِدُ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةَ	عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبِقْ إِلَّا صَمِيمِهَا
أَيَا جَبَلِي وَادِي غُرَيْرَةَ الَّتِي	نَأَتْ عَنِ نَوَى قَوْمٍ وَصُمَّ قَدُومِهَا
أَلَا خَلِيًّا مَجْرَى الْجَنُوبِ لَعْلَهُ	يَدَاوِي فَوَادِي مَنْ جَوَاهِ نَسِيمِهَا
وَكَيْفَ يَدَاوِي الرِّيحَ شَوْقًا مَمَاطِلًا	وَعَيْنًا طَوِيلًا بِالْدمُوعِ سَجُومِهَا
وَقَوْلًا لِرُكْبَانِ تَمِيمِيَّةٍ غَدَتْ	إِلَى الْبَيْتِ تَرْجُو أَنْ تَحْطَّ جَرُومِهَا
بِأَنَّ بِأَكْنَافِ الرُّغَامِ غَرِيبَةً	مَوْهَةً تَكْلِي طَوِيلًا نَيْمِهَا
مَقْطَعَةً أَحْشَاؤُهَا مِنْ جَوَى الْهَوَى	وَتَبْرِيحَ شَوْقٍ عَاكِفٍ مَا يَرِيْمُهَا ⁽¹⁾

ومثل ذلك الشوق نجده عند شاعرة أخرى هي هند بنت أوس الضبية، التي ترى أنه لا طائل من اللوم والعتاب، فلا شيء يمحو الشوق والغرام والصابية من قلبها، كما أنها تبدي استغرابها من محبتها لأرض عشيرتها، وبغضها للأرض الجديدة التي حلت بها، وهذا نوع من

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 62)، ومارديني، شواعر الجاهلية (208 - 209). حَم: قدر وقضى، نَيْمِهَا: صوتها وأنينها، ما يَرِيْمُهَا: ما يزيلها. جَرُومها: الجروم: الأراضي شديدة الحر. الرغام: رملة من نواحي اليمامة. الموهة: تقصد نفسها أي الشاعرة.

عدم التصريح، ولو أن الريح توصل الرسائل لتمنت من ريح الجنوب أن توصل رسالتها لأحبتها، دون أن تهينها وتذللها بخلطها بالتراب، حرصاً منها على من تحب، تقول:

وعاذلة تغدو عليّ تلومني
فمالي إن أحببت أرض عشيرتي
على الشوق لم تمخ الصبابة من قلبي
فلو أن ريحاً بلغت وحي مُرسِلِ
وأبغضتُ طرفاءَ القصيبةِ من ذنب
فقلتُ لها أدي إليهم رسالتي
حفيّ لناجيتُ الجنوب على النَّقبِ
ولا تخلطِها طال سَفْعُكَ بالثُّربِ
فإني إذا هبّت شمال سألتُها
هل ازداد صدّاح الثميرة من قرب⁽¹⁾

إنها تعجب ممن يلومها في شوقها إلى وطنها، بل إن الملامة لتزيدها ولوعاً به، وما ذنبها أن تكلف بأرض عشيرتها وتقلّي غيرها؟ وإنما لتمنى أن تقدر الريح على نقل نجواها، وتلطف وتظرف في تمنيتها أن تبلغ الريح تحياتها، وفي دعائها لها بالخير، راجية ألا تمس بتحيتها الثرى، وإنما لحفية بالريح الشمالية تسائلها عن قومها أيقربون؟ ومتى يقربون؟⁽²⁾ وتشكو ليلي بنت لُكَيْز من ألم الشوق الذي أذاب أحشاءها كذوبان الرصاص في النار، تقول:

لما ذكرت عُزيساً غالني أمدي
تربّع الشوق في أحشائي ذيب كما
حتى هممت من البلوى بإعلان
ذاب الرصاص إذا أغلني بنيـران
عجبت برّاق من صبري وكتماني⁽³⁾
فلو تراني وأشواقي تُقلّبني

(1) التبريزي، شرح الحماسة، (162/2)، مارديني، شواعر الجاهلية (310)، العذل: اللوم، الطرفاء: شجر، القصيبة: موضع بين خيبر والمدينة. الوحي: الإخبار. الحفيّ: المُلِحُّ واللطيف. النقب: الطريق في الجبل. الثميرة: هضبة بين نجد والبصرة بعد الدهناء. الصّدح: الصوت.
(2) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 651).
(3) مارديني، شواعر الجاهلية (ص 295).

ويأخذ الشوق هند بنت عصب السودسية، فتحن إلى موطنها، " وتصور حنينها في أن الماء الذي تشرب منه لا يبيل أوامها، وتود لو جاءها أحد بشرية من ماء وطنها لتعطيه أربعاً من وطن زوجها، ثم تقول إنها تشتعل شوقاً إلى ديار أهلها ومسقط رأسها، ويزيد شوقها اشتعالاً أنها يائسة من أوبة قريبة"⁽¹⁾، تقول:

ألا لا أرى ماء المصَّبَحِ شافياً نفوساً إلى أمواهٍ بقعاء نزعاً
فمن جاء من ماء السبال بشرية فإن له من ماء لينة أربعاً
وقد زادني وجداً ببقعاء أنني رأيت مطاينا بلينة ظلَّعا⁽²⁾

وهذه امرأة من أبان تزوجت في كلب رأت بكرةً من ديارها يحن إلى موطنه، فتشاركه مشاركة وجدانية، سببها شوقها إلى موطنها، تقول:

ألا أيها البكر الأبانِي إنني وإياك في كلب لمغتربان
تحنُّ وأبكي ذا الهوى لصبابة وإنا على البلى لمصطحبان
وإن زماناً أيها البكر ضمَّني وإياك في كلبٍ لشرُّ زمان⁽³⁾

وتتمنى حليلة الحضرية أن ترى أرضاً بها محبوبها، وأن تشرب من الماء الذي يشرب منه، وأن تلمس التراب الذي خطا عليه، وإن كان مخلوطاً بسم السود من الأفاعي، تقول:

يُقَرُّ بعيني أن أرى مَنْ مكانه ذُرّاً عقداً الأبرق المتقاود
وأن أرد الماء الذي شربت به سُليماً وقد ملَّ السرى كلُّ واحدٍ
وأصق أحشائي ببزْد ترابه وإن كان مخلوطاً بسُمِّ الأسود⁽⁴⁾

(1) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 651).

(2) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 106). نزعاً: مشتاقه، المصَّبَح، وبقعاء، والسبال، ولينة أسماء مواضع. ظلَّعا: مقبلة.

(3) الجاحظ، رسائل الجاحظ (ج 2/400)، ياقوت، معجم البلدان (ج 1/63).

(4) مارديني، رغاء، شواعر الجاهلية (ص 245). عقداً: ما صلب من الرجل. الأبرق: الجبل مخلوطاً برمل. البرقة: أرض ذات حجارة ورمل. المتقاود: المستوي. السرى: السير ليلاً. واخذ: الوخذ سعة الخطو في المشي. الأسود: العظيم من الحيات.

وحدث عبد الله بن إسحق الجعفري قال: أمرت بملء صهريج لي في بستان عليه نخل مطلّ، وذهبت بأم حسانة المريّة وابنتها - زوجتي - فلما نظرت أم حسانة إلى الصهريج قعدت عليه وأرسلت رجليها في الماء، فقلت لها: ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنجني ما طاب من ثمره؟ فقالت: ها هنا أعجب إليّ.

فدرا ساعة وتركناها، ثم انصرفنا وهي تخضخض رجليها في الماء وتحرك شفتيها، فقلت: يا أم حسانة لا أحسبك إلا قلت شعراً، قالت: أجل، ثم أنشدتني:

أقول لأدنى صاحبي أسره
وللعين دمعٌ يحدر الكحل ساكبه
لعمري لنهيّ باللوى نازح القذى
نقيّ النواحي غير طرق مشاربه
أحبُّ إلينا من صهاريج مُنَّت
للغيب ولم تملُحْ لديّ ملاعبه
فيا حبذا نجد وطيب هوائه
إذا أهضبته بالعشي هواضبه
وريح صبا نجد إذا ما تنسمت
ضحىً وسرت جنح الظلام جنائبه
فأقسم لا أنساه ما دمت حيّةً
وما دام ليل من نهار يعقابه
ولا زال هذا القلب مسقيّ لوعة
بذكره حتى يترك الماء شاربه⁽¹⁾

إن "الوطن الذي بعدت عنه المرأة ليس وطن الأهل، ومسرح الصبا والهوى فقط، إنما هو موطن الحبيب الذي حرمت منه الشاعرة، فالشاعرة تبدو كالمريضة التي تظن أن الريح التي تهب من ناحية قومها قد تشفيها، والذي يميز هذه التجربة عن تجربة الرجل في الحب هو ربط المعاناة بالألم الجسمي، فهي مقطعة أحشاؤها من الجوى"⁽²⁾.

(1) الجاحظ، الرسائل (ج 2 / 398)، الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء (ج 2 / 654). الطَّرُق: الماء الذي خاضته الدواب وبالت فيه وأبعرت. الهواضب: الأماكن المرتفعة التي يكون هواؤها أطيب من السهول. الجنائب: مفردا جنوب وهي رياح الجنوب.

(2) يوسف، عالم المرأة في الشعر الجاهلي (ص 77).

المطلب الثاني: البوح بالحب والشوق:

إذا كان بعض النساء كتمن حبهن، ولم يبحن به، وهذه السمة الغالبة للنساء العربيات، فإننا قد نجد من النساء من لم تقو على كتمان حبهما، ذلك لشدة شوقها، وغلبة وجدها، فأطلقت لسانها واصفة ما بها، متحدية العرف والعادة، والنظام القبلي الصارم.

من ذلك أن رجلاً من بني عقيل تزوج امرأة من قبيلته، دخل يوماً وهي تتمثل ببيت غزل، فقال لها: ما هذا الذي تتمثلين به؟ لعلك عاشقة. قالت لا. ولكن أبيات حضرتتي فقال: لئن سمعتك تعودين إلى مثل هذا لأوجعن ظهرك وبطنك. فأنشأت تقول:

فإن تضربوا ظهري وبطني كليهما فليس لقلب بين جنبي ضاربُ

يقولون عزِّي النفس عمَّن تَوَدُّه وكيف عزاء النفس والشوق غالبُ⁽¹⁾

وتحتل شقراء ابنة الحباب الضرب بالسياط من أجل من تحب حيث تقول:

أضرب في يحيى وبينى وبينه تنأيف لو سرى بها الريح كُلت

ألا ليت يحيى يوم عبهل زارنا وإن نهلت منا السِياط وعَلَّت⁽²⁾

وفي تحد واضح تقول:

أقول لعمرو والسياط تلفني لهن على متني شرُّ دليل

إن هذا التحدي، ناتج عن حب ملك عليها جوارحها، حتى أنها لم تقو على كبح جماح مشاعرهما، فلم تعد تأبه بالعقاب أياً كان، فحب يحيى أفقدها صوابها، وفاق صبرها، وأشاب ناصيتها، تقول:

خليلي إن أصعدتما أو هبطتما بلاداً هوى نفسي بها فاذاكرانيا

(1) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 658).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 197).

ولا تدعا إن لامني ثم لائم
على سَخَطِ الواشين أن تعذرانيا
لقد شفَّ قلبي بعد طول تجلدي
أحاديث من يحيى تشيبُ النواصيا
سأرعى ليحيى الودَّ ما هبَّت الصِّبا
وإن قطعوا في ذاك عمداً لسانيا⁽¹⁾

وتبوح امرأة من خثعم بحبها لكعب بن طارق فنقول:

فإن تسألوني من أحب فإني
أحب وبيتِ الله كعبَ بن طارق
أحب الفتى الجعدَ السلوليَّ فاضلاً
على الناس معتاداً لضرب المفارق⁽²⁾

وتصور خولة بنت ثابت شوقها ولهفتها على محبوبها عمارة بن الوليد ابن المغيرة
المخزومي، وقيل الشعر لفارعة بنت ثابت في عبد الرحمن بن هشام المخزومي:

يا خليي نابني سهدي
لم تنم عيني ولم تكـ
فشرابي ما أسيغ وما
أشتكي ما بي إلى أحد
كيف تلخوني على رجلٍ
آنسٍ تلتـنـه كـبـدي
مثل ضوء البدر صورته
ليس بالزمية النكد
من بني آل المغيرة لا
خامل نكس ولا جحد
نظرت يوماً فلا نظرت
بعد عيني إلى أحد⁽³⁾

ويأخذ الشوق والوجد زينب بنت مَرَّة المرية فنقول:

يا أيها الراكب الغادي مطيته
عرج أنبيك عن بعض الذي أجـد

(1) يموت، شاعرات العرب (ص197).

(2) الجاحظ، الحيوان (ج2/24).

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج7/31).

ما عالج الناس من وجدٍ ومن كمدٍ إلا ووجدني به فوق الذي وجدوا

حسبي رضاه وأني في مسرته ووده آخر الأيام أجهتد⁽¹⁾

وتتشوق الخنساء بنت التيحان إلى جحوش الخفاجي، فتدعو لدياره بالسقيا كعادة الشعراء في دعائهم لديار محبوباتهم، ثم إنها تحن إلى لقائه، وسماع حديثه، فقد أضعف الوجد به جسمها، وأمراضها، فحبها لجحوش فاق حب عفراء لعروة بن حزام، فلا شفاء منه إلا بالموت، تقول:

أمنتذرٌ قتلي إن العينُ آنت
سنا بارقٍ بالغور غور تهام

فلا زال مُنهلٌ من الغيث رائحٌ
يقادُ إلى أهل القضا بزمام

ليشرب منه جحوشٌ ويشمه
بعيني قطاميٍّ أغرَّ شامي

بنفسي وأهلي جحوشٌ وكلامه
وأنيابُه اللائي جلا ببشام

ألا إنَّ وجدني بالخفاجي جحوشٍ
برى الجسم مني فهو نضو سقام

وأقسم إنني قد وجدت بجحوش
كما وجدت عفراءً بابن حزام

وما أنا إلا مثلها غير أنني
مؤجلة نفسي لوقت حمام⁽²⁾

وتقول:

وإن لنا بالشام لو نستطيعه
خليلاً لنا يا تيحان مصافياً

نعدُّ له الأيام من حُبِّ ذكره
ونحصى له يا تيحان الليالي

فليت المطايا قد رفقنك مُصعداً
تجوبُ بأيديها الحُزونَ الفياfia⁽³⁾

(1) اللقالي، الأمالي (ج2/87)، ابن قيم الجوزية، أخبار النساء (ص 73).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 75).

(3) المرجع السابق (ص 75).

وقد تتكلم الشاعرة بجرأة غير معهودة، فالمرأة العربية شديدة الحياء، عفيفة كتومة، بعيدة عن الابتذال، تحرص على ألا يؤتى أهلها من قبلها كما أسلفنا القول في معرض الحديث عن عفتها وكتمان وجدها.

تقول:

وإن ولوج البيت حلّ لجحوشٍ إذا جاءءَ والمســــتأذنون نياماً
فأهل الحجاز معشراً قد كرهتهم وأهل الغضا قوم عليّ كرام⁽¹⁾

وكانت أم الضحاك المحاربية تحب زوجها حباً شديداً، فحصل بينهما خلاف طلقها على أثره، فاشتد وجدها به، وشوقها إليه. فقالت:

يا أيُّها الغادي لطيفه عرّج أبثُّك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجدٍ تضمنهم إلا ووجدني به فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأني في مسرته ووُدّه آخر الأيام أجهتد⁽²⁾

إنها تشكو للركبان شدة حبها وشوقها، لعل أحدهم يوصل رسالتها إلى محبوبها فيرق لها، فهي لا ترى أن أحداً أشدَّ وجداً من وجدها، ولا تتمنى إلا الرضى وعودة الوصال ودوام الود والمحبة، وتقول:

سألت المحبين الذين تحمّلوا تباريح هذا الحبّ في سالف الدهر
فقلت لهم ما يذهب الحبّ بعدما تبوأ ما بين الجوانح والصدر
فقالوا شفاءً الحب حبّ يزيله من آخر أو نأىً طويلٌ على هجر
أو اليأس حتى تذهل النفس بعدما رجت طمعاً واليأس عون على الصبر⁽³⁾

(1) يموت، شاعرات العرب، (ص 75)

(2) المرجع السابق (ص 64).

(3) المرجع نفسه (ص 64).

إنها تهرع إلى المحبين الذين عانوا تباريح الحب، وعانوا من ألم الفراق، لعلها تجد عندهم علاجاً يذهب عنها ما حل بصدرها، وتملك عليها جوانحها، فيخبروها بأن الحب لا يزيله إلا حب آخر، أو اليأس من الوصال، والبعد والهجران، وأنى يتأتى ذلك لها.

وتصور لنا شدة ما حل بها من شوق إلى محبوبها، الذي ملك عليها مشاعرها، وغلب على تفكيرها، وأفقدتها صوابها، فهي لا تجد حرجاً أن تلق محبوبها خالياً في أكثر الأماكن قداسة، ولم لا وبينهما حديث كنتشيع المرضى، حديث لو شوي اللحم بحرّه لنضج، إنها حرقة ما بعدها حرقة، وشوقاً لا يفوقه شوق، ووجد يذيب القلب، ويذهب العقل. تقول:

هل القلب إن لاقى الضبابي خالياً لدى الركن أو عند الصفا متحرج
وأعجنا قرب الفراق وبيننا حديث كنتشيع المرضى مزعج
حديث لو أن اللحم يشوى بحرّه طرياً أتى أصحابه وهو منضج⁽¹⁾

لقد شغلت حالتها أهلها، حتى أعياهم حالها، وعجزوا عن علاجها، ولو علموا أن التمام تشفيها لقلدوها بها، ولكن أتى لهم ذلك. تقول:

ألم تر أهلي يا مغير كأنما يفئون باللوماء فيك الغنائما
ولو أن أهلي يعلمون تميمه من الحب تشفي قلدوني التمائما⁽²⁾
ثم إنها تسلوه بعد مدة من الزمن، فتقول:

تعزيت عن حب الضبابي حقبه وكل عمايا جاهل ستثوب
يقول خليل النفس أنت مريبه كلانا لعنري قد صدقت مريب
وأربينا من لا يؤدي أمانة ولا يحفظ الأسرار حين يغيب
ألهفاً بما ضيعت ودي وما هفا فؤادي بمن لم يدر كيف يثيب⁽³⁾

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 65).

(2) المرجع السابق (ص 65).

(3) المرجع نفسه (ص 65 - ص 66).

وقالت:

ولم أنتبه حتى وقفتُ بغِيَّةٍ من الغي ثم انجاب عني غطائيا
فأقصرتُ عمّا تعلمين ولا أرى أذا غِيَّةٍ عنها انتهى كانهائيا⁽¹⁾

وتبالغ بعض النساء في غزلهن كقول هذه الأعرابية:

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى بأرعن ركناه صفاً وحديدُ
تقطر من وجد وذاب حديده وأمسى تراه العيد وهو عميد
ثلاثون يوماً كل يوم وليلة أموت وأحيا إن ذا لشديد
مسافة أرض الشام ويحك قربي إليّ ابن جَوَّابٍ يزيدُ أريدُ
فليت ابن جواب من الناس حظنا وأن لنا في النار بُعد خلود⁽²⁾

إن ما بها لا تقو الجبال على حمله، فهي تموت وتحيا كل يوم شوقاً لابن جواب ؛ الذي
تتمنى وصاله، والتتعم بقربه، والزواج منه، وإن كان مصيرها بعد ذلك إلى النار.

وتتذكر عشقة المحاربية - حين هرمت - ما كان منها في صباها، فنقول إن المحبين
والمحبات لم يجزّوا من الحب إلا بعض ما جرّبت، تقول:

جرّيت مع العشاق في حَبَّةِ الهوى ففقتهم سَبَقاً وجئت على رسلِ
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا إلا الثياب التي أبلّبي
ولا شربوا كأساً من الحب مُرَّةً ولا حلوةً إلا شرابهم فضلي⁽³⁾

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 66).

(2) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 192).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 102).

ويمر أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، في خلافته بطريق من طرق المدينة، فإذا جارية
تطحن وتتشد:

وعشقتة من قبل قطع تمائي متمايساً مثل القضيب الناعم
وكان نور البدر سنة وجهه ينمي ويصعد في ذؤابة هاشم
وأنا التي لعب الغرام بقلبها فبكت بحب محمد بن القاسم

فدق عليها الباب، فخرجت إليه، فقال: ويلك أحرّة أم مملوكة؟ قالت: مملوكة يا أمير
المؤمنين. فسار إلى المسجد، وبعث إلى مولاهما فاشتراها منه، وبعث إلى محمد بن القاسم بن
جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وقال: هؤلاء فتن الرجال، فكم مات بهن كريم، وعطب
عليهن سليم!!⁽¹⁾

وتتغزل عفراء بنت عقيل العذرية غزلاً عذباً حين تعتذر عن عدم زيارته خوف الوشاة
والحاسدين:

عداني أن أزورك يا مرادي معاشر كلهم واش حسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي وعابونا وما فيهم رشيد
فأما إذا حللت ببطن أرض وقصر الناس كلهم اللحوذ
فلا بقيت إلى الدنيا فوقاً ولا لهم ولا أثري عديد⁽²⁾

وترى أم حمادة الهمذانية أن الهوى استمكن منها، حتى بدا لها أنها العاشقة الوحيدة من
بين الناس، وتتعجب من حبها لمحبيب لا يبادلها الحب والمودة، وهذا - في رأيها- الشقاء
بعينه:

(1) ينظر: ابن القيم، أخبار النساء، (ص 219 - ص: 220). التمام: جمع تميمة وهي خرزة يضعها
العرب على أبنائهم خوفاً من العين. سنة وجهه: صورته أو جبهته وجبيناه.
(2) يموت، شاعرات العرب (ص 189).

دار الهوى بعباد الله كلهم
حتى إذا مرّ بي من بينهم وقفوا
إني لأعجب من قلب يكلفكم
وما يرى منكم براً ولا لطفاً
لولا شقاوة جدّي ما عرفتم
إن الشقيّ الذي يشقى بمن عرفاً⁽¹⁾

إنها ترى أن المحب لا يكون محباً صادقاً، حتى يبلي جسمه، ويعتريه الوسواس ولا يقو
على محادثة الناس، تقول:

شكوت إليها الحبّ قالت كذبتني
ألست أرى الأجلاد منك كواسياً
رويدك حتى يبتلى الشوق والهوى
عظامك حتى يرتجعن بوادياً
ويأخذك الوسواس من لوعة الهوى
وتخرس حتى لا تجيب المناديا⁽²⁾

ويتمكن الحب والوجد من ليلي العامرية، التي تخشى الوشاة، فتكتم حبها وتبقيه دفيناً في
قلبها، وتظهر البغض لمحبوها، لكنها تخشى أن يظهر ما بها من عينيها، التي تبدي ما تخفيه
الصدر، والناس لا يخفى عليهم شيء:

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً
وكلٌ عند صاحبه مكين
تُبَلِّغنا العيون بما أردنا
وفي القلبين ثم هوى دفين
وأسرار اللواظ ليس تخفى
وقد تغري بذى الخطأ الظنون
وكيف يفوت هذا الناس شيء
وما في الناس تظهره العيون⁽³⁾

وتقول إنها تحب قيس حباً يعادل حبه لها، ولكن قيس لم يقو على كتمان حبها، إلا أنها
كتمت حبها:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص190).

(2) المرجع السابق، (ص190).

(3) المرجع نفسه، (ص159).

لم يكن المجنون في حالة
إلا وقد كنت كما كنا
لكنّه باح بسرّ الهوى
وإنّني قد ذبّنتُ كتماناً⁽¹⁾
وتقول:

باح مجنونٌ عامرٌ بهواه
وكتمتُ الهوى فمئتُ بوجدي
فإذا كان في القيامة نودي
مَنْ قَتيلَ الهوى تقدمتُ وحدي⁽²⁾

ويشتدّ الوجد بسعدى الأُسديّة، فقد أحببت ابن عمها، وأحبها، ورفض أهلها زواجهما، وزوجوها بغيره، فماتت كمداً وقهراً، تقول مخاطبة ابن عمّها وكان قد أرسل لها بيتين يشكو فيهما حبه:

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي
كفاني ما بي من بلاء ومن جهد
ومن عبراتٍ تعتريني وزفرةٍ
تكادُ لها نفسي تسيلُ من الوجد
غلبت علي نفسي جهاراً ولم أطق
خلفاً على أهلي بهزلٍ ولا جدّ
ولن يمنعوني أن أموت بزعمهم
غداً خوف هذا العار في جدّتي وحدي
فلا تنس أن تأتي هناك فتلتمس
مكاناً فنشكو ما تحمّلت من جهد

فجاءها في الموعد فوجدها ميّتة، فاحتملها إلى شعب بذرى جبل وضمّها ملتزماً لها فمات، ثم إن بعضهم وجدها فأخبر عنها فدفنوها⁽³⁾.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 158).

(2) المرجع السابق (ص 158).

(3) المرجع نفسه (ص 91).

المطلب الثالث: صفات المحبوب:

أولاً: الصفات المعنوية:

حرصت الشاعرة العربية على ذكر صفات المحبوب المعنوية التي أحببتها فيه، فهي تحبه شجاعاً كريماً، فصيحاً، رزيناً وعاقلاً، عفيفاً، لأنها أكثر الصفات التي تستهويها، وتجذبها، وتزيد من تعلقها به، وسأحاول أن أتتبع بعض صفات المحبوب المعنوية في شعر المرأة العربية، وأرى أن الشواهد في شعرهن قليلة، وخصوصاً الجاهليات منهن، لأن المرأة الجاهلية خاصة والعربية عامة كانت مقلة في ذكر المحبوب، كتومة لا تبوح بما يخالج صدرها، ويذهب النوم من عينيها، فكيف بها إذا وصفت من تحب في مجتمع لا يقبل هذا، ولا يرضى عنه، إلا أنني وجدت شاعرة إسلامية بارزة، اشتهرت بالحب العفيف الطاهر، وعاصرت الصحابة والتابعين، وتعتبر من أبرز شاعرات العصر الإسلامي، إنها ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحمير، لقد مدحت ليلى توبة ووصفته وصفاً مبالغاً فيه، حتى أغضبت الخلفاء في عصرها، وهذا سيأتي في حينه، فتوبة الفارس الشجاع المقدم، الكريم العفيف العاقل الرزين، الذي ساد قومه شاباً صغيراً، وهي أبرز الصفات التي تحرص المرأة على وجودها في محبوبها، وهذا عرض لهذه الصفات.

1- الشجاعة:

دخلت ليلى الأخيلية على مروان بن الحكم، فقال: ويحك يا ليلى أكما نعت توبة كان؟! قالت: أصلح الله الأمير؛ والله ما قلت إلا حقاً، ولقد قصرت! وما رأيت رجلاً قط كان أربط على الموت جأشاً، ولا أقل انحياشاً حين تحتدم بركاء الحرب، ويحمى الوطيس بالطعن والضرب، كان والله كما قلت:

فتى لم يزل يزداد خيراً لدن نشا	إلى أن علاه الشيبُ فوق المسايح
تراه إذا ما الموت حل بورده	ضروباً على أقرانه بالصفائح
شجاعٌ لدى الهيجاء ثبتٌ مشايح	إذا انحاز عن أقرانه كلُّ سايح
فعاش حميداً لا ذميماً فعأله	وصولاً لقرباه يرى غير كالح ⁽¹⁾

(1) الأخيلية، الديوان (ص 62). أقران: جمع قرن، والقرن: كفؤك في الشجاعة. الصفائح: السيوف العريضة. الهيجاء: الحرب. الثبت: الفارس الشجاع. المشايح: المقاتل. سبح الفرس: جريه، والسوابح: الخيل لأنها تسبح بيديها، وهي صفة غالبية.

ويسأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيلية عن توبة بن الحمير، فقال: ويحك يا ليلى،
أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقاً، والناس شجرة
بغي يحسدون أهل النعم حيث كانوا وعلى ما كانت، ولقد كان - يا أمير المؤمنين - سبط
البنان، حديد اللسان، شجاً للأقران، كريم المخبر، عفيف المنزر، جميل المنظر، وهو يا أمير
المؤمنين، كما قلت له. قال: وما قلت له؟ قالت: قلت ولم أتعد الحق وعلمي فيه:

بعيد الثرى لا يبلغُ القوم قَعْرَهُ أَلَدُّ مُلِدِّ يَغْلِبُ الْحَقَّ بِاطْمَأْنُنِهِ
إذا حلَّ ركبٌ في ذراه وظله ليمنعهم مما تُخاف نوازلُهُ
حماهم بنصل السيف من كلِّ فادحٍ يخافونه حتى تموتَ خصائلُهُ⁽¹⁾

فقال معاوية: ويحك يا ليلى! لقد جرت بتوبة قدره، فقالت: والله يا أمير المؤمنين لو
رأيتَه وخبرته لعرفت أني مقصرة في نعته، وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله، فقال معاوية: من أي
الرجال كان؟ قالت:

أنته المنايا حين تم تمامه وأقصر عنه كلُّ قرنٍ يُطاوَأُهُ
وكان كليث الغاب يحمي عرينه وترضى به أشباله وحلائله
غضوب حليم حين يُطلبُ حِلْمُهُ وسُمُّ زُعَافٍ لا تصاب مقائلُهُ⁽²⁾

الأبيات الثلاثة الأولى "مدح خالص، وفي هذا المدح تسود قيم الجاهلية وخصالها،
فهو "ألدُّ ملد" أي كثير الجدل مسرف في الخصومة معاند للحق حتى أن باطله يغلب حق غيره،
وكل هذه الصفات منبوذة بغیضة بأدب الإسلام"⁽³⁾.

(1) الأصفهاني، الأغاني (ج11/ 222 - 223)، الديوان (ص 97). اللدد: شدة الخصومة. ذراه: كنفه.
الفادح: الخطب، والنازلة من نوازل الدهر.
(2) الأصفهاني، الأغاني، (ج11/ 223)، الديوان، (ص: 98). القرن: الكفو في الشجاعة. سم زعاف: قاتل.
(3) الغيث، ليلى الأخيلية وفن الرثاء، (ص 164).

ولكنها سرعان ما تتراجع عن هذه النعمة الجاهلية، وتتشد مرتجلة ستة أبيات في حضرة الخليفة تمزج فيها صفة الشجاعة بالكرم والعفة، وحسن معاملة الجار والضيف، والجمال المعنوي، بالجمال الحسي، لا تخلو من بعض اللمحات الإسلامية، وذلك أن الخليفة قال لها: " ويحك! يزعم الناس أنه كان عاهراً خارباً"⁽¹⁾.

جواداً على العلات جمّاً نوافله	معاذ إلهي كان والله سيدياً
تحأبب كفاه الندى وأنامه	أغرّ خفاجياً يرى البخل سبّة
جميلاً مهيأه قليلاً غوائله	عفيفاً بعيد هم صلباً قنائه
على الضيف والجيران أنك قاتله	وقد علم الجوع الذي بات سارياً
إذا ما لئيم القوم ضاقت منازلُه	وأنتك رحب الباع يا توب بالقرى
ويضحى بخير ضيفه ومنازلُه ⁽²⁾	يبيت قرير العين من بات جاره

ومن جيد شعرها في توبة ما أنشدته في حضرة الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وذلك حين سألتها عن أجود ما قالت في توبة، فقالت: والله يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر منه، ولقد أجدت حين قلت:

فتى من غقيل ساد غير مكأف	جزى الله خيراً والجزاء بكفه
عليه ولا ينفك جم التصرف	فتى كانت الدنيا تهون بأسرها
إذا هي أعيت كل خرق مشرف	ينال عليّات الأمور بهونة
لألقاك مثل القسور المتطرف	فيا ألف ألف كنت حياً مسلماً
بأبيض قطّاع الضريبة مرهف	وكم من لهيف محجر قد أجبته

(1) الأصفهاني، الأغاني، (ج11/ 223).

(2) الأغاني، (ج11/ 223) الديوان، (ص97). على العلات: على كل حال، النوافل: العطايا، سبة: عار،

أتى غولاً وغائلة: أمراً منكراً.

فأنفذته والموت يحرق نابه عليه ولم يُطعن ولم يُتسّف⁽¹⁾

ومن قولها الذي أعجب به الأصمعي واستجاده قولها:

كأن فتى الفتيان توبة لم يسر بنجدٍ ولم يطل مع المتغور

ولم يرد الماء السدام إذا بدا سنا الصبح في بادي الحواشي منور

ولم يغلب الخصم الضجاج ويملاً الجفان سديفاً يوم نكباء صرصر

ولم يعلُّ بالجرد الجياد يقودها بسرّة بين الأشمسات فأبصر

وصحراء موماة يحار بها القطا قطعت على هول الجنان بمنسر

فيا توب للهيجا ويا توب للندی ويا توب للمستنبح المتغور⁽²⁾

ألا رب مكروبٍ أجبت ونائلٍ بذلت ومعروفٍ لديدك ومنكر

في هذه الأبيات عادت الشاعرة إلى ذكرتها، معددة بعض المواضع التي كان يرتادها توبة والتي تشهد له بالشجاعة والإقدام، والجرأة على الأعداء، والامتناع منهم فلا يصلون إليه، حيث إنه عليم بمجاهل الصحراء، فما إن يغتم شيئاً من الإبل وغيرها سرعان ما يدخل به

(1) الأصفهاني الأغاني (ج11/ 224)، الديوان (ص 90 - 91). غير مكأف: من التكليف وهو الأمر الذي يشق عليك. الهونة: الرفق والسهولة، أعياء الشيء: أكّله وأعجزه، الخرق (بالكسر): السخي، أو الظريف في شقاوة أو الفتى الحسن الكريم الخليفة. مشرف: جعل له شرف. القصور: الأسد، المتطرف: المغير. القنا المتقصف: المتكسر. جولان الخيل: كناية عن الحرب. اللهيف: الملهوف. المحجر: المضيق عليه. يحرق نابه: كناية عن الغيظ والغضب. التتسف في الصراع: أن تقبض بيد الخصم ثم تعرض له رجلك فتعثره.

(2) الأغاني، (ج11/ 217 - 219). الديوان (ص: 72 - 74). المتغور: الذي يأتي الغور والغور ما انخفض من الأرض. النجد: ما أشرف من الأرض. الماء السدام: القديم المنفق. الضجاج: المشاغبة، الجفان: جمع جفنة وهي القصعة. السديف: قطع السنام. النكباء: الريح بين ريحين. الصرصر: الشديدة البرد. الجرد: جمع الأجرد، وهو السباق من الخيل. أشمس: جبل في بني عقيل. سرّة وأيسر: موضعان. المنسر: القطعة من الجيش. المستنبح: الضال في الليل الذي ينبح حتى يسمعه كلب القوم فينبح فيعرف مكان القوم. المتغور: الذي يبصر النار من بعيد. الناثل: العطاء.

الصحراء، فيعجز القوم عن ملاحظته، وذلك أنه كان يخبئ الماء في أماكن عديدة من الصحراء، فإذا ما ظمئ أخرجهم.

إن الشاعرة المعجبة بصاحبها لم تثبت صفة الشجاعة إلا وقد قرنتها بما يدخلها في إطار (القيمة) النبيلة المستحبة، وليست الجسارة والمغامرة، ففي القطعة السابقة تربط الشجاعة بأنه يملأ الجفان سديفاً في فصل الشتاء حيث الصقيع والرياح الباردة وخلو الأرض الصحراوية مما يمكن أكله وصيده، وهي تردّد هذا الربط وتصر عليه، وهذا متوقع - بوجه عام - من حيث ترتبط في الوجدان العربي الشجاعة بالبذل والحماية، ولكنه هنا يؤصل صفة تلتوي بحدّ هذا النوع من الجسارة الذي يمارسه توبة. (1)

إنه نعم الفتى على كل حال من أحواله، فتكرر العبارة على أنه فاق أقرانه في كل الصفات الحسنة، متغنية بشجاعته وإقدامه وكرمه وفضله، غير أبهة بلوم اللاتمين:

ولنعم الفتى يا توب كنت إذا التقت	صدور الأعالي، واستشال الأسافل
ولنعم الفتى يا توب كنت ولم تكن	لثسبق يوماً كنت فيه تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف	أتاك لكي يحمى ونعم المجامل
ونعم الفتى يا توب جاراً وصاحباً	ونعم الفتى يا توب حين تفاضل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده	بجدٍ ولو لامت عليه العواذل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده	ولو لام فيه ناقص الرأي جاهل ⁽²⁾

إن الشاعرة تصرح بأنها غير أبهة بلوم اللاتمين، من الجهلة وعديمي الرأي، وكأنها تقول كيف تلومونني في رثاء فتى كانت هذه صفاته؟ فهو الشجاع، الأبى، الكريم الحيي، فاق أقرانه وكان نعم الصديق والرفيق، ونعم الجار، كريم حليم، فلا يلوم إلا ناقص العقل.

لقد زعم البعض أن توبة كان فاجراً، إلا أن ليلي تماري في هذا وتتمسك بالحسن من صفاته، فتقول:

(1) ينظر الغيث، ليلي الأخيلية وفن الرثاء (ص 156).

(2) الأخيلية، الديوان (ص 93 - ص 94). استشال: استرفع.

وتوبة أحياء من فتاة حبيبة
 ونعم الفتى إن كان توبة فاجراً
 ولم يدع يوماً للحفاظ وللندی
 وللبازل الكوماء يرغو حوارها
 وداوية فقر يحار بها القطا
 فليس شهاب الحرب توبة بعدها
 وقد كان طلاع النجاد وبين اللسان
 وكنت إذ مولاك خاف ظلامه
 دعاك إلى مكروهة فأجبتة
 وأجرأ من ليث بخفان خادر
 وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر
 وللحرب يرمي نارها بالشرائر
 وللخيل تعدو بالكماء المساعر
 تخطيتها بالناعجات الضوامر
 بغاز ولا غادٍ بركب مسافر
 ومدلاج السرى غير فاتر
 دعاك، ولم يهتف سواك بناصر
 على الهول منا والحتوف الحواضر⁽¹⁾

لقد جمع توبة بين الحياء والشجاعة، فهو أحياء من الفتاة، لكنه أجرأ من الأسد وقت الجرأة والشجاعة، ثم تعطيه صفة مجمل، تشتمل على كل حسن من الصفات حين تقول (نعم الفتى) وهو حسن على كل حال من أحواله.

إن توبة عليم بأحوال الحرب، خبير بدروب الصحراء، فلا يخشاها، حتى أن المستغيث لا يدع إلا باسمه، حين يشتد أوار الحرب، ويتظاير شرارها، لأنه يعلم أنه نعم المجيب في الشدائد، حين يستحضر القتل، وتبلغ القلوب الحناجر.

2- الكرم:

تأتي صفة الكرم مقرونة بصفة الشجاعة، إلا أنها تأتي عند الشاعرة في المرحلة الثانية، فالشجاعة في الوجدان العربي دائماً تكون مقرونة بالبذل والعطاء والحماية، إن توبة كان - دائماً

(1) الأخيلىة، الديوان (ص 80 - ص 83). خفان: مأسدة قرب الكوفة. الخادر: المقيم، يقال أخطر الأسد إذا لزم خدره. البازل والبزول: الجمل والناقة في السنة الثامنة أو التاسعة. الحوار: ولد الناقة. المساعر: جمع المسعر، وهو الموقد لنار الحرب. الدوية: الفلاة الواسعة المستوية. الناعجات: النوق البيض الكريمة. طلاع النجاد: أي كان سامياً لمعالي الأمور.

- عوناً للأرامل والضعفاء والأضياف الذين يطرقونه ليلاً ونهاراً، فهو كريم غياث في زمن القحط والعوز حين يضيق الرزق. تقول في ربط بين الشجاعة والكرم:

فيا توب للهيجا ويا توب للندى
ويا توب للمتتبع المتتور
ألا رب مكروب أجبت ونائل
بذلت ومعروف لديك ومنكر (1)
وتقول:

كم هاتف بك من باك وبأكية
يا توب للضيف إذ تدعى وللجار (2)

ومن للضيف غير توبة؟ إن توبة لا ينحر لضيفه إلا الإبل السمان التي تحسن في عين صاحبها، فيمتنع عن ذبحها، فتوبة لا يمنع سمن إبله وقوتها، وغزارة لبنها من نحرها لضيفه في وقت الشتاء حين يشتد البرد ويقل الرزق، وهو الوقت الذي يتجلى فيه الكرم، تقول:

ولا تأخذ الكوم الجلاذ رماحها
لتوبة في نحس الشتاء الصنابر
إذا ما رأته قائماً بسلاحه
تفته الخفاف بالثقال البهارز
إذا لم يجد منها برسل فقصره
ذرى المرهفات والقلاص التواجر
قرى سيفه منها مشاشاً وضيفه
سنام المهاريس السباط المشافر (3)
وتقول:

فتى كان للمولى سناء ورقعة
وللطارق الساري قرى غير باسر

(1) الأخيلية، الديوان (ص 74). المستنبح: الذي لا يرى شيئاً في الليل، فينبح لسمع نباح الكلاب فيعرف مكان القوم. المتور: الذي يلتمس النار فيقصدتها.

(2) المصدر السابق (ص75).

(3) المصدر نفسه (ص79 - ص80). الكوم: جمع كوما: الإبل العظيمة السنام، أخذت رماحها: سمتت وحسنت في عين صاحبها. الجلاذ: القوية وأرادت غزيرات اللبن. نحس الشتاء: ريحه الباردة. صنابر الشتاء: شدة برده. البهارز: العظيمات. الرسل: اللبن، المرهفات: الدقيقات. القلوص: هي من الإبل كالجارية من النساء. التواجر: النافقة في التجارة. المشاش: رؤوس العظام. المهاريس: الشداد الثقال من الإبل. سباط المشافر: طويلتها.

إنه رجل جوادٌ، يرى البخل سبةً وعاراً، يكرم الضيف ويغيث الملهوف، ويبيت جاره قرير العين، ويضحى بخير وعافية، إذا ما صن اللئيم بالعطاء. تقول:

معاذ إلهي كان والله سيدياً جواداً على العلات جمأ نوافله
أغرَّ خفاجياً يرى البخل سبةً تحلَّب كفاه الندى وأنامله
وكان إذا ما الضيف أرغى بغيره لديه أتاه نيلاه وفواضله
وقد علم الجوع الذي بات سارياً على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنتك رحب الباع يا توب بالقرى إذا ما لئيم القوم ضاقت منازلهم
يبيت قرير العين من بات جاره ويضحى بخير ضيفه ومنازلهم⁽¹⁾

لقد غدا توبة في نظرها مثلاً للكرم، حتى أنه لا عيب عندها أن يلق المرء الموت وهو على هذه الحال:

لعمرك ما بالموت عاز على الفتى إذا ما الفتى لاقى الحمام كريماً⁽²⁾
وهو لا شبيه له في كرمه ونداه، حتى خلفاء بني أمية، وعلى رأسهم عبد الملك بن مروان، فنقول متعجبة:

أجعل مثل توبة في نداه أبا الذبان فوه الدهر دامي⁽³⁾

لقد أغضبت الشاعرة عبد الملك بن مروان بمبالغتها في نعت توبة بالكرم حتى أنه قال لها متعجباً: ماذا أبقيت لنا؟! فقالت: الذي أبقي الله لك. قال: وما ذاك؟ قالت: نسباً قرشياً، وعيشاً رضيعاً، وإمرة مطاعة. والذي أغضب الخليفة قولها:

(1) الأخيلية، الديوان (ص 97 - ص: 98).

(2) المصدر السابق (ص 111).

(3) المصدر نفسه (ص 113). أبو الذبان: كنية عبد الملك بن مروان؛ لشدة بخره، وموت الذباب إذا دنا منه.

ينظر: الأغاني (ج 11 / 231).

أريقت جفانُ ابن الخليع فأصبحت حياض الندى زالت بهنَّ المراتب

فَعَفَاتِهِ لَهْفَى يَطُوفُونَ حَوْلَهُ كَمَا انْقَضَ عَرْشُ الْبَيْرِ وَالْوَرْدُ عَاصِبٌ⁽¹⁾

وتربط بين الشجاعة والكرم في أوقات الشدة، فنقول:

ومصدرٍ حين يُعَيِّ القوم مصدرهم وجفنة عند نحس الكوكب الشبم⁽²⁾

وتربط بين الكرم والحياء فنقول:

كريمٌ يَغْضُ الطرفَ فرطَ حياءه وَيَدْنُو، وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ دَوَانِي⁽³⁾

ما أجمل أن تجتمع صفة الكرم بصفة الحياء عند شخص فارس همام، فلا يضمن على أحد، ولا يتبع كرمه مناً أو أذى، فهو كريم وقت يعز الكرم، وذلك حين يضيق الحال، ويعز الطعام، وهو أشد حياءً من الفتاة في خدرها، وأشرس من الأسد في عرينه.

لقد عاش توبة محمود السيرة، طيب الفعال، وصولاً للأقرباء، محبوباً بين قومه، غير مذموم الفعال، تقول:

فَعَاشَ حَمِيداً لَا ذَمِيماً فِعَالُهُ وَصُولاً لِقَرِيْبَاهُ يَرَى غَيْرَ كَالِحٍ⁽⁴⁾

وتقول:

أَبَى لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كَلَّمَا ذَكَرْتَ أَمْوَرَ مُحْكَمَاتٍ كَوَامِلُ

أَبَى لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كَلَّمَا ذَكَرْتَ سَمَاحَ حِينَ تَأْوِي الْأَرَامِلُ⁽⁵⁾

(1) الأخيلية الديوان (ص: 52). تريد أن توبة قد مات فأريقت جفانه، ومات الندى بموته. والخليع: من آباء

توبة. وكعب أحد هؤلاء الخلعاء من آباء توبة. العفاة: طالبو المعروف. اللهف: الحزن والتحسر.

(2) المصدر السابق (ص40). الشبم: البارد، عند نحس الكوكب الشبم: كناية عن الشتاء. وصفته بالشجاعة والكرم.

(3) المصدر نفسه (ص 119).

(4) المصدر نفسه (ص 62).

(5) المصدر نفسه (ص 94).

إن وصف الشاعرة لمحبوبيها بالكرم جاء متنوعاً وشاملاً بحيث نستخلص مما سبق أن كرم الشاعر وسماحته، شمل الأقارب والجيران والأرامل والضعفاء، وطارق الليل، وضال الطريق، مع إسراف في هذه الصفة التي يعتز بها العربي، فهو يجود في وقت يعزُّ فيه الجود، حين يحل الشتاء، ويشتد البرد، ويقل الرزق، ويبلغ بالناس الجهد والبلاء مبلغاً كبيراً، يجعل الإنفاق والجود أمراً عزيزاً، إلا أن توبة يجود بالسمان من الإبل بطيب نفس، وحسن في المعاملة، وطلاقة في الوجه، ولين في الحديث.

3- الرزانة والعقل والحياء:

ربما ترتبط صفة الرزانة والعقل بالمتقدمين في السن أكثر منها في الشباب، فالغالب على الشباب صفة الرعونة والطيش والتسرع، إلا أن الشاعرة تصف محبوبها بهذه الصفات تأكيداً منها على ذلك، فتبدو هذه الصفات حسنة، لأنها خالفت المألوف، فنقول:

أبى لك ذمّ الناس يا توب كلما ذكرت أمور محكمات كوامل⁽¹⁾

إنه فتى ساد قومه صغيراً، وأنّى له ذلك الشرف والسؤدد إن لم يكن على قدر كبير من العقل والرزانة وحسن التصرف، والرفق واللين، وبعد الهمة، تقول ليلي الأخيلية:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه فتى من عقيلٍ ساد غير مكأفٍ

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولا ينفكُ جمّ التصرفِ

ينال عليّات الأمور بهونةٍ إذا هي أعيت كل خرق مشرفِ

هو الذوبُ بل أرى الخلايا شبيهُه بدرياقة من خمر بيسان قرقف⁽²⁾

إن توبة ساد قومه صغيراً، فالسيادة تعني الزعامة والقيادة، والرزانة، والحلم وحسن التدبير، وسعة الأفق، وعلو الهمة، والفروسية والشجاعة، فترى الشاعرة أن محبوبها نال الشرف والسؤدد، وعليّات الأمور التي أعيت غيره من الناس، ثم تختم هذا الوصف بكلمة (العسل) وهي كلمة تعني مجمل الصفات الحسنة من طيب الحديث، ولين الجانب، وحسن الخلق، وغيرها من

(1) الأخيلية، الديوان (ص: 94).

(2) المرجع السابق (ص 90).

الصفات الجميلة الحسنة، فكلمة (عسل) صفة مجملة لكل جميل، بل إنها تتبالغ حين تجعل العسل شبيهه، ثم تصفه بأنه شبيه خمر بيسان، لبيان مدى تأثير محبوبها في الآخرين فهو يذهب بألبابهم لحسن أخلاقه، كما تذهب الخمر البيسانية بألباب شاربها، وتقول ليلي أيضاً:

أته المنايا حين تم تمامه وأقصر عنه كل قرن يطاوله⁽¹⁾

فقولها " تم تمامه" فلا يتم تمام الإنسان إلا إذا اجتمعت فيه صفة الرزانة والحياء وحسن الخلق، وبعد الهمة، والشجاعة والكرم والفروسية وغيرها من الصفات، فقولها أنه " تم تمامه" أصبح كاملاً لا نقيصة فيه، ثم أجملت ذلك بقولها أقصر عنه كل قرن يطاوله.
وتقول:

وكان كليث الغاب يحمي عرينه وترضى به أشباله وحلائله⁽²⁾

إنه مع شجاعته وغيرته على أهل بيته، حريص على إرضائهم، وما يكون ذلك إلا بطيب الحديث ولين الجانب، وبسط اليد، والحلم، والعطف.
وتقول:

غضوبٌ حلِيمٌ حين يُطلبُ حلمُه وسُمٌّ زعافٌ لا تُصابُ مقاتله⁽³⁾

إن توبة جمع بين الشدة والبأس والقوة، والحلم، فهو حلِيمٌ وقت يكون الحلم مطلوباً، وشديد في وقت الشدة، فالحلم عن قوة وليس عن ضعف.

وتوبة أشد حياء من الفتاة في خدرها، ولكن الحياء وقت يكون الحياء صفة مطلوبة ومرغوب فيها، وليس الحياء الناتج عن ضعف ولين جانب، بل إنه عن صفات تأصلت في الممدوح، فهو حيي وقت الحياء، مع جرأة وشجاعة تفوق شجاعة الأسود في أوكارها. تقول ليلي:

(1) الأخيلية، الديوان (ص 98).

(2) المرجع، السابق (ص 98).

(3) المرجع، نفسه (ص 98).

وتوبة أحياء من فتاة حيية
وأجرأ من ليث بخفان خادري⁽¹⁾
وتقول:

كريم يعض الطرف فضل حيائه
ويدنو وأطراف الرماح دواني⁽²⁾
4- العفة:

وتصفه بصفة أخرى وهي العفة، الصفة التي طالما افتخر بها الشعراء العرب في
جاهليتهم قبل إسلامهم. يقول عنتره:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتني
حتى يوارني جارتني مأواها
إني امرؤ سمح الخليفة ماجد
لا أتبع النفس اللجوج هواها⁽³⁾
ويقول عروة بن الورد:

وإن جارتني ألوت رياح ببيتها
تغافلت حتى يسنتر البيت جانبه⁽⁴⁾
وتقول ليلي الأخيلية في وصف توبة:

كريم يعض الطرف فضل حيائه
ويدنو وأطراف الرماح دواني⁽⁵⁾

فتوبة كان يحبها حباً عفيفاً طاهراً نقياً، فإذا كان عنتره بقوله السابق " يصور لنا المروءة
الجاهلية الكاملة، وهي مروءة طرزها حب عذري عفيف لابنة عمه عبله، وحقاً إن هذا الحب
إنما شاع في بوادي نجد في أثناء العصر الأموي، بسبب المعاني الروحية التي بثها الإسلام في

(1) الأخيلية، الديوان (ص 119).

(2) المرجع السابق (ص 80).

(3) ابن شداد، عنتره، الديوان (ص 208 - 209).

(4) ابن الورد، عروة، الديوان (ص 48).

(5) الأخيلية، الديوان (ص 119).

نفوس العرب، وهو لم يشع في الجاهلية، إنما ظهر عند بعض الأفراد الفرسان مثل عنتره؛ فقد كان يتسامى لا في خلقه فحسب؛ بل في حبه⁽¹⁾.

إذاً ليس غريباً على توبة الشاعر الفارس الذي تربي على موائد الإسلام أن يكون عفيفاً طاهراً نقياً لا يتبع نفسه هواها، بل يحفظ لمن يحب قدرها، ويصون عفتها وشرفها، ويعف عما يسوؤها.

لقد جمع البيت السابق أجمل الصفات التي يمكن أن تجتمع لأحد، فهو يجمع بين الكرم والحياء والعفة ولين الجانب من غير ضعف ولا خوف، وهذا ما أوضحتها الشاعرة في التالي للبيت السابق حين تقول:

وكالسَّيفِ إنْ لا يَنْتَه لَانِ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ - إنْ خَاشَنَتَهُ - خَشْنَانِ⁽²⁾

لقد كان توبة يحب ليلي حياً عفيفاً، طاهراً نقياً، ويكتفي منها بالحديث، دون الرؤية، وهو يصرح بذلك صراحة في شعره، وذلك أنه كلما زار ليلي يجدها سائرة لوجهها، وحتى أنه ارتاب من سفورها حين أسفرت عن وجهها، في القصة المشهورة بينهما، يقول في ذلك:

وأشرف بالقوز اليفاع لعني أرى نار ليلي أو يراني بصيرها
وكنت إذا ما جئت ليلي تيرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها
عليّ دماء البدن إن كان بعلها يرى لي ذنباً غير أني أزورها
وأنى إذا ما زرتها قلت يا اسلمي وما كان في قولي اسلمي ما يضيرها⁽³⁾

وتصف خيرة أم ضيغم البلوية عفة محبوبها بقولها:

ونصدر عن أمر العفاف وربما نقعنا غليل النفس بالرشفان⁽⁴⁾

(1) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي (ص 373).

(2) الأخيلية، الديوان (ص 119).

(3) المرجع السابق (ص 97). الغوائل: الأمور المنكرة.

(4) ينظر: الأصفهاني، الأغاني (ج11/ 195).

فالعفة عند المرأة والرجل أمر شائع في أدب العرب، وهي صفة مستحبة تحرص عليها المرأة والرجل.

وتقول ليلى الأخيلية في موضع آخر:

عفيفاً بعيد الهمّ صلباً قنّاتُهُ جميلاً مُحَيَّاه قليلاً غوانئُهُ (1)

5- الفصاحة:

وحتى تكتمل الصورة، للمحبوب الفارس الشجاع الكريم العفيف لين الجانب، لا بد من ذكر صفة لا بد منها ألا وهي صفة الفصاحة والبيان. تقول ليلى الأخيلية في وصف توبة:

وقد كان طلاع النجاد وبينّ اللسان ومدلاج السُّرى غيرُ فاترٍ (2)

6- الأصالة وعراقة النسب:

لطالما افتخرت العرب بأنسابها إثباتاً لأصالتها وعراقتها، وشرفها، وليلى الأخيلية تتبع نسب محبوبها من القريب للبعيد، مبيّنة شرف النسب، وعراقة الأصل الذي يجمعها به فتقول:

جزى الله خيراً والجزاء بكفّهُ فتى من عقيل ساد غير مكأفٍ (3)

وتمضي من عقيل إلى الجد الأقرب (خفاجة) فتقول:

أغرّ خفاجياً يرى البخل سبّةً تحلب كفّاه الندى وأناملُهُ (4)

ثم بعد ذلك تصعد به إلى الجد الأعلى فتقول:

يا عين بكّي بدمعٍ دائم السّجَم وأبكي لتوبة عند الرّوع والبُهم

على فتى من بني سعدٍ فُجعتُ به ماذا أُجنّ به في الحفرة الرّجَم (5)

(1) الأصفهاني، الأغاني (ج11/198).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 194).

(3) الأخيلية، الديوان (ص 83).

(4) المرجع السابق (ص 90).

(5) المرجع نفسه (ص 97).

لقد جعلت الشاعرة من محبوبها أنموذجاً فريداً من نوعه، حرصت على نعتة بكل صفة معنوية تحبها المرأة كالشجاعة والإقدام والجرأة والكرم ولين الجانب وحسن الجوار، وصحة النسب، مع العفة والحياء، والترفع عن صغائر الأمور ورذائلها وابتعدت الشاعرة عن الصفات الحسية، وذلك لكونها امرأة عاصرت الصحابة والتابعين، فتمكن الدين منها، فهذب نفسها، مع ما تحمله المرأة من قيم وأخلاق سامية، ممزوجة بعفة وطهارة ونقاء نفس، ونبل غاية، وحرص على السمعة.

لذا نجدها تستنكر ضعف المحبوب وعدم قدرته على كتم هواه، والبوح به مما يعرضها إلى حديث الناس، تقول ليلي العامرية:

لم يكن المجنون في حالة
لكنه باح بسرّ الهوى
إلا وقد كنت كما كانا
وإنني قد ذبت كتماناً⁽¹⁾

إنها تلوم المحبوب على البوح بحبه وعدم كتمانها وهو الرجل القوي، واستطاعت هي كتمان حبها، وهي المرأة الضعيفة، ولكن الموانع عندها أكبر وأقوى، لأنها المتأذية الأولى. وتقول في موضع آخر:

باح مجنون عامر بهواه
فإذا كان في القيامة نودي
وكتمت الهوى فمت بوجدي
من قتل الهوى تقدمت وحدي⁽²⁾

والحقيقة أن المرأة أقدر من الرجل على الكتمان، والأسباب عند المرأة عديدة سبق الحديث عنها وهي الخوف من الأهل، الحرص على الشرف والعفة، والسمعة والسيرة الحسنة، وخشية العار، إلى غير ذلك من الأسباب، ولكن لأسماء صاحبة جعد أسباب أخرى، حيث تقول:

كتمت الهوى أني رأيتك جازعاً
فإن تطرحني أو تقول فتية
فقلت فتى بغد الصديق يريد
يضربها بـرح الهوى فتعود

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 158).

(2) المرجع السابق (ص 158).

فوديت عمّا بي وفي الكبد والحشا من الوجدِ برح فاعلمنّ شديد⁽¹⁾

ب-الصفات الحسيّة:

بعد تتبع شعر النساء الجاهليات والإسلاميات، لم أجد حرصاً منهن على ذكر صفات حسية للمحبوب، إلا بعض الأشعار المتفرقة، وربما ذلك يرجع إلى طبيعة المرأة العربية، وتقاليد المجتمع الجاهلي والإسلامي.

لذا سأعرض لبعض الصفات الحسية التي ذكرتها بعض النساء بجرأة غير معهودة مثل ما قالتها خيرة أم ضيغم البلوية التي عشقت ابن عم لها، فدرى أهلها بمحبوبها، فقالت:

فما نطفة من ماء بهمين عذبة تمتع من أيدي السقاة أرومها

بأطيب من فيه لو أنك ذقته إذا ليلّة أسحت وغاب نجومها⁽²⁾

ففي جرأة من الشاعرة نجدها تصرّح على غير عادة الشواعر العربيات بل والشعراء العذريين، فنقول إن ريق المحبوب أطيب من ماء بهمين.

وتقول عاتكة المريّة:

وما طعم ماء أي ماء تقوله تحدرّ عن غر طوال الذوائب

بمنعرج من بطن وادٍ تقابلت عليه رياح الصيف من كلّ جانب

نفث جريئة الماء القذى عن متونه فما إن به عيبٌ تراه لشارب

بأطيب ممن يقصر الطرف دونه تقى الله واستحياءً بعض العواقب⁽³⁾

ونجد شاعرة أخرى من الإسلاميات تعدد بعض الصفات التي تعشقها المرأة في الرجل وهي الشباب، وجمال الوجه، ولطافة الحشا، فتقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 192).

(2) المرجع السابق (ص 194)، ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 197).

(3) المرجع نفسه (ص 201).

تطاول هذا الليلُ تسري كواكبه
فوالله لولا الله لا شيءٌ غيره
وبت ألهي غير بدعٍ ملعينِ
يلاعبني طوراً وطوراً كأنما
يسرُّ به من كان يلهو بقربه
وأرقني أن لا خليلُ ألعبه
لرحح من هذا السريرِ جوانبه
لطيفِ الحشا لا يجتويه صاحبه
بدا قمرٌ في ظلمة الليل حاجبه
يعاتبني في حبه وأعابه⁽¹⁾

وربما تكون المرأة أحياناً أكثر جرأة من الرجل، فتذكر من الصفات الحسية، ما لم يجرؤ هو على ذكرها، مثل قول أم الورد العجلانية في وصف ما خفي من صفات الرجل:

رب غلام قد صرى في فقرته
ماء الشباب، عنفوان شدته
يمشي بعرد قد دنا من ركبته
أقعس لا من أود في خلقته
انعظ حتى اشتد سم فقحته
وارتفعت خصيته في عانته
وقربت عانته من سرته
وانقلب جلدُه أعلى فروته
فهو إذا نضضه لدفعته
ينشب في المسلك عند رهزته
تعايس الضب عصا في كديته⁽²⁾

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 179).

(2) المرزباني، أشعار النساء (ص 76).

مثل هذا الشعر ينذر وجوده في شعر الرجل، حيث لا يتعدى في غزله الحسي الأجزاء الظاهرة من جسد المرأة، أما المرأة فقد تصل إلى أبعد درجات الفحش في غزلها الجنسي، وأوصافها الحسية⁽¹⁾.

كما فعلت أم الضحاك المحاربية حين تحدثت عن علاج الحب بقولها:

شفاء الحبّ تقبيلٌ وضمٌّ وجرُّ بالبطنِ على البطنِ
ورهُزُّ تذرفُ العينانِ منه وأخذُ بالذوائبِ والقرون⁽²⁾

ومهما يكن فإن المرأة الشاعرة لم تكثر من التعرض لصفات المحبوب الحسية، وأكثرت من التغني بصفاته المعنوية، التي أحببتها وعشقتها والتي سبق الحديث عنها وهي صفات تحرص المرأة عامة على وجودها في الرجل سواء كان محبوباً، أم زوجاً، أو حتى أباً، وأخاً، وابنأً، وقريباً.

(1) ينظر: أبو علي، شاعرات عصر الإسلام الأول (ص 136).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 65).

الفصل الثالث

آفاق الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

المبحث الأول: الآخر القدوة

(الرسول صلى الله عليه وسلم)

أحب الصحابة رضوان الله عليهم _ النبي صلى الله عليه وسلم، وأحبوه حبا عظيما، حبا يفوق حبهم لأبنائهم وآبائهم وزوجاتهم، وحتى من أنفسهم فشخصية النبي صلى الله عليه وسلم _ ليست كباقي الشخصيات التي عرفها التاريخ، فقد أحاطت هالة من القداسة المنبعثة من المهمة التي أوكلت إليه، من ربه حيث التكليف بالتبليغ والدعوة لدين الله، والوحي الذي كان ينزل عليه، والأخلاق العظيمة التي خصه الله بها، وغرسها فيه، لذلك تعلق الصحابة به تعلقا كبيرا، والصحابيات جزء من المجتمع ، لذلك تجد فيه أشعارهن صور عديدة للنبي (صلى الله عليه وسلم) وخصوصا بعد وفاته تقول صفية بنت عبد المطلب:

عين جودي بدمعة وسهود واندي خير هالك مفقود

فاقدم كان بالعباد رؤوفا ولهم رحمة وخير رشيد

رضى الله عنه حيا وميتا وجزاه الجنان يوم الخلود (1)

الشاعرة هنا تصف النبي (صلى الله عليه وسلم) بصفات لا شك فيها ولكنها ذكرتها على سبيل التابين، والعزاء لنفسها، فهو خير الخلق أجمعين الذين احترمهم الموت، وكلمة (خير) كلمة جامعة لكان حسن جميل من الصفات وهو الرؤوف الرحيم بالعباد، الذي كان يرشدهم إلى الخير ن ثم تدعو له بالرضا من الله، والفوز بالجنان عند الرحمن.

وفي صورة أخرى، تبين عظيم عطفه، ورحمته، وشفقته على النساء والأطفال والشيوخ، وابناء السبيل، لذلك حق لهم أن يبكوه، لأن مصابهم به جلال تقول:

لتبكيك شمطاء مضرورة إذا حجب الناس لا تحجب

ويبكيك ركب إذا أرملوا فلم يلف ما طلب الطلب

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/ص330) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص91).

وتبكي الأباطح من فقدته وتبكيه مكمه والاخشاب (1)

وتعدد عاتكه بنت عبد المطلب الصفات المعنوية للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو شريف النسب، عريف الأصل، زاهد تقي، طاهر نقي، عادل بار، من المصطفين الأخيار رحيمًا بالمؤمنين، تقول:

أعيني جودا بالدموع السواجم على المصطفى بالنور من آل هاشم
على الطاهر الميمون ذي الحلم والندى وذو الفضل والداعي لخير التراحم
وسما عليه وابكيا ما بكيتما على المرتضى للحكمات العزائم
على المرتضى للبر والعدل والتقي وللدين والاسلام بعد المظالم (2)

وتتحدث أروى بنت عبدالمطلب، عن صلته لأرحامه، وبره بهم ، رحيمًا لهم، رؤوفا عطوفا، غير جاف ولا غليظ، وهذا ليس غريبا عليه، لأنه النبي (صلى الله عليه وسلم). تقول:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت بنا رؤوفا رحيمًا نبيا لبيك عليك اليوم من كان باكيا (3)

ما زالت صفة الرحمة حاضرة في أشعار النساء، اللواتي وصفن النبي (صلى الله عليه وسلم) وذلك ليقين وقر في قلوبهن، من خلال معاملته لأصحابه وغيرهم، ويكفي شاهدا على ذلك ما حدث يوم الفتح " وذلك أنه حين دخل مكة عنوه وقد قتلوا أعمامه ،وبني أعمامه، وأولياءه، وقادة أنصاره بعد أن حصروه في الشعاب وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب، وجرحوه في بدنه، وبذوه في نفسه، وسفهاوا عليه وأجمعوا على كيدته، فلما دخلها بغير حمدهم، وظهر عليهم

(1) الحياي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص89)

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/ص327) والحياي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص126)

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/ص225) والحياي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص12)

على "ضغن منهم، قام فيهم خطيبا فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أقول كما قال أخي يوسف:
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " (1)

وتبكي عاتكه بحرقه على النبي (صلى الله عليه وسلم) معددة ناقبة، فهو خير الخلق
أجمعين، وهو النور المنير للعباد، الهادي المهدي، الراشد المرش، يفك العاني، ويعطي ذي
الحاجة، وهذا غاية الكرم، وهو الذي كان ينزل عليه الوحي، وهذا شرف عظيم، نقول:

يا عين جودي ما بقيت بعبرة سحا على خير البرية أحمد
يا عين فاحتقلي وسهي واسجمي وابكي على نور البلاد محمد
إنى لك الويلات مثل محمد في كل نائبة تنوب ومشهد
فابكي المبارك والموفق ذا التقى حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد
من ذا يفك عن المغل غله بعد المغيب في الضرح الملحد
أم من لـوحي الله ينزل بيننا في كل مسمى ليلة أو في غد (2)

وتختم عاتكة مقطوعتها الشعرية بالدعاء بالرحمة لمن اجتمعت فيه الفواضل والندى
والسؤدد، فنقول:

فعليك رحمة ربنا وسلامه ياذا الفواضل والندى والسؤدد (3)

وكفاه شرف أن خصه الله بتبليغ رسالته، وانزل عليه كتابه وجعله خاتم الأنبياء، وجعله
نقيا تقيا، مصون العرض، طاهر الثوب، صادق القول، رؤوف بالعباد، رحيم بهم، مطهر من
كل رجس، أبواب إلى ربه، من أجل هذه المناقب، تستهجن الشاعر ندب أحد بعده، فنقول:

(1) الجاحظ، البيان والتبيين (ج2/21)

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/226) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص123)

(3) النويري، نهاية الادب (ج18/406)

عـين جـودي بـدمع تـسكاب	لـلنـبـي المـطـهـر الأواب
وانـدبـي المـصـطـفـى فـعمـى وخصـي	بـدمـوع غـزيرـة الإسـراب
عـين مـن تـتـدبـين بـعد النـبـي	خصـه الله ربنـا بالـكتـاب
فـاتـح خـاتم رؤـوف رحـيم	صـادق القـيـل طـيب الاثـواب
رحمـة الله والسـلام عـليه	وجـزاه المـليـك حـسن الثـواب (1)

وتشكو أروى بنت عبد المطلب من أن موت النبي (صلى الله عليه وسلم)، زلزل أركانها، وهد بنينها، وشيب شعرها، لذلك نجد الشاعرة حزينة، تود من عينيها البكاء، مستغربة ممن يلومها على حزنها، فالمفقود ليس كمثلها أحد، والمصاب فيه جلك، تقول:

ألا يا عين ويحك واسعديني	بدمعك ما بقيت وطاوعيني
ألا يا عين ويحك واستهلي	على نور البلاد واسعديني
فإن عدلتك عاذلة فقولي	علام وفيم ويحك تعذليني؟
على نور البلاد معا جميعا	رسول الله أحمد فاتركيني
فإني لا تقصري بالعدل عني	فلومي ما بدا لك أو دعيني
لأمر هـدني واذل ركني	وشيب بعد جدتها قروني (2)

فالشاعرة تجري حوارا مع عينيها فتحثها على البكاء، لأن المصيبة عظيمة، والقلب محزون، فلا تلتفت للعدال الذين لاموها على بكائها.

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/329) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص88) والنويري، نهاية الادب (ج18/405)
(2) والنويري، نهاية الادب (ج18/405)

ومثلها عاتكة بنت عبدالمطلب، والتي تخاطب عينيها، وتأمرها بالبكاء على النبي،
العادل، المصطفى من عباد الله، الذي أنار لهم ظلمات الجهل، والكفر بنور الإيمان، الذي
خصه الله به، فنقول:

عيني جودا طوال الدهر وانهمرا سكباً وسحاً بدمع غير تقدير
يا عين فاسحفري بالدمع واحتفلي حتى الممات بسجل غير منزور
يا عين وانهملي بالدمع واجتهدي للمصطفى دون خلق الله بالنور
بمستهل من الشؤبوب ذي سبل فقد رزئت نبي العدل والخير (1)

وهناك بعض الشواعر بكين لأسباب أخرى، فالمصيبة عند هند بنت أثاة عظيمة
جليلة، ولكنها ليست مصيبة بأقارب النبي وخاصته ولكنها عامة لكل الناس، من أجل هذا
تطلب الشاعرة من فاطمة رضى الله عنها الصبر وعدم البكاء، لأن بكاءها أشاب رأسها،
وقوض أركانها، وهذا يظهر بجلاء محبة النساء الصحابة لآل بيت رسول الله فكيف بحبهم
لنبيهم عليه السلام، نقول:

أشاب ذوائبي وأذاب ركني بكأوك فاطم المييت الفقيدا
أفاطم فاصبري فلقد أصابت رزيتك التهائم والنجودا
وأهل البر والبحار طرا فلم تخطئ مصيبتته وحيدا (2)

ولكن الشاعرة تمدح النبي بصفات عديدة، على طريقة شواعر الجاهلية، فهو الملاذ
والمأوى الذي يحوطهم ويرعاهم، ويقوم على شؤونهم ويطعمهم في أوقات الشتاء، حين يعز
الطعام، وهو فارس شجاع كريم لأبائهم والجدود، يعطي بكرم وجود، دون أن يكدر عطاءه بالمن
والأذى، نقول:

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/326) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص124)

(2) والنويري، نهاية الادب (ج18/406)

فأعطيت العطاء فلم تكدر
وأخدمت الولائد والعبيدا
وكنت ملاذنا في كل كرب
إذا هبت شامية برودا
وإتك خير من ركب المظايا
وأكرمهم إذا نسبوا جدودا
رسول الله فارقنا وكنا
نرجي أن يكون لنا خلودا
وكان الخير يصبح في دراه
سعيد الجد قد ولد السعدوا (1)

وتتمنى أروى بنت عبدالمطلب لو انها افتدت النبي (صلى الله عليه وسلم) بنفسها وأمها
وخالتها وخالها وعمها، واصفة أياه بالصبر والصدق وتبليغ الرسالة، وإقامة الدين، حتى أنار به
ظلمة الجهل والكفر للبشرية جمعاء، وتختم بالدعاء له بجنات عدن، تقول

فدا لرسول الله أمي وخالتي
وعمي ونفسي قصرة ثم خاليا
صبرت وبلغت الرسالة صادقا
وقمت صليب الدين أبلج صافيا
عليك من الله السلام تحية
وأدخلت جنات من العدن راضيا (2)

إنها تبكيه لأنها تعلم أنه عصمة لامته من الخلاف، والفرقة التي قد تذهب بقوتهم،
ويطمع فيهم عدوهم، فتسيل دماء صانها الله وحرمها، وتقطع أرحام أمر الله بوصلها، وتتفرق
جماعة المسلمين تقول:

لعمرك ما أبكي النبي لموته
ويكن لهرج كان بعدم آتيا
كان على قلبي لذكر محمد
وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد
على جدث امسى بيثرب تاويا (3)

(1) والنويري، نهاية الادب (ج18/406)

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/326) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص12)

(3) الحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص12)

وتصور فاطمة (رضى الله عنها) عظم المصيبة التي حلت بالأمة عامة، وبها خاصة، فهي لشدة مصيبتها، ترى كل شيء كثيباً حزيناً، والأرض مضطربة غير ساكنة والنهار أظلم بعد أن كان منيراً، لذلك تطالب الجزيرة كلها ببكائه، فتذكر اليمن ومضر، والشرق والغرب، والطور والبيت العتيق، أنها تريد أن يشاركها الجميع في مصيبتها، لأنها مصيبة عامة مست كل المسلمين، وحزن الشاعرة ضغى عليها، حتى أنها يخيل لها حدوث هذه التغيرات الكونية، تقول:

اغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار واطلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبة أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربه ويبكه مضر وكل يماني
وليبكه الطور المعظم جوه والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه صلى عليك منزل الفرقان (1)

لقد اشركت السيدة فاطمة رضى الله عنها، الطبيعة في حزنها، تنفيساً عما يعتصرها من حزن، وما يستقر بصدرها من حرقة، ولوعة واسى، وهذا مرده إلى سببين هما: فقدتها لوالدها، وأن هذا الوالد سيد الخلق أجمعين، لذلك أتت بصورة تتناسب مع حالتها النفسية الحزينة التي تعاني منها، فالصورة لونت بالسواد والشحوب وهو دليل على حزنها، وبعد تغير صورة السماء ولونها المعتادين، شاركت الأرض باضطرابها، وكثرة رجفانها، ثم أوجبت على الناس البكاء وهذا هو الشعور العام بالحزن والمصيبة.

ومن شعر فاطمة رضى الله عنها، أبيات تظهر عاطفة الشاعرة جلية واضحة ففقد الوالد جعلها تشعر أن الأرض قد ضاقت بما رحبت، وأورثها حزناً وألماً وخوفاً على ابنها من العناء والتعب، ومكابدة أهوال الحياة، لذلك نجد الشاعرة تتمنى لو أنها ماتت قبله، ولم تتجرع ألم فراقه، ولم تشهد يوم وفاته، فالمصيبة عظيمة، لم يصيب بها أحد من العرب والعجم.

(1) النويري، نهاية الادب (ج403/18)، التادلي، الحماسة المغربية، (ج785/2) ابن رشيق، العمدة (ج153/2)

وهي مع ما بها من حزن تصفه بصفات عديدة، فهو خير الخلق، وأصدق الناس، وكذلك هو عريق النسب، طيب السجايا، خصه الله برسالته، ووحيه بجبريل عليه السلام، لذلك هي حزينة بفقد الأب، والنبى، وانقطاع الوحي، تقول:

قد رزينا به محضا خليقته
وكان جبريل روح القدس زائرنا
فليت قبلك كان الموت صادفنا
إننا رزينا عالم يزر ذو شجن
ضاقت علي بلاد بعد ما رحبت
فأنت والله خير الخلق كلهم
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت
صافي الضرائب والأعراق والنسب
مغاب عنا وكل الخبر محتجب
لما مضيت وحالت دونك الحجب
من البرية لا عجم ولا عرب
وسيم سبطاك خسفا فيه لي نصب
وأصدق الناس حيث الصدق والكذب
منا العيون بتمهال لها سكب (1)

وفي أبيات أخرى نجدها حزينة، كسيرة الجناح، تخشى من الظلم والجور بعد وفات النبي، فالأبيات " تقطر أسى وحرنا، وتتفجر عاطفة ولوعه، فكل بيت فيها يقطر دما بل دما، فالحزن يجري في قلبها وفؤادها، ويتمثل في حركاتها وسكناتها، بل في كل بيت من أبيات قصيدتها " (2)
تقول:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى
حببت علي مصائب لو أنها
إن كنت تسمع صرختي وندائيا
حببت على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذات حمى بظل محمد
لأخشى من ضيم وكان جماليا

(1) الحيايى، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص169).

(2) العاني، دراسات في الادب الاسلامي (ص146).

فاليوم أخشع للذليل وأتقى
ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
فإذا بكت قمرية في ليها
شجنا على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي
ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شم تربة أحمد
أن لا يشم مدى الزمان غواليا ؟ (1)

مما سبق ذكره من شواهد شعرية، يمكن القول أن وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) كان لها وقع أليم على الصحابة والصحابيات، لذلك نجد شواعر الإسلام يبكيه بكاء حارا، ويعددن مناقبه، وصفاته التي خصه الله بها ، والصفات العامة التي يشترك فيها الناس، مع تفاوت بينهم، فالنبي ليس كمثل أحد، فهو النبي، الذي خصه الله بالرسالة، وأنزل عليه الملائكة والوحي، وهو الحليم الكريم، الصادق الأمين، الودود الرحيم، التقي النقي، الطاهر الميمون، خير الخلق كلهم.

(1) الحياي، ديوان أشعار النساء في صدر الاسلام (ص175-ص176)

المبحث الثاني: الآخر الديني

أولاً: المسلمون:

جاء الدين الاسلامي، فهدب النفوس، وغير الطباع، "وأصبح الناس في دين الله اخوانا، فأخذ الشعر يصدر عن روح الجماعة الإسلامية، التي كادت تذوب داخلها القبليات والنعرات الجاهلية، وأصبح التفاخر بالشجاعة والتفاني في الجهاد في سبيل الله، بعد أن كانت مسخرة لحماية القبيلة، وأصبحت الشواعر يندبن ويبيكين شهداء العقيدة الاسلامية، أما بدافع الروابط الأسرية، أو كونهم من إخوة الإسلام". (1)

وهذا لا يعني أن شعر المرأة في صدر الإسلام كان مقتصرًا على غرض واحد هو الرثاء، بل كان هناك أغراض أخرى شكلت من خلالها شواعر المسلمين صورة واضحة للآخر المسلم.

بيد أن عصر صدر الإسلام كان عصر حروب متتابعة منذ مجيء الدعوة، فغزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) وحروب الردة، والفتوحات الإسلامية، والفتن المتلاحقة، جعلت الكثير من الصحابة يرتقون شهداء في سبيل الله، وهذا الأمر جعل شواعر الإسلام يسارعن إلى رثاء الشهداء رثاء خاليا من النياحة، والتفجع، في حين طغت عليه الروح الدينية، والقيم الإسلامية، التي غرسها الإسلام في نفوس الشواعر المسلمات، "فدور المرأة منذ بداية الدعوة الإسلامية واضح في الأحداث السياسية وفي الوقائع الحربية... فقد كان منهن المناصرات للإسلام والمسلمين، وقد كان منهن وقفن في وجهة يهجون المسلمين". (2)

ولكن المرأة المسلمة تظل امرأة، لها مشاعرها، وأحاسيسها التي قد لا تتمكن من السيطرة عليها، فتطلق لسانها العنان ليفصح عما يخالج صدرها، ويعتصر قلبها ويؤرق عينها، سواء كانت أما، أو زوجة، أو أختا، أو بنتا، وخصوصا في المراحل الأولى من الدعوة الإسلامية، حيث إن كثيرا من الشواعر كن حديثات عهد بالإسلام، ومثال هذا النوع من الشواعر نعم بنت سعيد التي استشهد زوجها شماس بن عثمان يوم أحد فقالت ترثيه:

يا عين جودي بفيض غير ابساس
على كريم من الفتيان أباس

(1) السوداني، أدب المرأة من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري (ص72)

(2) الشوري، شعر الرثاء في صدر الإسلام (ص96)

صعب البديهة ميمون نقيبته
 حمال الوية ركاب أفراس
 أقول لما أتى الناعي له جزعا
 أودى الجواد وودى المطعم الكاسي
 وقلت لما خلت منه مجالسه
 لا يبعد الله عنا قرب شماس (1)

الإسلام في الشاعرة، وهذا ما فطن له أخوها أبو الحكم بن سعيد، فأخذ يعزيها ويخفف عنها، ويذكرها بالصبر على ما أصابها، وأن زوجها قد استشهد في سبيل الله، وطاعته كغيره من المسلمين، ولها في حمزة العزاء والتسلية. (2) فيقول

أفني حياءك في ستر وفي كرم
 فإنما كان شماس من الناس
 لا تقتلي النفس إذ حانت منيته
 في طاعة الله يوم الروع والباس
 قد كان حمزة ليث الله فاصطبري
 فذاق يومئذ من كأس شماس (3)

ومثل هذا نجد في قول حبله بنت منصور ترثي اخاها الاجلع بن منصوب حيث تقول:

ألا فبابي أخوا ثقاة
 فقعد والله ابكيننا
 لقتل الماجد القمقا
 م لا مثل له فينا
 أتانا اليوم مقتله
 فقعد جزت توأصينا
 كـريم ماجد الديـ
 ن يشفي من أعاديننا (4)

فالشاعرة على الرغم من أنها مسلمة إلا أنها ترثي رثاء أقرب إلى رثاء المرأة الجاهلية، حيث أن الإسلام حرم جز الشعر، وحلقه، ولطم الوجه، وشق الجيب، والنياحة، فالأجلع في

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (ج3/ص93-ص94) ويموت، شاعرات العرب (ص126).

(2) الشوري / شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص46).

(3) ابن هشام، السيرة النبوية (ج3/ص94).

(4) المنقري، وقعة حنين (ص178).

نظرها، سيد ماجد لا يشابهه أحد من أقرانه فارس كريم شريف النسب، يشفي النفس من الأعداء، لذلك أصابها فقده بالهلع والحزن مبكته.

فريما أرادت الشاعرة بجز النواصي، أن الذل لحقها وقومها بعدة، فهو الذي يحامي عنها وعنهم، وقد كان من عادة العرب جز النواصي أعدائهم أذلالا لهم وبذلك تكون أبتعدت عن الرثاء الجاهلي المرذول، ولكنها ظلت تدور حول الصفات التي وصفت بها المرأة الجاهلية أخاها، من شجاعة وكرم وشرف نسب، والأمانة والحياء وغيرها.

وتبكي هند بنت أثاثة بكاء جاهليا، فيه تفجع ولهفة، حيث رثت زوجها عبيدة بن الحارث بن المطلب، الذي استشهد يوم بدر بمكان يسنى الصفراء _ وتصفه وصفا معنويا معددة مناقبة وفضائله، التي ذهبت بذهابه، وماتت بموته فتقول:

قد ضمن الصفراء مجدا وسؤدا	وحلما أصيلا وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة	وأرملة تهوي لأشعث كالجدل
وبكيه للأقوام في كل شتوة	إذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفـزف	وتشبيب قدر طالما ازيدت تغلي
فإن تصبح النيران قدما ن ضوعها	فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليك او لملمتمس القرى	ومستنجح أضحي لديه على رسل (1)

إنها تصفه بالمجد والسيادة، والحلم ورجاحة العقل، والكرم، والشفقة عل الأرامل والأيتام، في الشتاء وغيره، وإذكائه للنار، وأنه كان ملجأ الغرباء والضعفاء والطارقين باليل، وكلها صفات حرص نساء الجاهلية على ذكرها في شعرهن.

تكاد النماذج السابقة تخلو من الصور التي أوجدها الدين الإسلامي بتعاليمه ومنهجه وعقيدته، وما تركه من أثر في نفوس أبنائه من شعراء وشواعر لكننا نجد عند شاعر آخر مثل قول صافية بنت عبدالمطلب في أخيها حمزة:

(1) يموت شاعرات العرب (ص133).

أسائله اصحاب احد مخافة
فقال الخبير أن حكمة قد ثوى
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي
فوالله لأنسك ما هيت الصبا
على أسد الله الذي كان مدرها
فياليت شلوي عند ذاك وأعظمي
أقول وقد العى النعي عشيرتي
بنات أبي من أعجم وخبير
وزير رسول الله خير وزير
إلى جنة يحيا بها وسرور
لحمزة يوم الحشر خير مصير
بكاء وحزنا محضري ومسيري
يذود على الإسلام كل كفور
لدى أضبع تعادني ونسور
جزى الله خيرا من أخ ونصير (1)

الشاعرة حزينة، مكلومة، مفجوعة بفقد أخيها، وأن الحزن رفيقها في حلها وترحالها،
وتظل امرأة لها أحاسيسها ومشاعرها التي قد تفقدها السيطرة على انفعالاتها، فتنمى لو أنها
اكلتها الوحوش وجوارح الطير قبل تعرف بموت أخيها، إلا أننا نلمس في هذه الأبيات ظاهرة
جديدة بدأت تظهر في شعرها وشعر غيرها ممن جاء بعدها، مثل الصبر على قضاء الله والفوز
بالجنة، ورضى الله، وطاعة الله، وتلبية ندائه، والذود عن حمى الإسلام وغيره، وهذا يظهر في
قولها:

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي
وقولها:

على أسد الله الذي كان مدرها
وتقول سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية:

(1) يموت شاعرات العرب (ص116).

صلى الإله على جسم تضحنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي بد بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا (1)

فالمعاني التي اشتمل عليها البيتان مستمرة من الروح الإسلامية التي غرسها الدين في نفس الشاعرة وآمنت بها، فهي تدعو له بالرحمة، فقد كان في صف الدين، مناصرا له، لا يحيد عنه، حتى غدا مثالا طاهرا للإيمان الصادق.

وتقول عاتكة بنت زيد مخاطبة ابن جرموز الذي قتل الزبير بن العوام:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير مغرد

يا عمكرو لو نبهته لوجدته لا طائشا وعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يا ابن فقح القرد

فاذهب مما ظفرت يداك بمثله فيمن قضى ممن يروح ويغتدي

إن الزبير لذو بلاء صادق سمح شجيبته كريم المشهد

هبتك أمك أن قتلت لمسلما حقت عليك عقوبة المتعمد (2)

فالشاعرة مع ما ذكرته من صفات حسنة للزبير، فإنها تخاطب القاتل قائلة:

إن الذي أقدمت على قتله رجل مسلم، وبذلك حقت عليك عقوبة الله سبحانه وتعالى. ومثله قول زينب بنت العوام فالشاعرة بعد أن تعدد الصفات والمناقب في الزبير من كرم وجود، وشجاعة، وكفالة الأيتام، فإنها تتساءل مستهجنة كيف سولت لكم أنفسكم قتل حوارى النبي وصهره، وصاحبه، أما وقد فعلتم فأبشروا بعذاب الله وسخطه، تقول:

أعيني جودا بالدموع فأشعرا على رجل طلق اليدين كريم

(1) يموت، شاعرات العرب (ص186).

(2) المرجع السابق، (ص169).

زبير وعبدالله يدعي لحادث وذي خلة منا وحمل يتيم

قتلتم حواري النبي وصهره وصاحبه فاسبشروا بجحيم (1)

وتبالغ الشاعرة في رثاء عثمان بن عفان فتقول:

وقد هدني قتل ابن عفان قبله وجادات عليه عبرتي بسجوم

وأيقنت أن الدين أصبح مدبرا فماذا تصلي بعده وتصومي

وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما أصيب ابن أروى وابن أم حكيم (2)

فالشاعرة رأّت أن فقد الزبير وعثمان رضى الله عنهما، قد فتك في عضد دولة الإسلام، وتتساءل عن حال الدين بعدهما وهي هنا تبدو قلقه على مستقبل الدين الإسلامي، وقد إذا المسلم يقتل أخاه في فتنة عظيمة، سواد كقطع الليل المظلم.

وبكت خزانة بنت خالد (3) شهداء القادسية في حرب المسلمين ضد الفرس فقالت:

فيا عين جودي بالدموع السواجم فقد شرعت فينا سيوف الأعاجم

فكم من حسام في الحروب وذابل وطرف كमित اللوت صافي الدعائم

حزنا على سعد وعمرو ومالك وسعد مبيد الجيش قتل الغمام

هم فتية غر الوجوه أعزة ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم (4)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص171).

(2) المرجع السابق (ص171).

(3) خزانة بنت خالد: وهي خزانة بنت خالد بن جعفر بن قرطه شاعرة حضرت فتوح العراق التي قادها سعد بن أبي وقاص. ينظر: ينظر: الواقدي، فتوح الشام، (ج2/174). وينظر: الحياي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام: (ص46).

(4) الواقدي، فتوح الشام (ج2/174) والحياي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص46)

الشاعرة هنا لا تصف أحدا بعينه، ولا تتحدث من منطق العصبية المقيتة التي حرمها الإسلام، وإنما تصور لنا جماعة المسلمين الذين تسابقوا إلى التضحية والفداء من أجل رفعة الدين ونصرته فهي تبكي الشهداء المسلمين الأطهار، الذين كانوا كالأسود في مجادلة الفرس وقتالهم، والذود عن دينهم، متسلحين بعزة الإسلام، يخوضون غمار المعركة، شعثا غبرا، أملين أن يخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

والشاعرة واثقة من نصر الله، وأن الدين سينتصر حتى يملأ الأفاق وأن صرحه لن يهدم، بارتقاء هؤلاء الشهداء، تقول:

طوى الموت ما بيني وبين أحبة بهم كنت أعطي من اشاء وامنع
فلا يحسب الواشون إن قاتنا تلين، ولا أنا من الموت نجزع
ولكن للألاف لابد لوعة إذا جعلت أقرانها تتقطع (1)

ولعل الفتن التي وقعت بين المسلمين في عهد علي ومعاوية كان لها وقع شديد على شواعر صدر الإسلام، لأن النساء رأين خيرة الصحابة وهم يرتقون شهداء في خسارة فادحة للإسلام والمسلمين، فهذه امرأة من عبد القيس خرجت تطوف في الشهداء يوم الجمل فوجدت ابنين لها قد استشهدا وكان قد قتل لها زوج واخوان قبل ذلك فأنشأت تقول:

شهدت الحروب فشبيبتني فلم أر يوما كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة وأقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة في بيتها وليتك عسكر لم ترتحل (2)

فمثل هذا اليوم من الوقائع قد أشاب رأسها، مما رأت من كثرة الشهداء الشجعان الأبطال الذين أفنى بعضهم بعضا، رغم حرمة الدم، وروابط العقيدة.

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية(ج2/262).

(2) المسعودي، مروج الذهب (ج2/378).

وترثي ضبيعة بنت خزعة⁽¹⁾ والدها الذي استشهد يوم حنين ومن معه من المؤمنين الذين يسارعون في الخيرات، ويبادرون إلى تلبية الدعوات نصره لدين رب السماوات فنقول:

عين جودي على خزعة بالد مع قتيل الأحزاب يوم الفرات
قتلوا ذا الشهادتين عنو أدرك الله منهم بالتراب
قتلوه في فتية غير عزل يسرعون الركوب للدعوات⁽²⁾

وتبكي أمينة الأنصارية⁽³⁾ مالك بن التيهان، فقد كان عماد البيت، فهدم بموته، وأورثها موته حزنا دائما، مشبهة الفقيد بشهداء أحد الذين قتلوا على أيدى المشركين، إنها تعرض بالفريق الآخر من المسلمين في معركة حنين، واصفة إياهم بالفسق والكفر تقول:

منع اليوم أم أدوق رقادا مالك إذ مضى وكان عمادا
يا أبا الهيثم بن تيهان إني صرت للهيم معدنا ووسادا
إذ غدا الفاسق الكفور عليهم إنه كان مثلها معتادا
أصبحوا مثل من ثوى يوم أحد يرحم الله تلكم الأجسادا⁽⁴⁾

إنها معجبة بشجاعته، فخورة بشهادته، تترحم عليه وعلى شهداء المسلمين مدفوعة بحسها الديني الصادق، وروح الأخوة الإسلامية التي زرعها الإسلام في نفوس المسلمين.⁽⁵⁾

يمكن القول أن الإسلام هذب النفوس، وطهرها من كل أدرانها وأحقادها ونهى عن العصبية الجاهلية، وأزال الفوارق الطبقية، فلا سادة ولا عبيد، ورحم أفعال الجاهلية، فلا نياحة، ولا تفجع، ولا خمش للوجه، ولا لطم للخدود، أو شق للجيوب، وحلق للشعر، إلى غير ذلك.

(1) لم أقف على ترجمة لها.

(2) الحياي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص106).

(3) لم أقف على ترجمة لها في كتب التراجم.

(4) الحياي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص27).

(5) ينظر: السوداني، ادب المرأة من ظهور الاسلام حتى نهاية القرن الاول الهجري (ص73).

ولذلك رأينا أثر الإسلام واضحا في شعر شواعر صدر الإسلام فبرزت صفات جديدة أوجدها الإسلام مثل الإيمان والتقوى والزهد، ونصرة الدين، والجنة والنار، وهذه الصفات كانت بارزة في شعرهم.

ثانيا: المشركون:

جاء الدين الجديد، فانقسم العرب إلى فريقين، فريق آمن به وهب يدافع عنه بكل قوة وشجاعة، وفريق وقف منه موقف العدا، بعد أن سمح الله لنبيه بالجهاد، قال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الحج (ص39-ص40)، ذلك المسلمون عروش الشرك، وقتل كثير من عتاة الكفر، وصناديده، فكثر المصاب فيهم فقتل من قتل، وأسر من أسر، الأمر الذي دفع شواعر المشركين لراثهم بحرقة وألم، وتفجع، كعادة نساء الجاهلية في رثائهن للقتلى.

ومن الشواعر اللاتي برزن في هذه المواقف الفارقة في التاريخ العربي، وفي هذه المرحلة الحرجة من المراحل التي مر بها العرب، هند بنت عتبة، التي فقدت أباه وعمها وأخاها وابنها في معركة بدر، مما جعلها تراثهم بحرقة، وتحرض المشركين على قتال المسلمين، حتى أنها خرجت بنفسها تحمسهم على القتال، تقول:

هـلكا كهلك رجاليه	لله عين ما من رأى
في النائبات وباكية	يا رب بباك لي غدا
غداة تلذك الداعية	كم غادروا يوم القليب
إذ الكوكب خاوية	من كل غيث في السنين
فاليوم حقد حذارية	قد كنت احذر ما ارى
يا ويح أم معاوية (1)	يا رب قائل غدا

فالشاعرة لا ترى أحدا مثلها أشد مصابا من مصابها، ولا أحدا فقد رجالا كراما سادة كرجالها، فهم غوث الناس في السنين المجدية، وفي والدها تقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص129).

أعيني جودا بدمع سرب	على خير خندف إذ ينقلب
تداعي له رهطه عدوة	بنو هاشم ولبووا المطلب
يذيقونـه حد أسـيافهم	يفلونـه بعد ما قد عطب
يجرون منه عفير التراب	على وجهه عاريا قد سلب
وكان لنا جبلا راسيا	جميل المراح كثير العشب (1)

لقد صورت والدها في هذه الأبيات فقالت: أنه خير خندف حسبا ونسبا وجودا وكرما، وشجاعة وبأسا، وكأنها تريد القول أن مثله لا يقتل، ولكنه قتل بأيدي رهطه من بني هاشم وبني المطلب، وهذا كان أشد إيلا ما لها، لأنها إنما تتكلم من منطلق العصبية الجاهلية، ولم تعرف أن الإسلام كان حدا فاصلا، فلا عصبية ، ولا قرابة إذا ما فرق بينهم الكفر والإيمان.

ثم تبين حال والدها، وقد تعاورته أسياف المسلمين، وقد تعفر وجهه بالتراب وسلب ماله وسلامه فكيف حدث هذا وهو الذي كان لها حصنا منيعا، وجبلا راسيا، يفيض عليهم خيره في كل وقت وحين.

وتقول معاتبة الدهر الذي تخرم أهلها، وملاً بالحنن قلبها:

يريب علينا دهرنا فيسوؤنا	ويأبى فما نأتي بشيء نغالبه
أبد قتيل من لؤي بن غالب	يراع امرؤ إن مات أو مات صاحبه
ألا رب يوم قدر رزئت مرزعا	تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عني مالكا	فإن القه يوما فسوف اعاتبه
فقد كان حرب يسعر الحرب إنه	لكل امرئ في الناس مولى يطالبه (2)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص128).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص129).

وتصف أهلها بالسيادة والمجد والشجاعة ، والبأس ، والعز ، والكرم ، تقول :

ابكي عميد الابطحين كليهما وحيهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي وشيبة والحامي الذمار وليدها
لاولئك آل المجد من آل غالب وفي العز منها حين ينمي عديدها (1)

إن المجد وقف عند والدها وعمها وأخيها ولم يتخطاهما.

وتصف والدها وعمها بالغصنين الباسقين، الذين غذاهما المجد، والشرف والسؤدد وهما أسدان شجاعة وقوة وبأسا، وكالرمحين قواما واعتدالا، سادا قومها صغارا، لما ورثاه من أسباب السيادة والقيادة، تقول :

من حس لي الأخوين كالغضين أو من رآهما
ويلي على أبوي والقبر الذي وراهما
لا مثل كمهلي في الكهول ولا فتى كفتاهما
أسدان لا يتذلان ولا يرام حماهما
رمحين خطيين في كبد السماء تراهما
ما خلفا إذ وردعا في سؤدد شرواهما
سادا بغير تكلف عفوا بغيض نداهما (2)

وتصف هند والدها بالكرم في أوقات الجوع، والشجاعة عند ملاقات الأعداء وتصف بالثأر من المسلمين فتقول :

(1) المرجع السابق (ص129-ص130).

(2) المرجع نفسه (ص130).

يا عين بكى عتبة	شـخا شـديد الرقبـة
يطعم يوم المسغبة	يدفع يوم المغربـة
إنى عليه حربـة	ملهوفة مسـتـتـة
ليه بطن يتربـة	بغارة منشـعة
فيها الخيول مقربـة	كل جواد سـلهبة (1)

وتصف أم كلثوم ابنة عبد ود أخاها عمرو بن عبد ود العامري، بالأسد في شجاعته ومجادة أعدائه، ليس كمثلته أحد، ثم تعزي لنفسها مأن الذي قتله كفؤ له، فكلاهما شجاع كريم، باسل، حاسر القناع، تقول:

أسدان في ضيق المكر تجاولا	وكلاهما كفؤ كريم باسل
فتخالسا سلب النفوس حفيظة	لم يثته عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله	قول سديد ليس فيه تحامل (2)

وتبكي قتيلة بنت النضر بن الحارث⁽³⁾ والدها، الذي أسر يوم بدر، وأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بقتله، أمعن في إيذاء المسلمين، وتصفه وصفا يقطر حزنا وألما، فقد لقي حتفة أسيرا، فقيدا، متعبا، ولم يشفع له الرحم والقربى وتدعو لحامل رسالتها بالتوفيق، وتعاتب النبي (صلى الله عليه وسلم)، عتابا رقيقا، لا فحش فيه ولا خطأ، ولا يخرج عن حدود الأدب والإحترام تقول:

يا راكبا أن الأثيل مظنة	من صبح خامسة وأنت موفق
-------------------------	------------------------

(1) يموت، شاعرات العرب (ص128-ص129).

(2) المرجع السابق (ص126).

(3) وهي قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن مناف كان أبوها صاحب لواء المشركين بمعركة بدر وقد أمر الرسول (ﷺ) علياً (ﷺ) بقتله صبورا لفرط إساءته للإسلام، وقد أسلمت قتيلة، وحسن إسلامها، ومدحت النبي (ﷺ). ينظر: يموت، شاعرات العرب، (ص 202).

أبلغ بها ميتاً بأن تحية
مني عليك وعبرة مسفوحة
هل يسمعن النضر إن ناديته
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
صبراً يقاد إلى المنية متعباً
أحمد يا خير صنو كريمه
ما كان ضرك لو مننت وربما
فالنضر أقرب من أسرت قرابة
لو كنت قابل فدية لفديته
بأعز ما يفدى به من ينفق⁽¹⁾

وبعد انتهاء معركة أحد، واستشهاد حمزة رضى الله عنه ومثل بجثته، فقالت هند بنت عتبة:

شفيت من حمزة نفسي بأحد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد
والحرب تعلقكم بشوئوب ببرد
تقدم إقداما عليكم كالأسد⁽²⁾

ووقفت على صخرة عالية وقالت بعد انتهاء المعركة:

نحن جزيناكم بيوم بدر
ما كان لي عن عتبة من صبر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ولا أخى وعمه ويكـري

(1) يموت، شاعرات العرب (ص134).

(2) المرجع السابق (ص130).

شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري

فشكر وحشي علي عمري حتى ترم أعظمي في قبري (1)

فردت عليها أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب، واصفة والدها بالجبار، الكفور، داعية عليها بالخزي والعار والذل والهوان، وملمحة إلى أنها فرطت في شرفها ثمنا لما فعله وحشي بحمزة، تقول:

يا بنت جبار كثير الكفر خزيت في بدر وغير بدر

صبحك الله قبيل الفجر بالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفري حمزة ليثي وعلي صقري

رام شبيب وابوك غدري مخضبا منه ضواحي النحر

هتك وحشي حجاب الستر ما للبغايا بعدها من فخر

ونذكرك السوء فشر نذر (2)

هند بنت عتبة المقطوعتين السابقتين تتطلق من حقد دفين على الإسلام والمسلمين فهي " متدفقة منطلقة على سجيبتها مليئة بالحماس والعاطفة، لقد أخذ وحشي بثأرها وقتل حمزة، فذهب ألمها الجاثم على صدرها فحق لها أن تشكره على صنعه " (3)

أما أروى، فتسب أباهما، وتتوعدها بالثأر لحمزة.

وأخيرا يمكن القول إن أثر الإسلام كان واضحا في شعر الشواعر المسلمات، فقد مزجن رثاء الشهداء بالثواب في الآخرة والنعيم في الجنة والحياة الخالدة بعد الموت، وأتهمن غيرهن

(1) يموت، اعرات العرب (ص131).

(2) المرجع السابق (ص132).

(3) الشوري، شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص95).

بالكفر وعدم الإيمان، في حين لم يظهر شي في رثاء المشركات لقتلهن وإنما ظهر الجزع والبكاء، وتعدد الصفات من كرم وشجاعة، ولا يكاد شعرهن يختلف عن شعر الجاهليات. (1)

"غير أن أثر الإسلام في الشعر بوجه عام في تلك الفترة لم يكن بالصورة المرجوة". (2)

إذ "إن المعاني الدينية في القصيدة كانت مقتصرة على بيت أو أبيات، ويأتي المعنى الديني مقتضبا مجملا، من غير توسع ولا عمق ولا استرسال أو تفصيل". (3)

وتفسير هذا الأمر أن الشواعر كن حديثات عهد الإسلام، فكان التأثر به ما زال ضعيفا، واخيرا يمكن القول: "أن دور المرأة منذ بداية الدعوة الإسلامية واضح في الأحداث السياسية وفي الوقائع الحربية، فقد كان منهن المناصرات للإسلام والمسلمين، ومنهن من وقفت في وجهه يهجون المسلمين". (4)

ثالثا - اليهود:

كان اليهود يعيشون في أماكن عديدة من الجزيرة العربية، ولهم حصونهم ومدنهم التي عرفوا بها، مثل خيبر، وبنو قريضة، وبنو قينقاع، ويهود اليمن وغيرهم.

ومن شواعرهم التي ذكرها بشير يموت في كتابة شاعرة تسمى سارة القريظية وهي من بني قريظة، لها مقطوعة شعرية تبكي فيها من قتل من أشرف قومها على يد أبي جيلة الغساني، في وادي ذي حرض بالمدينة المنورة، وذلك حين اشتكى الناس من فحشهم، تقول:

بنفسى أمة لم تغن شيئا	بذي حرض تعفيها الرياح
تهول من قريظة أتلفتهم	سيوف الخرجية والرماح
رزئنا والرزية ذات ثقل	يمر لأجلها الماء القراح
ولو أذنوا بحربهم لحالت	هنالك دونهم حرب رداح (5)

(1) ينظر: الشوري، شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص97).

(2) المرجع السابق (ص97).

(3) الجبوري، شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه (ص117).

(4) الشوري، شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص96).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص124).

تشكو الشاعرة من أمر عظيم حل بأهلها وقومها، فالمصيبة جلل فقد ذهبت أمة اليهود شبابها وشبيها، فغدا موطنهم خلاء تسفيه الرياح، بعد أن قتلهم الخزرج غدرا وغيلة، ولو كانوا أدنوهم بقتال لوجدوهم فرسانا في ساحات الوغى.

إن مصيبتها في قومها ثقيلة عظيمة تجعل الماء القراح مرا، وكأن الأمر أفقدها السيطرة فلم تعد تفرق بين الحسن والقبيح، والطيب والخبيث، ولم تستغرب شيئا من حلو الحياة، التي استحالت بموت السادات من قومها سوادا قائما.

وتصف هند بنت عتبة يهود المدينة بأنهم، لا حسب لهم ولا نسب، ولا سيادة، ولا ريادة، ولا شرف، إنما هم عبيد للتبع اليماني، وهذا هجاء مقذع، وقدح في أصولهم، وخبث في نسبهم، تقول:

وقامت يهود بأسـيافها قصار الجـدور لئام الحـسب
عبيد أبـي كـرب تبـع عبيد قصار دقاق النسب (1)

وعندما بكى كعب بن الأشرف قتلى قريش، يوم بدر بقصيدته التي مطلعها:

طحنت رحا بدر لمهلك أهله ولمثل بدر تستهل وتدمع (2)
ردت عليه ميمونة بنت عبد الله بقولها:

تحنن هذا العبد كل تحنن يبكي على قتلى وليس بناصب
بكت عين من بكى لبدر وأهله وعلت بمثليها لوي بن غالب
فليت الذين خرجوا بدمائهم يرى ما بهم من كان بين الأخشب
فيعلم حقا عن يقين ويبصروا فجرهم فوق اللحي والحوجب (3)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص128).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية (ج2/52).

(3) المرجع السابق (ج2/53).

الشاعرة تستهجن بكاء كعب بن الأشرف _ وهو يهودي _ على قتلى المشركين وتدعو عليه بدوام الحزن والبكاء، في شيء من الإزدراء، فتصفه بالعبد الذليل الذي لا يساوي شيئاً.

ولا استغرب ما قالتها هند عنما وصفت يهود المدينة بالعبيد لأنها امرأة ما زالت جاهلية، والعصبية ما زالت متمكنة منها في مجتمع طبقي بإمتياز يمتنن العبيد ويحتقرهم، ولكن المستهجن هو أن تصف شاعرة إسلامية هذا الوصف في مجتمع قضى على العصبية والطبقية والفوارق بين أبناء المجتمع، فلا سادة ولا عبيد.

وكأنني بالعرب ينظرون إلى اليهود في الجزيرة نظرة احتقار وازدراء، وكره وبغض، لما يتميز به اليهود من خبث ودهاء ومكر وحيلة، لذلك عد كعب بن الأشرف قولها شتيمة له، ولا يصدر ألا عن سفيه فقال:

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا عن القول يأتي منه غير مقارب
اشتمني إن كنت أبكي بعبرة لقوم أتاني ودهم غير كاذب
فإني لبأك ما بقيت وذاكر فأثر قوم مجدهم بالحباب
فحق مريد أن تجد انوفهم بشتمهم حيي لؤي بن غالب (1)

لعل النصوص الشعرية التي تعرضت لذكر اليهود قليلة، ولكنها مع قلتها رسمت صورة مهينة لهذه الشريحة من المجتمع الذي كان يسكن جزيرة العرب، فالشاعرة العربية تنظر لهم بفوقية واستعلاء، بغير ما صورتهم ابنتهم الشاعرة سارة القريظية، حين قالت عنهم بانهم شيوخ سادة، كان فقدهم مصيبة كبيرة حلت بهم.

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (ج2/54).

المبحث الثالث:

الآخر المذهبي في شعر النساء (الخوارج نموذجاً)

المطلب الأول: التسمية والنشأة:

يرجع سبب تسميتهم بالخوارج لخروجهم على الإمام علي ؑ بعد قبوله التحكيم، حيث انتهى بهم الأمر إلى الخروج من معسكره وقد قبل الخوارج هذه التسمية، ولكن فسروا الخروج بأنه خروج من بيوتهم جهاداً في سبيل الله وفقاً لقوله تعالى ﴿...وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...﴾ [النساء:100] وقد أطلق عليهم عدة أسماء منها الحرورية لنزولهم بحروراء في أول أمرهم، والمارقة؛ لأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، والمحكمة لإنكارهم الحكمين، وقولهم لا حكم إلا لله.

أما نشأتهم فارتبطت بالأحداث التي قامت بين علي بن أبي طالب ؑ ومعاوية بن أبي سفيان ؑ وقبول علي ؑ التحكيم ورفض الخوارج الذين كانوا في صف علي ؑ للتحكيم ثم إعلانهم الخروج على علي ؑ ومحاربتة. (1)

ثانياً: من تأويلاتهم:

اعتمد الخوارج التأويل ليدافعوا عن أفكارهم ومعتقداتهم حالهم كحال من سبقهم من الفرق ومن ذلك:

1. تأويلهم لقوله تعالى ﴿... إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ...﴾ [الأنعام:57] وكان قصدهم تخطئة الإمام علي ؑ وتكفيره لقبوله التحكيم والتحلل من الالتزام بإمرة معينة، ولذلك قالوا بأنه يجب على الإمام علي ؑ أن يستمر في القتال حتى يظهر حكم الله. (2) وقد رد عليهم الإمام علي ؑ وعلى شعارهم لا حكم إلا لله بقوله: كلمة حق أريد بها باطل" (3).

(1) الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة(ص206-207) البغدادي، الفرق بين الفرق (ص72)

الشهرستاني، الملل والنحل (ج1/91).

(2) البغدادي، الفرق بين الفرق (ص78-79).

(3) مسلم، (2/749) رقم (1066).

2. استدلوا بالآيات ليؤيدوا ما ذهبوا إليه من تكفير مرتكب الكبيرة والمعاصي دون النظر إلى عمل الرسول ﷺ وسنته التي تبين القرآن وتفسره من ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97] قالوا: "إن الله وصف تارك الحج بالكفر وترك الحج ذنب، فإذا كل مرتكب للذنب كافر" (1).

ب- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 106] قالوا: والفاسق لا يجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم فوجب أن يكون ممن اسودت وجوههم ووجب أن يسمى كافراً. (2).

أطلق الخوارج أحكام الكفر دون أن ينظروا إلى الكفر الأصغر والكفر الأكبر المخرج من الملة بل اعتبروا الكل كفراً مخرجاً من ملة الإسلام وهذا مخالف لآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ.

3. وهذا دفع فرقة الأزارقة من الخوارج إلى تكفير الإمام علي عليه السلام، وتأويل الآيات لتتفق مع أهوائهم ومبادئهم حيث قالوا إن الله أنزل في شأنه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204] كما صوبوا ابن ملجم قاتل الإمام علي عليه السلام وقالوا إن الله أنزل في شأنه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207] (3).

إن قول الأزارقة ليشير بوضوح إلى التأويلات الفاسدة للقرآن الكريم، وافترائهم الواضح على علي عليه السلام، فإن زعمهم أن الآية نزلت في علي عليه السلام فهذا محض افتراء وجهل واضح بالقرآن ونزوله ؛ لأن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق الذي أظهر الإسلام وأبطن خلاف ذلك،

(1) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية (ص66). وجلّى، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين (ص 51).

(2) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية (ص66). وجلّى، (ص51).

(3) الشهرستاني، الملل والنحل (96/1).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم. (1)

وأما الآية الثانية فنزلت في صهيب الرومي رضي الله عنه وذلك عندما أسلم وأراد منعه الناس أن يهاجر بماله فأعطاهم ماله فأنزل الله فيه هذه الآية. (2)

المطلب الثاني: الآخر الخارجي القريب في شعر النساء.

كان للمرأة دور بارز في فكر الخوارج، فالمرأة الخارجية كانت زاهدة، ناسكة مقبلة على الآخرة، مدبرة عن الدنيا، تمتشق السيف، وتخوض حومات الوغى، حتى بلغت بها المكانة أن تعتلي منبر الكوفة، وتخطب بالناس، وينادى لها بالإمامة (3). وهناك مواقف عديدة للمرأة الخارجية، وصراعها مع أعدائها، تشهد على عظيم بلائها، وثباتها على منهجها وفكرها، حتى آخر لحظة من حياتها، وكثير من هؤلاء النسوة إما في ساحات القتال أو صلبا على أعواد المشانق، مثل البلجاء وقطام وكحيله وحمامة الصفونية، وغزالة الشيبانية، وسجا، اللائي قتلن جميعا (4). وقتلت البلجاء صبيرا بعد أن قطع عبيد الله بن زياد يديها ورجليها، وألقى بها في السوق (5). وقتل الحجاج امرأة من الخوارج كانت لا تنتظر إليه، وتقول إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه (6). لقد أهملت المرأة الخارجية الحياة الأنثوية، وانشغلت بالقتال من أجل مبادئها، وحبا في الشهادة، مقبلة على الحياة الآخرة، مدبرة عن الحياة الفانية، تقول أم حكيم الخارجية:

أحمل رأسا قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عني ثقله (7)

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج 1/ 207).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج 1/ 207).

(3) ينظر البغدادي، الفرق بين الفرق (ص 97).

(4) ينظر الجاحظ، البيان والتبيين (ج 1/ 292). وينظر الجاحظ، الحيوان (ج 5/ 311).

(5) ينظر المبرد، الكامل في اللغة (ج 3/ 181).

(6) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج 4/ 111).

(7) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص 142- 143).

لقد ملت أم حكيم غسل شعرها، ودهنه وتسريحه، وهي إشارة إلى شكوى من طول الحياة الدنيا التي لا تريدها، وبعد عن حياة آخرة تريدها، لذلك تقول في تحد: هل من فتى يريحني منه ومن هموم الدنيا وآلامها وأحزانها. وهي تحب أن تتزين بالسيف، وليس الذهب الذي تفضل المرأة عامة التزين به. تقول امرأة المختار بن عوف بن حمزة مرتجلة:

أنا ابنة الشيخ الكريم الأعم
من سأل عن اسمي فاسمي مريم
بعث سوارى بسيف مخدم⁽¹⁾

ومثلها عميرة زوجة مجاشع البكري، تزهد في الحياة الزوجية، وتهب فراشها لأخرى تنوب عنها، فما عاد الأمر يشغل بالها، ولا يستهويها، إنما تقبل على الجهاد، والخروج نصره لنكرها ومنهجها الذي ارتضته لنفسها، دون التفكير في القبول والعودة للحياة الهادئة الوادعة التي تستهويها النساء.

كتب لها زوجها _ وكان من الخوارج _ بيتين من الشعر، يطلب منها العودة، يقول فيهما:

وجدا يصاحبني لعل صباية
فلئن قتلت ليقتلن قتيلكم
منها ترد حلياة لحيل
فتيقني أني قتييل قتييل⁽²⁾
فأجابته:

أبلغ مجاشع إن رجعت فإنني
أرجوا السعادة لا أحدث ساعة
بين الأسنة والسيف مقيلي
نفسى إذا ناجيتها بقفول
وهبت خدري والفراش لكاعب
في الحي ذات دمالج وحجول⁽³⁾

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص245).

(2) المرجع السابق (ص 236).

(3) المرجع نفسه (ص236 - ص237).

وترفض أم حكيم الزواج، وتأبى أن تهب نفسها لرجل لا هم له إلا الجماع، مع أنها كانت من أجمل الناس وجهاً، وأشجعهم، وأشدهم بدينها تمسكاً، وهي لا تريد ما يقعدها عن هدفها الذي تسعى لتحقيقه، ومنهجها الذي خطته لنفسها، تقول بعد أن خطبها جماعة من الأشراف الخوارج فردتهم:

ألا إن وجها حسن الله خلقه لأجدر أن يلقى به الحسن جامعا

وأكرم هذا الجرم عن أن يناله تورك فحل همه أن يجامعا (1)

إن النصوص السابقة تجعلنا نستشرف صورة المرأة الخارجية التي أهملت أنوثتها، وتخلت عن مظاهر الزينة التي تهم النساء واستبدلت ذلك بالسيف والرمح، لصالح عقيدتها، ومبادئها التي قدمت روحها ثمناً لها.

" إن هذه الأشعار نزعة إلى التمرد والثورة على الأعراف التي تجعل من المرأة ضلعا قاصرا وتابعا للرجل في مجتمع عرف _ ولا يزال _ بذكوريته الراسخة" (2).

وليس هذا الأمر عند كل نساء الخوارج، فقد تتراجع المرأة الخارجية عن موقفها من ترك الحياة الزوجية بالكلية، وذلك حين يطول بها المقام عن الزوج، فيأخذها الشوق، ويشدها الحنين، وتلح عليها الغريزة، تقول إحدى نساء الخوارج مقارنة بين حالتين ورمحين:

تركيت رمحا لينا مسه وجئت رمحا مسه قاتل

شتان هذا بدم سائل وذاك منه غسل سائل

مطعون ذا كم منه في لذة وأم مطعون بهذا ثاكل (3)

إن هذه الأبيات _ إن صحت نسبتها إلى امرأة خارجية _ لا بد أن تكون قيلت عن امرأة عادت عن مبادئها، وفارقت جماعتها، وما كانت لتخرج من امرأة نائرة، مقاتلة، تحيا على مفهوم الخروج والثورة. هذه صورة موجزة للمرأة الخارجية التي أود دراسة شعرها الذي صورت فيه

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص142).

(2) معيطة، شعر النساء الخارجيات، (ص 36).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 209). وعباس، ديوان شعر الخوارج (ص 224 - ص225).

الآخر بشكل عام، وجل هذا الشعر يدور حول غرض واحد من أغراض الشعر، غرض الرثاء، والذي من خلاله سنتعرف على الصورة التي رسمتها شواعر الخوارج للآخر، سواء القريب أم غير القريب.

1- الأب:

يوجد في ديوان أشعار الخوارج ثلاث مقطوعات شعرية لثلاث شواعر ذكّن الأب فيها، الأولى لمريم امرأة المختار بن عوف بن حمزة تفخر بأبيها، كعادة المرأة العربية، التي طالما زهت بأصلها وبأهلها، مرددة أفضل الصفات المعنوية، فنقول:

أنا ابنة الشيخ الكريم الأعم

من سأل عن اسمي فاسمي مريم

بعثت سوارى بسيف مخدم (1)

تزهوا البنت بأبيها، وتفخر به، فنقول مفتخرة أنها ابنة شيخ، وهذه الكلمة لها مدلولات عديدة، فالشيخ هو السيد الذي جمع المحاسن كلها، شجاعة وإقداما، كرما وسخاء، علما وإيمانا، حلما وأدبا، إلى غير ذلك، حتى ساد قومه.

والكرم والسخاء صفتان متأصلتان في والدها، والعلم والمعرفة، إنها ذكرت الصفات السابقة الذكر بالتعريف، (الشيخ، الكريم، الأعم) لتبين لنا مدى قناعتها بتأصل هذه الخلال الكريمة في والدها ولذلك لا تجد حرجا في أن تعلن عن اسمها واسم أبيها، وتتنسب له بكل زهو وفخر. فإذا ما داهم الأب خطرا وجدناها تبادر للدفاع عنه حتى لو لجأت إلى استعطاف الحاكم من أجل الإبقاء عليه حيا.

تقول بنت أسلم بن عبيد البكري مخاطبة الحجاج، عندما أراد قتل أبيها:

أحجاج لو تشهد مقام بناته وعماته يندبن بالليل أجمعا

أحجاج إمان أن تمن بتركه علينا وإمان أن تقتلنا معا

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص225).

أحجاج لا تفجع به ونسائه ثمانا وتسعا واثنتين وأربعا

فمن رجل دان يقوم مقامه علينا، فمها لا تزدنا تضععا (1)

إن الوالد هو الذي يعول عائلة كبيرة من المحارم، تزيد عن العشرين، وإن مقتله سيضيع هؤلاء جميعا، فلا أحد يقوم مقامه، لأن موت الأب يعني ضياع الأسرة، وتفككها.

يبدو من خلال الأبيات السابقة أن الأب وصولا لأرحامه، رؤوفا بهن، عطوفا عليهن، كريما، سمحا حلما، يلم شملهن، ويغنيهن عن سواه من الناس، لذلك يعد موته فاجعة لأكثر من عشرين من هؤلاء النسوة.

ولكننا نقف عند مقطوعة شعرية لبنت الحازوق الحنفي، تراثه بعد مقتله، تجمع بين التفجع والبكاء، والفخر والزهو، والتحريض على الأخذ بثأره. تقول:

أعيني جودا بالدموع على الصدر على الفارس المقتول في الجبل الوعر

فإن تقتلوا الحازوق وابن مطرف فإننا قتلنا حوشبا وأبا جسر

أقلب عيني في الركاب فلا أرى حزاقا وعيني كالحجاة من القطر

ومن يعتم العام الوشيك ولا حقا وقتل حزاقا لا يزال عالي الذكر

تعاوره أسياف قوم تعودوا قراع الكمأة لا خنوس ولا ضجر

فيا لهفتي ألا تكون لقيتهم بصحراء لا لا ضيق المكر ولا وعر

فلو كان لي ملك اليمامة سومت فوارس يسبون العذارى من شكر

ولو كان لي ملك اليمامة قد غزت قبائل دوس كل قنبلة شقر

فإن لا أنل من دوس ثأري بفتية مصاليت لم يكسرهم حدث الدهر

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص154).

فإن قريشا كان مقتل حازق بأيديهم فاطلب به قاطن الحجر

ففي قتلهم مثل الذي نال من حظي بقتل حزاق في العلاء وفي الذكر (1)

إنها تأمر عينها بالبكاء _ على عادات نساء الجاهلية _ ألما وحرقة على مقتل أبيها الفارس الشجاع المشهور، الذي لم يقو أحد على نزاله وقتاله، لذلك نجدها تتمنى أن يكون لقيهم في متسع للقتال والفر والكر، لكان أبلى بلاء حسنا، لكنها تعزي النفس في نبرة من التشفي، وذلك أنهم قتلوا من أعدائهم كما قتل منهم. إنها تتمنى لو أن لها ملكا وحكما لكانت أخذت بثأر أبيها، من قاتليه، ولكن أين لها ذلك ؟

2- الأخ:

حياة الخوارج كانت قلقة، متوترة، حزينة، ثورات متلاحقة، وقتال مستمر، وكر وفر، وجراح ودماء، وموت وفناء، وواقع صعب، تصوره لنا امرأة من الخوارج قتل أخوها مع الضحاك، فنقول:

من لعين ريا من الدمع عبري ولنفس من المصائب حرى

أفدت عيشنا صروف الليالي ووقاع من الكئاب تتسرى

كلما سكنت حرارة وجد من فقيد منا تجينا بأخرى (2)

لقد أفسدت الحروب المتتابة حياتهم، فأورثتهم حرارة الجوف، ودمعا في العين لا ينقطع، فما إن تهدأ النفوس، إلا ويشعل نارها فقد آخر، وهكذا هي حياتهم بكاء يتبعه بكاء، وحزن يتبعه حزن، تقول:

يا عين جودي بالدموع وابكي بجهد المس تطيع

يا موت ويحك ما تزا ل لمفرقا بين الجميع

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص 89).

(2) المرجع السابق (ص 225).

أبكي وما يغني التله ف والبكاء عن الجزوع (1)

وتبكي مليكة الشيبانية أباها في مقطوعتين شعريتين، تبدأ الأولى بالطلب من عينيها أن تجود بالبكاء على أخيها، بكاء لا ينقطع إلى الممات، فأخوها هو المؤمل والمرجي في معضلات الأمور، وهو المؤامر والمؤازر في والمطالب للتراث، تقول:

يا عين جودي بالدموع بواكف حتى الممات

قولا لمن حضر الحرب من النساء الشاريات

أمين بعد غضارة ونعيم عيش مثبتات

من بعد عيش ناعم صارت عظامهم رفات

وإذا المنية أقبلت لم تغن أقوال الرثاة

كنت المؤمل والمرجي في الأمور المعضلات

كنت المؤامر والمؤازر في والمطالب للتراث (2)

بدأت الشاعرة أبياتها بالبكاء ثم انتقلت إلى ذكر مناقب أخيها فجعلت منه نموذجا فريدا، يجمع بين الشجاعة والبأس، والحكمة ورجاحة العقل، وفصاحة اللسان، وقوة البيان، والكرم، والجود، فحق له أن يكون هو المؤمل والمرجي في معضلات الأمور.

وفي موضع آخر تبدأ الشاعرة بذكر مناقب أخيها حتى رسمت له صورة فريدة، فلم تبقى صفة حسنة يعتز العربي بها إلا ألحقتها به، حتى بدا أنها لا تبكيه للرحم، ولكن لهذه المناقب والخلال، تقول:

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص 225).

(2) المرجع السابق (ص 238 - ص 239).

من لجاراتك الضعاف إذا حل بها نازل الحدثان
من لضيف ينتاب في ظلمة الليل إذا قل منزل الضيفان
سوف أبكي عليك ما سمعت أذناي يوما تلاوة الفرقان
أين من يحفظ القرابة والصهر ويؤتي لحاجة اللهفان
ويحوط المولى ويصطنع الخير ويجزي الإحسان بالإحسان
ويكف الأذى ويبتذل المعروف سمح اليدين سبط البنان⁽¹⁾

تساءل الشاعرة قائلة: هل بقي بعدك من يحمي النساء والأطفال من النوازل والمصائب؟ وحوادث الدهر، ومن للضيف الساري ليلا؟ الذي لا يجد من يكرمه حيث يعز الكرم، وأين الذي يصل الرحم؟ ويحفظ حق القربى الأصهار، ويقضي حاجات الملهوفين، بل أين من يصنع المعروف ويجازي الإحسان بالإحسان، ويكف أذاه عن الناس، ويبدل المعروف ويعطي بسخاء؟.

لقد جمعت الشاعرة الصفات المعنوية السابقة في أخيها ولأجل هذا ستبكيه الدهر كله، وربما يكون البيت الذي ذكرت فيه البكاء، وهو البيت الثالث هو آخر أبيات المقطوعة، لأنه الترتيب المنطقي لتسلسل الأبيات، يقول ذلك. فالمقطوعات الرثائية إما تبدأ بالبكاء أو تختتم بها. ومن أبرز شعر النساء الخارجيات، قصيدة ليلى بنت طريف، في أخيها الوليد بن طريف الشيباني، وهو رأس من رؤوس الخوارج، " وهي أطول القصائد التي قيلت على لسان شاعرة من شواعر الخوارج، ولا تتميز بطولها فحسب، بل بما لها من السمات الفنية التي تجعل منها قصيدة متفوقة قياسا على النتاج الشعري للخوارج بوجه عام، فهي تصوير بارع لشخصية المرثي، وإشادة بما تحلى به من الخصال النبيلة والشمائل الرفيعة"⁽²⁾

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص 238).

(2) معيطة، شعر النساء الخارجيات (ص 40).

تقول ليلي:

بتل نباتي رسم قبر كأنه
تضمن جودا حاتميا ونائلا
ألا قاتل الله الجثا كيف أضمرت
فءلا تجيئني دمنة هي دونه
وقد علمت أن لا ضعيفا تضمنت
فتى لا يلوم السيف حين يهزه
فتى لا يعد الزاد إلا من التقى
ولا الخيل إلا كل جرداء شبطة
على علم فوق الجبال منيف
وسورة مقدام وقلب حصيف
فتى كان بالمعروف غير عفيف
فقد طال تسليمي وطال وقوفي
إذا علم المرزي ولا ابن ضعيف
على ما اختلى من معصم وصليف
ولا المال إلا من قتا وسيوف
وكل حصان باليدين غروف (1)

لا تبدأ الشاعرة بالبكاء والتفجع على أخيها، بل بدأت بذكر مناقبه، فأخوها الذي ثوى
تبل نباتي، كان كريما، جوادا، شجاعا، مقداما، ليس جبانا ولا رعيذا، ولا هو من أبناء الضعفاء،
زاده التقوى، وحياته على صهوات الخيل، مجاهدا من أجل مبدوء. من أجل هذه الخلال، هي
تقف طويلا على قبره، تسائل الدمن فلا يجيبها، فتكتفي بالتسليم.

إنها تشكو من ألم الفراق بعد فقده، وتتمنى لو أنها فقدت من السادات ألوفا، وبقي هو
حيا، فهو فارس بألف فارس، لقد عاش حياته غصة للأعداء، نصيرا للحلفاء، ملجأ للضعفاء،
حليف للكرم والجود، ولا يرضى الجود به بديلا. تقول:

فقدناك فقدان الربيع وليتنا
وما زال حتى أزهق الموت نفسه
فدينك من ساداتنا بألوف
شجا لعدو أو لجأ لضعيف
حليف الندى أن عاش يرضى به الندى
وإن مات لا يرضى الندى بحليف (2)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 159 - ص 160).

(2) المرجع السابق (ص 160).

ثم تعود مؤكدة على شجاعة أخيها، في غزواته، فكم من جمع فرقه وصف فضه،
ببسالة وجرأة، وعزم لا يلين. تقول:

فإن يك أراده يزيد بن مزيد فيا رب خيل فضها وصوف (1)

والشاعرة لشدة ألمها وفجيعتها على فقد أخيها، غدت والهة حرى تمتلكها حالة من
الحزن، والألم النفسي، جعلها تتصور أن كل شيء حولها من الطبيعة حزينا عليه، حتى أنها
لتستغرب أن يورق شجر الخابور بعد أخيها، فالشمس كاسنة، والقمر ما عاد قمرا حزنا على
الليث المحمول على الأكتاف إلى حفرة صغيرة يوارى بها.

فيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

أيلا يا قومي للنوائب والردى ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدر من بين الكواكب إذا هوى وللشمس همت بعده بكسوف

ولليث فوق النعش إذ يحملونه إلى حفرة ملحودة وسقوف (2)

ثم تذكر الشاعرة موقفا مشابها لمواقف الجاهلية، حيث البكاء والتفجع والندب، والنياحة،
وخرج النساء حاسرات، وكل ذلك حزنا على فقد أخيها. تقول:

بكت تغلب الغلباء يوم وفاته وأبرز منها كل ذات نصيف

يقلن وقد أبرزن بعدك للورى معاند حلي من بري وشنوف (3)

ثم تختم القصيدة مشيدة ببطولته، وبصولاته وجولاته، وشجاعته وحسن بلائه، وكرمه
وسخائه، فكم قاد الكتائب، وطاعن الفرسان، فكان ثقيلًا على أعدائه، وأعياهم وكسر شوكتهم،
تقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص160).

(2) المرجع السابق (ص160).

(3) المرجع نفسه (ص160).

كانك لم تشهد مصاعا ولم تقم
ولم تشتمل يوم الوغى بكتيبة
دلاص ترى فيها كدوحا من القنا
وطعنه خلس قد طعنت مرشة
ومائدة محمودة قد علوتها
مقاما على الأعداء غير خفيف
ولم تبد في خضراء ذات رفيف
ومن ذلق يعجمها بحروف
على يزني كالشهاب رعوف
بأوصال بختي أخذ عليف (1)

وأختم القصيدة بهذا البيت الذي لم أجده عند بشير يموت في شاعرات العرب في
الجاهلية والإسلام ولكنه موجود في ديوان الخوارج، لفايق معروف، حيث تعزي نفسها، بأن كل
شريف مصيره للموت. تقول:

فلا تجزعا يا بني طريف فإني أرى الموت نزالا بكل شريف (2)

وفي قصيدة أخرى تذكر الشاعرة أيام أخيها، فتبدو لها الأرض مجدبة قاحلة لا حياة
فيها، وتأخذ تبحث عنه في معالي الأمور حيث كان دائما، ثم تلوم قومها الذين فرطوا فيه، ثم
تتحداهم أن يجدوا مثله في فعاله وخلاله، ثم تختم متحسرة بقولها لو أن السيوف عاقلة وعرفت
أخاها، لنبت خوفا وهيبة ولم تقطع.

تقول:

ذكرت الوليد وأيامه
فأقبلت أطلبه في السماء
أضاعك قومك فليطلبوا
لو أن السيوف التي حدها
إذا الأرض من شخصه بلقع
كما يبتغي أنفه الأجدع
إفادة مثل الذي ضيعوا
أصابك تعلم ما تصنع

(1) يموت، شاعرات العرب (ص160).

(2) معروف، ديوان الخوارج (ص185).

نبت عنك أو جعلت هيبية وخوفاً لصوئك لا تقطع (1)

3- العم:

العم بمنزلة الوالد، لذلك ليس غريباً أن نجد في شعر المرأة رثاء حاراً لا يقل حرارة عن رثاء الأب والأخ والابن، ويبدو ذلك جلياً في رثاء مليكة الشيبانية لعمها حيث بكته بحرارة وحرقة مؤكدة على أنها ستواصل البكاء في الصباح وفي الهاجرة، وفي المساء، ولن تتوقف عن البكاء معللة ذلك بأنها فقدت بطلاً مغواراً، وفارساً صنديداً، غداً فقدته مصيبة لا تقوى على الصبر عليها. وتعدد الشاعرة مناقب عمها الذي كان يؤمر بالمعروف، ويقف إلى جانب الحق من جماعة أصحاب الفضائل، والبصائر وهو لسان قومهم وخطيبهم وزعيمهم في كل محفل من المحافل، تقول:

أصبرت عن عمي الذي قد كان بالمعروف آمر
أصبرت عن عمي الذي كان المأمور والمؤزر
إخوانه النفس الشرراة ذوو الفضيلة والبصائر
يا عم كنت لسان قومك حين يجتمع المعاشر
فلا أبكينك بالغداة وبالأصائل والهواجر
ولا إن بكيت لقسد رزئت بارس بطل مغاور⁽²⁾

تصرح الشاعرة في مقطوعة شعرية أخرى عن ألمها وحسرتها، وعظيم مصيبتها بقولها:

أبكي المغيب في الثرى بين النضائد والصفائح
أبكي وحق لي البكاة مع الغوادي والروائح

(1) يموت، شاعرات العرب (ص160 - ص161).

(2) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص239).

فلا أبكينك ما غدت شمس وما جرت البوارح (1)

ثم تعدد مناقب عمها، فهو الرجل الحكيم الذي يرجع إليه ويؤخذ برأيه ويستشار ويؤخذ بمشورته، وهو كريم حلیم وصول لرحمه وأقاربه، وعون للشاردين النازحين عن ديارهم، وهو الذي يغني الأيتام وذوي الحاجات من الناس، فيقضي حاجاتهم، ويصون كرامتهم، ويقيهم غوائل الزمان. يعم خيره كل صديق وقريب وفقير ويقيم غريب. تقول:

من ذا يرجى للنصيحة حين تفتقد النصائح

أم من يرجى للقريب ومن يكون لكل نازح

أم من يؤمل لليتيم وكل ذي غرب ونائح

أم من يعم صديقه خيرا ويحجر كل نابح (2)

لقد وقع فقد العم على الشاعرة وقع الصاعقة، أفقدها وعيها، وأذهلها عن نفسها، مما جعلها تلقي جلبابها وتخرج سافرة بغير خمار، تقول:

أقيت جابابي لعظم رزيتي وبرزت سافرة بغير خمار

وهي لا يجف دمعها، ولا يهدأ قلبها، ولا يسكن روعها، ويستكين حزنها لا ليلا ولا نهارا، تقول:

ما بال دمعك يا مليكة جار أم ما لقلبك لا يقرر قرار

أما لنفسك ليس يسكن حزنها ليلا وليس نهارها بنهار (3)

ذاك إلا جزعا على هذا الطود الشامخ الذي يجمع شمل القبيلة ويدفع عنها مصائب الزمان وغوائله وعثراته، لذلك تتمنى لو أنها كانت تملك من أسباب القوة ما يمكنها من الدفع عنه، لكانت فعلت، وما ولما أصبح مدفونا بين نضائد وغبار.

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص 240).

(2) المرجع السابق (ص 240).

(3) المرجع نفسه (ص 239).

تقول:

جزعا على من كان يجمع شملنا ونعده لنوائب وعثار
لو كنت أملك دفع ذلك لم تكن يا عم بين نضائد وغبار⁽¹⁾

وتحاول الشاعرة أن تسلي نفسها بزيارة المقابر، علما تجد فيها ما يهدأ روعها ويذهب حزنها، ولكن هيهات، لذلك تنقلب مرعدة مناقب عمها، فهو الذي ستفقد نساء الشراة وكهولهم عند ساعة الشدة والضيق، فهو الذي يفرج عنهم كرباتهم، كما سيفتقده أصحاب الحاجات، والضيوف فهو الكريم يعطي بسخاء ويسار، تقول:

زرت المقابر كي أسلي عبرتي هيهات ممن زرت بعد مزار
فلتبك نسوان الشراة بعبرة عند الحروب وكل كهل شار
ويبكيه المولى وطالب حاجة عند العشاء وكل ضيف طار⁽²⁾

وعمها فوق هذا كله يتصف بالوقار، والعفاف، والبذل والعطاء، والسخاء، وحسن الدين، حتى غدا خير قومه. تقول:

أين الذين إذا ذكرت فعالهم عرفوا بحسن عفاة ووقار
أين الذين إذا أتاهم سائل بذلوا له أموالهم بيسار
أين الذين إذا ذكرنا دينهم قالت عشائهم هم أخياري⁽³⁾

مما سبق يمكن القول إن الشاعرة أجادت في وصف عمها وصفا معنويا، حيث جعلت منه جبلا يلوذ به قومه، فيحميهم في الملحاح والمصائب، لأنه فارس قومه وسيدهم، المنكلم

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص239).

(2) المرجع السابق (ص240).

(3) المرجع نفسه (ص240).

بإسمهم في المجالس، وهو الكريم الجواد، الذي يعطي بسخاء، فيكرم الضيف ويغني الفقير والعاني، وهو الحكيم الذي تؤخذ منه النصيحة، وهو الرجل المؤمن حسن الإيمان.

4- الابن:

ترسم لنا عمرة بنت أم عمران بن الحارث الراسبي صورة مغايرة عن الصورة التي رآها الجاهلية لابنها، والصورة هنا تأخذ شكلها من القيم الإسلامية، وما غرسه الدين الإسلامي في نفوس أتباعه، من حب الشهادة، واللجوء إلى الله بالدعاء في أوقات السحر، سرا وعلانية، لكي يفوز على يد الكفار والملاحدة. تقول عمرة:

الله أيـد عمرانـا وطهـره
يدعوه سرا وإعلانا ليرزقه
وكأن عمران يدعوا الله في السحر
ولي صحابته عن حر ملحمة
شهادة بيدي ملحادة غدر
أعني ابن عمرة إذ لاقى منيته
وشد عمران كالضرغامة الهصر
يوم ابن باب يحامي عورة الدبر⁽¹⁾

إن عمران كما - تصفه الأم - مؤيد من الله ومطهر من كل ربح ودينس وشرك وكفر، مقبل على الله، محبا للشهادة، يدعوا الله في كل وقت أن يرزقه إياها، وهو رغم خذلان أصحابه وفرارهم، لم يضعف ولم يتوان، بل شد على أعدائه كالأسد الهصور. " فالأبيات تمثل الصراع بين النقيضين، أحدهما يمثل الطهر والإيمان، والشجاعة، مجسدة في شخصية عمران، والآخر يمثل الكفر والغدر مجسدين بعدو الخوارج، واستشهاد عمران لم يكن إلا تحقيقا لحلم راوده طويلا، لهذا نجد أمه لا تذرف الدموع عليه، ولا تبدي الحزن لفقدانه، بل تشيد بمآثره، وتصم قائلته بالغدر والإلحاد " ⁽²⁾. وتصور امرأة أخرى أبنائها، بأنهم بيض كسيوف الهند المصلتة مضاء وعزما، زهم في الحرب كالأسود قوة وبأسا وشجاعة، فبياضهم دليل على صحة نسبهم وشرفه، وعراقة أصلهم، وتشبيهم بالسيوف، دليل على صلابتهم وعزمهم، ومضاء عزمهم، وتشبيهم بالأسد، دليل على شجاعتهم، وبأسهم وقوتهم، وإقدامهم. لذلك فأمهم طويلة الحزن. تقول:

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص286).

(2) معيطة، شعر النساء الخارجيات، (ص43).

نجلتهم كسيوف الهند أربعة
بيضا مصاليت في الهيجاء كالأسد
حتى إذا كملوا في السن واتسقوا
أخنى على القوم وأخني على لبد
لهفي عليهم فإني من تذكهم
طويلة الحزن والإعوال والكمد
لا أفتا الدهر أبكيهم بأربعة
ما اجترت النيب أو حنت إلى ولد⁽¹⁾
5- الأسرة:

هذا عنوان أضفته لأن الأسرة تتكون من الأب والأخ والأم والخالة والزوج والعم....إلخ. وقد وجدت مقطوعة شعرية تتحدث عن هؤلاء مجتمعين مجتمعين، ولم أرد أن أغفلها، فهذه امرأة من بني شيبان يقتل أبوها، وأخوها، وأمها، وزوجها، وعمها، وخالتها، مع الضحاك بن قيس الشيباني الحروري، فما رؤيت بعد ذلك ضاحكة ولا مبتسمة، نقول:

من لقلب شفه الحزن
أو لـنفس مالها سـكن
ظعن الأبرار فارتحلوا
خيرهم من معشر ظعنوا
معشر قضوا نحووبهم
كل ما قد قدموا حسن
صبروا عند السيوف فلم
ينكأوا عنها ولا جنبوا
فتية باعوا نفوسهم
ولا ورب البيت ما غبنوا
ابتغوا مرضاة ربهم
حين مات الدين والسنن
فأصاب القوم ما طلبوا
منة ما مثلها منن⁽²⁾

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص 259).

(2) المرجع السابق (ص 237).

لقد رحل الأبرار من خيار قومها، صابرين محتسبين، غير جبناء ولا متخاذلين، لأن مطلبهم رضى الله سبحانه وتعالى في وقت ضاعت فيه السنن، ومات الذين قدموا أرواحهم رخيصة في سبيل هدفهم وغايتهم، صادقين مخلصين فمن الله عليهم بما أرادوا وهي منة من أعظم المنن.

لقد وصفت الشاعرة أقاربها وأفراد أسرتها، بأنهم أبرار من خيار قومها؛ وهما صفتان جامعتان مانعتان، ووسمت فعالهم بالحسن، وهذا منبعه الإيمان بالله والخوف منه، والخلق الكريم والنشأة الطيبة. كذلك وصفتهم بالصبر في الشدائد، ونفت عنهم الجبن والخذلان والغبن كذلك هم - كغيرهم من الخوارج - مقلوبون على الآخرة، زاهدون في الدنيا، لذلك نجدهم يقدمون أرواحهم رخيصة من أجل تحقيق غاياتهم وأهدافهم وهي مرضاة ربهم، في وقت مات فيه الدين والسنن.

المطلب الثالث: الآخر غير القريب.

لا تختلف صورة القريب- عند المرأة الخارجية - عن صورة البعيد وغير القريب، فقد حلت الأخوة في العقيدة بدلا من صلات القربى، لهذا تتشابه الصورة العامة لأفراد الخوارج في قصيدة للرثاء أيا كانت صلتهم بالشاعرة.

ومن شواعر الخوارج اللاتي رثين غير القريب في شعرهن مليكة الشيبانية، التي رثت الضحاك بن قيس الخارجي بقولها:

ما بال دمعك دائم السجم	مثل الجمال وهي من النظم
جلت مصيبتنا وقد عظمت	لما فجعت بسيد ضخم
حلو الشمائل حين تخبره	حسن السريرة ماجد شهم
يصل القرابة والجوار إذا	قطع القرابة صاحب الظلم
فلا بكينك كلما وخذت	عيسى بأرجلها على رسم
ولا بكيتك عند مجتمع ال	أملاء عند تناول الخصم ⁽¹⁾

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص240 _ ص 241).

إن دمع الشاعرة لا ينقطع، لعظم المصيبة والفجيرة فالمفقود سيد عظيم من السادات، لسيد حلو الشمائل، حسن السريرة، ماجد شهيم، يصل الرحم، ويحسن للجار بفقد في الملحاح والشدائد وحين تحتمم الخصومة. وتقول في مقطوعة أخرى:

قولي مليك عليك بالصبر تسـتـوجـبـين فضائل الأجر
قولي فإنك غير كاذبة يا عدتي لنوائب الدهر
أورثتني كمدا يورقني وتلهفا وحرارة الصدر
ومرارة العيش دائمة وحرارة كحرارة الجمر
ذهب الذي قد كان يأمرنا بالخوف والمعروف والذكر⁽¹⁾

الشاعرة هنا تصبر أملا في نيل الثواب، رغم ما أورثها الفقد من حرارة في الصدر، فالفقيد كان يأمر بالمعروف ويحث على الذكر واجتناب الذنوب والخوف من الله، وكان عدة لها من مصائب الدهر ونوائبه. ولعل اللاحاح على القيم الإيمانية في شعر الخوارج عائد إلى تأثير العقائد الخارجية التي تطمح إلى بناء الانسان من خلال الحض على الزهد في الحياة والسعي للخلود عن طريق الشهادة.

وهذه امرأة من بني سليط ترثي مرداسا وأصحابه، وتدعو لهم بالسقيا كعادة الشعراء العرب واصفة إياهم بصدق الإيمان، والصبر في اللقاء، والإقبال على الله، والوجود بأرواحهم في سبيل الفوز بالجنة. تقول:

سقى الله مرداسا وأصحابه الأولى شروا معه غيثا كثير الزماجر
فكلهم قد جاد لله مخلصا بمهجته عند التقاء العساكر⁽²⁾

أما أم الجراح العدوية فإنها تتوعد قتله أبي بلال وعروة، وهما من الخوارج، بالحرب في الدنيا، وعذاب الله في الآخرة، فتقول:

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص238).

(2) المرجع السابق (ص67).

وما بعد مرداس وعروة بيننا وبينكم شيء سوى عطر منشم
ولست بناج من يد الله بعدما هرقت دماء المسلمين بلا دم⁽¹⁾

بعد هذا العرض لمعظم أشعار النساء الخارجيات، يمكن القول أن الغرض الرئيس في شعرهن هو الرثاء، والذي حاولت المرأة من خلاله رسم صورة للرجل الخارجي يغلب عليها السمات المعنوية، كالتقى، والزهد، والحلم، والشجاعة، والمروءة، والتضحية، والفداء، والإقبال، وهذه السمات اشترك فيها جميع أفراد الخوارج، فصورة الآخر الخارجي لا تختلف عند المرأة الخارجية، سواء أكان أبا أم قريباً أم بعيداً، لأن أخوة العقيدة حلت بدلا من أخوة النسب، مما خلق تشابها في الصورة العامة لأفراد الخوارج.

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص67).

المبحث الرابع:

الآخر الأعجمي

العرب في الجاهلية يمتقنون الفرس بوصفهم وثنيين، ولما كانوا يمثلونه من تهديد وخطر، وظلم للعرب، وكان الأعشى من أشد الشعراء تصويراً للصراع مع الفرس حيث انتصار قومه على الفرس في يوم ذي قار، فقد أتى الفرس ببهرجهم وزينتهم، وقد علقوا الحلي في آذانهم وعلى رقابهم؛ دلالة على السيادة، لكن خيول العرب دكت حصونهم، وأعادتهم مخرجين بالدماء، حيث قتل منهم الكثير، وعادوا منهزمين يقول الأعشى مفتخراً:

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الْحِنُوِ صَبَّحَهُمْ
مِنَّا كَتَائِبُ تُرْجِي الْمَوْتَ فَاِنصَرَفُوا
جَحَاجِحٌ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِقَةٌ
مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطْفُ
إِذَا أَمَالُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ
مَلْنَا بَبِيضٍ فَظَلَّ الْهَامُ يُخْتَطِفُ
وَخَيْلٌ بَكْرٍ فَمَا تَتَفَكُّ تَطَحْنُهُمْ
حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارِكَنَا
فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرْفُ
لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ
مُطَبَّقَ الْأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدْفُ
وَوَظَعْنَا خَلْفَنَا كُحْلًا مَدَامِعُهَا
أَكْبَادُهَا وَجُفٌّ مِمَّا تَرَى تَجِفُ
حَوَاسِرٌ عَنِ خُدُودٍ عَايَيْتَ عِبْرًا
وَلَا حَهَا وَعَلَاهَا غُبْرَةٌ كُسْفُ
مِنَ كُلِّ مَرَجَانَةٍ فِي الْبَحْرِ أَخْرَجَهَا
غَوَاصُّهَا وَوَقَاهَا طِينَهَا الصَّدْفُ⁽¹⁾

ترسم ليلي بنت بكير صورة منكرة للفرس، الذين قاموا بخطفها، وعاملوها معاملة قاسية وحشية، فعذبوها وضربوها، على موطن العفة أملا على أن توافق على الزواج من الملك، ولكنها رفضت مفضلة الموت على الزواج من فارسي غير عربي.

(1) الأعشى، الديوان (ص 113-114).

وبداية قصتها مع ملك الفرس، أن والدها نزل في جانب من بلاد الفرس، ومعه ابنته، وكانت من أجمل نساء زمانها، فأوصل خبرها للملك وقتئذ. أحد حاشية فقال له الملك: ما عسى أن نبلغ منها والبدوية تفضل الموت على أن يغشاها أعجمي، فقال نرغبها بالمال، ومحاسن المطاعم والمشارب والملابس، وأرسل الملك فأغضبها من أبيها، ثم عرض عليها جميع المشهيات والمرغبات، وخوفها بجميع العقوبات، وعاملها بالتعذيب ليرى وجهها فأبت، وخيرته بين أن يقتلها أو يعيدها لأبيها، ولما يئس منها أسكنها في موضع وأجرى عليها الرزق واكتفى برؤية قوامها تحت ملابسها في بعض الأحيان، وكان لليلي المذكورة ابن عم من بني بكر، فارس شجاع يقال له البراق، فاحتال حتى خلصها.⁽¹⁾ تقول ليلي وهي في أسرها مخاطبة اختها وابن عمها، ومصورة حالها:

ليت للبراق عيناً فتري	ما ألقى من بلاء وعنا
يا كليباً وعقيلاً إخوتي	يا جنيداً أسعدوني بالبكا
عذبت أختكم يا ويلكم	بعذاب النكر صباحاً ومسا
غالبوني، قيدوني، ضربوا	لمس العفة مني بالعصا
يكذب الأعجم ما يقربني	ومعي بعض حشاشات الحيا
فأنا كارهة بغيكم	ويقين الموت شيء يرتجى
فاصطبار أو عزاء حسن	كل نصر بعد ضر يرتجى
أصبحت ليلي تغل كفها	مثل تغليل الملوك العظما
وتقيد وتكبّل جهرة	وتطالب بقبيحات الخنا ⁽²⁾

(1) ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص32).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص32 _ ص33). النكر : الصعب الشديد. الحشاشة : بقية الحياة. الأعجم :

غير العربي. الحيا : الخجل.

إنها تستنهب قومها من أجل تخليصها من المهانة والذل والمعاناة، فالأعاجم ضربوها، وقيدوها، وسجنوها، وضربوها، على موطن العفة، ولا يفعل ذلك بالنساء إلا الغلاظ، الطغاة، الجفاة، الذين لا نخوة عندهم ولا إنسانية ولا رحمة، ولا قيم أخلاقية، بل كانوا أشبه بالوحوش الضارية.

إنها أنزلتهم منزلة دونية، لا ترقى إلى مستوى العرب، ولذلك فضلت الموت على أن تعطيم مبتغاهم، حتى ولو كانوا ملوكا.

لذا ترجوا من قومها أن ينهضوا لحرب الفرس وتخليصها من أسرهم مستنهضة همهم، ومحذرة لهم من العار الذي قد يلحق بهم طوال العمر وتعرض ببني أنمار الذين زينوا للملك خطفها:

أتدلون علينا فارسا	يا بني أنمار يا أهل الخناء
يا إياد خسرت صفقتكم	ورمى المنظر من برد العماء
يا بني الأعماص إما تقطعوا	لبني عدنان أسباب الرجا
فاصطبارا وعزاء حسنا	كل نصر بعد ضر يرتجى
قل لعدنان فديتم شمروا	لبني الأعجام تشمير الوحي
وأعقدوا الأيات في أقطارها	وأشهبوا البيض وسيروا في الضحي
يا بني تغلب سيروا وانصروا	وذروا الغفلة عنكم والكرى
واحذروا العار على أعقابكم	وعليكم ما بقيتم في الورى ⁽¹⁾

(1) مارديني، شواعر الجاهلية (ص297). أنمار : حي من خزاعة. والشاعرة تهجوهم لأنهم حسنوا لكرى خطفها. إياد : حي من معد. العمص : ضرب من الطعام.الوحي: النار . يقال للملك وحي، لأنه مثل النار ينفع ويضر. العقب : عقب القدم مؤخرها

وهناك حادثة أخرى تمثل نظرة العرب للفرس، فالعرب تأنف أن تزوج بناتها للأعاجم حتى ولو كانوا ملوكا، ولو كان هؤلاء أولياء نعمتهم، فقد رفض النعمان بن المنذر تزويج ابنته لكسرى، أنفه وكبرياء وعزة وشموخا، من أن يطأها أعجمي، حتى ولو كان كسرى، وهذا الرفض كان ثمنه حياته وعندما أراد كسرى أخذ بنته عنوة استجارت بقبائل العرب، والتي أجارتها امرأة من بني شيبان تسمى صفية بنت ثعلبة الشيبانية، وطلبت من قومها ومن ساندهم من قبائل العرب الدفاع عن جارتها _ وكان اسمها "الحرقة" _ وفي ذلك تقول:

أحيوا الجوار فقد أماتته معاً
كل الأعارب يا بني شيبان
ما العذر لقد لفت ثيابي حرة
مغروسة في الدار والمرجان
بنت الملوك ذوي الممالك والعلى
ذات الحجال وصفوة النعمان
أتهاتفون وتشحدون سيوفكم
وتقومون ذوابل المـرـان
وتسومون جنودكم يا معشري
وتجددون حقيبة الأبدان
وعلى الأكاسر قد أجرت لحره
بكهول معشرنا وبالشبان
شيبان قومي هل قبيل مثلهم
عند الكفاح وكرة الفرسان؟
لا والذوائب من فرع ربيعة
ما مثلهم في نائب الحدثان
قوم يجيرون اللهيف من العدا
ويحاط عمري من صروف زماني
ترد الهياج بنو أبي لا تتقي
مسطى العدو وصوله الأقران
إني حجيجة وائل، وبوائل
ينجو الطريد بشطبة وحصان
يا آل شيبان ظفرتم في الدنيا
بالفخر والمعروف والإحسان⁽¹⁾

(1) يموت، شاعرات العرب (ص11).

وتفخر الشاعرة على الفرس في مشهد يقل مثيله، فالشاعرة تأخذها العزة بقومها وأهلها الذين لا يذل الجار فيهم، فهم أهل الكرم والعزة والشرف، والإباء والشاعرة إذ تفاخر بقومها، فإنها تعرض تعريضاً خفياً بالفرس ممثلين في ملوكهم الأكاسرة، فهم وإن كانوا ملوكاً فإنه لا يليق بهم أن يفكروا في الزواج ببنات العرب، ثم أن الشاعرة لا تخاطب في شعرها كسرى مباشرة، بل بطريقة غير مباشرة، استعلاء وعزة وترفعاً:

أنا الحجيجة من قوم ذوي شرف	أولي الحفاظ وأهل العز والكرم
والعز فيهم قديماً غير مقترف	والجار فاعلم عزيزاً داره بهم
قولوا لكسرى أجراً جارة فتوت	في شامخ العز يا كسرى على الرغم
نحن الذين إذا قمنا لداهية	لم نبتدع عندها شيئاً من الندم
نحيط جارتنا من كل نائبة	ونرفد الجار ما يرضى من النعم ⁽¹⁾

لعلنا نلمس نبرة التحدي حاضرة في قولها، فالشاعرة لا تبدي الخوف والقلق من غضبة الفرس. بل نراها معتدة بقومها ومنعتهم، واثقة من نصرهم. ثم إن الشاعرة ترسم صورة جميلة لنتيجة إحدى المعارك مع الفرس، حيث الغنائم والسبايا، اللاتي يرفلن في الدمقس والحريير واللؤلؤ والمرجان وإلى غير ذلك من مظاهر زينة الفرس وربما أرادت الشاعرة أن سباياهم من بنات الأمراء والملوك ذوات المنزلة الرفيعة عند الفرس وهذا النوع من المبالغة في الإنتصار، ومحاولة لإيلاء العدو وإذلاله ورفعاً لهم وقومهم. تقول:

سأقت فوارس شيبان لمعشرها	خير الصنائع فيها طفرة العجم
غنماً سبايا من الديباج فرشهم	والتستري وأفنان من القسم
ثم النصار وفيه الدر منتظم	واللؤلؤ العجم والمعرف بالانظم ⁽²⁾

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص142- ص143).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص12).

لقد ذكرت الشاعرة السبايا كعادة العرب الذين يرون لسبي الناس إذلالاً لأعدائهم الذين لم يستطيعوا الذود عن نسائهم وحمائتهن ومنعهن من السبي.

ويرسل المنصور - وهو عربي وقائد من قادة جند كسرى - إلى بني شيبان يطلب منهم أن يسلموه الحرقة (هند بنت النعمان)، على أن يبرئ ذمة الشيبانيين عند كسرى، فردت عليه صفية بنت ثعلبة، مستهجنة ومستغربة ومتسائلة في شيء من التعريض بالمنصور، هل هناك من العرب من زوج الفرس من العرب، وكأن هذا الأمر جريمة كبرى، ومصيبة عظيمة، وعيب يصم أهله. تقول:

قولا لمنصور لا درت خلائفه
ما صاح فيهم غراب البين أو نعقا
من زوج الفرس يا متبول قبلكم
من الأعراب يا مخذول أو سبقا
اختر عذمتك من قدم أختة
فانطق فإنك شر الناس إن نطقا
يا ويح أمك يا منصور إن لنا
خيلاً كراماً تصون الجار ما علقا⁽¹⁾

ثم أن الشاعرة تهدد جيش الفرس إذا ما قدم مع المنصور فإنه سيمزق تمزيقاً، وكل جيش آخر سيلقى نفس المصير، ولن ينال أحد من جارتها طالما هي في جوارها. تقول:

بالله لا نال منصور لجارتنا
وكل جيش يجي يرجفه فرقا
فمت بغيظك يا منصور وأحي على
بغضاك قومي وشمر كل يوم لقا⁽²⁾

ثم نرى الشاعرة ساخرة من عدوها، حيث تطلب منه أن يتمنى أخذ جارتهم، ولكن بني شيبان لن ترضى بالذي كتب وعببه أن يتوقف عن طلبه إن أراد البقاء حياً:

واحذر تمنى فما تعطى منك بها
تلك الأمانى تعيد الضعف والعرقا
آلت بنو بكر ترضى ما كتبت به
يا ابن الدنيا فاجعل إن أردت بقا⁽³⁾

(1) يموت، شاعرات العرب (ص12).

(2) المرجع السابق (ص13).

(3) المرجع نفسه (ص13).

وترسم الشاعرة صورة أخرى للفرس، وهي صورة الجيش الذي حباها مجهزا بالحديد من خوذ وسيوف ودروع وتروس، ويلبس الجلود ومعهم بعض الجنود من العرب الذين ناصرهم من اليمن. إلا أن الشاعرة تبدي تحدياً واضحاً لهؤلاء الجند، ومرد ذلك ثقافتها في فرسان قومها، ومن ناصرهم من شجعان العرب، تقول:

ماذا أحاذر من عشرين يقدمهم
من الجياد عليها الحي من يمن
وعندي الأفقم الهماس في فئة
وعقبة وعبادة والربيع إلى
والصلت مع سالم والمالكان معاً
ونافع وعمير والمروح في
والأحوصان وأعواف وأحسبهم
منصور في حي غسان على نجب
والعجم ترفل في الماذي واليلب
منهم ظليم وعمار بن ذي كرب
ذي العزة الفارس الحمال بالكتب
ومسلم بعد بكر الفارس الأرب
فرسان شيبان لا ميل ولا غضب
وابن المسيب من ذي الخيل بالقضب⁽¹⁾

ثم إنها تسخر من جيش الفرس الذي جاء مجهزا بكامل عتاده، مغترا بقوته، وتعجب مما يخوفها بلقائه، وتتوعد الفرس في تحد وإصرار بأن يوم اللقاء هو الفاصل وسيبين الضعيف من القوي، والشجاع من الجبان، ومن يدافع عن قضية مشرفة، ومن جاء طاغيا باغيا. تقول:

لأجل عشرين ألفاً أضح صارخة
لا تكتشفوني بهذا اليوم وارتقبوا
في آل بكر وذا شيء من العجب
يومي لوقت اجتماع العجم والعرب⁽²⁾

في صورة أخرى لجيش الفرس، تبين لنا الشاعرة، أنه مكون من مرتزقة من أجناس مختلفة، وليس خالصاً من الفرس، وذلك أن الفرس إما ضنوا بدماء أبنائهم، أو أنهم جبنوا من لقاء العرب، ولم يقدرُوا على مواجهتهم، والشاعرة ما زالت واثقة من النصر، غير آبهة

(1) يموت، شاعرات العرب (ص13).

(2) المرجع السابق (ص18).

بالتهديدات، وكيف تفزع من جنود الفرس ووراءها جموع من العرب الفرسان المجريين، الذين
رضعوا الحرب صغاراً، وخاضوا غمارها كباراً.

تقول الشاعرة في معرض ردها على رسالة الطميح - وهو الطميح الذي كان قائداً من
قادة كسرى، وكان يظن بدماء قومه أن يهدرها كسرى - التي يحذرهم فيها من أن كسرى أرسل
لهم جيشاً عظيماً:

لله درك من نصيح صادق
والله يجزيك الذي أرسلته
لكن دون السلم سمرّاً ذبلاً
وصوارم مشحوذة وسوابغ
واليوم يوم حجيجة من وائل
ولعمر جدك إن عناني جنده
شيبان قومي والأعارب دعوتي
قل للطميح: ففته فتیان الوغى
بالله أفزع من كثيف جنوده
فليات كسرى والأياض بعده
ولدي أبيض صارم ذو صعدة
جني حرب في الحروب مجرب
هزم الجيوش بجحفل من قومه
عندي السلاهب والقواضب والقنا

والنصح رأيك أيها الإنسان
إن المهيمن واصل منان
لمعاشري من معشر فتیان
وأبو جیاد كلهن حصان
جاءت بها الأنباء والأزمان
فمعي له الشفقات والمران
وعزيزة فيهم فلسست أهان
عندي لكسرى القلب والأبدان
وأنا تجيب لدعوتي العريان
والتبرك والأدلام والحبشان
عند الكريهة باسل مطعان
ولدى السلامة إنه إنسان
لاقيه يوم لقائه خسران
ومدججون، الشمط والشبان

وأنا الحجيجة من ذؤابة وأئل
أبلغ طميحاً يا رسول وقل له
أهل النصيحة يا فتى شيبان⁽¹⁾

وفي معرض حديث الشاعرة في قومها حين خيرتهم في الصبر على قتال الأعداء،
وبين رحيلها عنهم هي وجارتها مستجيرة بغيرهم، وفي هذا اسثارة لهمهم وشحد لقواهم، وتأجيج
الحمية في صدورهم، في حديثها هذا ترسم الشاعرة صورة مرعبة لجيش كسرى، الذي جاء
مدججا بالسلاح ولا يقف في وجههم إلا فرسان شجعان صبر على القتال. تقول:

ماذا ترون بني بكر فقد نزلت
أصبرون لشعواء ملممة
أم لستم أهل صبر في لوازمها
أني أجرت بكم يا قوم فاصطبروا
إما صبرتم فلا أدعو لغيركم
بكل سام إلى الهيجاء ذي شرف
ذي مرة لا يخاف الجند إن كثروا
كبرى الذؤاب والأخرى على الأثر
فيها الأعاجم بالنشاب والوتر
عند الحفائظ والجارات والخفر
فالصبر يحلل فوق الأنجم الزهر
وإن جزعتم أنادي كل ذي حضر
واري الزناد كريم الجلد من مضر
في سادة قادة معروفة صبرة⁽²⁾

من حديث الشاعرة مع قومها، يتبين لنا مدى قوة جيش الأعاجم وكثافة عدده، وكثرة
عتاده، وجاهزيته للقتال، بحيث يصعب قهره إلا بالصبر والجلد، لذلك تحاول الشاعرة إعطاء
شحنات نفسية لقومها فتذكرهم بالحرمان وإغاثة الملهوف وإجابة المستغيث وإجارة المستجير،
وهي من أهم الأمور التي افتخر بها العربي وحرص عليها.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 15).

(2) المرجع السابق (ص 15 - ص 16).

لذلك نجدها في موضع آخر تستهض هم القبائل العربية بذكر محاسنها ومفاخرها،
ومحذرة من انتهاك أعراض الحرمات الطاهرات العفيفات على يد جيش الأعاجم المرعب
المخيف كثيف العدد. تقول:

إيهاً أجدوا الضرب يا حنيفة
فأنتم الجمجمة الشريفة
أهل اللقا، والعمدة المعروفة
والعدة المنسوجة الموصوفة
حامي على أعراضك النظيفة
الطاهرات ويحك العفيفة
إن الجنود حولكم كثيفة
فلا تهائم وتزدكم خيفة(1)

ثم تدعو الشاعرة قومها بني عجل - وفيها أخوها وأبوها - طالبة منهم أن يلتحموا
بجيش العدو، حتى لا يكونوا صيدا سهلا لسهامهم، وهذا فهم وخبرة بالقتال، لأن فاعلية السهام
تتعدم حين تتعدم المسافات بين الجند، يلتحم الفرسان، كما تطلب الشاعرة منهم أن يمعنوا في
قتل عدوهم حتى يبيدوهم عن آخرهم:

الفخر فخري بسراة عجل
هم معشري في نجدهم والسهل
هم السراة وحماة الأهل
والفائقون بشريف الفعل
والمنعمون بشريف البذل
والناقمون بعريض الرجل
إيهاً أبيدوا جمعهم بالقتل
ولا تكونوا غرضاً للنبيل

واختلطوا فيهم بغير مهل(2)

كما تحذر الشاعرة قومها من الخوف والفرار من وجه أعدائهم، لأن الأعاجم ظلمة
متجبرون، غلاظ شداد، إن سخت لهم فرصة سيعملون سيوفهم في الجميع شيبا وشباناً، نساء
وأطفالاً، لذلك تستهضم بقولها إن الذي يطلب العليا لا يخشى الموت، بل يزود عن حماه،
ويسعى لمبتغاه، من أجل تحقيق العزة والشرف، اللذين يكمنان في النصر على الأعداء.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص16).

(2) المرجع السابق (ص18).

تقول:

إيهأ بني شيبان صفاً بعد صف
من يرد العلياء لم يخش التلف
من حاذر الموت تنحى ووقت
إن الشجاع باسل فيه الصلف
إن تقبلوا نظفر، ونحذر ونخف
وفي الفرار يولجوا فينا الأكف
اليوم يوم العز موصوف الشرف
إن حافظت قومي فما بي من أسف⁽¹⁾

وتصر الشاعرة على رسم صورة الأعاجم الطغاة الذين حاووا غاضبين حانقين، لا يألون في العرب ألا ولا ذمة، ويريدون أن يهلكوهم جميعاً، لذلك وجب على قومها الصبر والجلد:

اليوم يوم العز لا يوم الندم
يوم رماح وجياد وخدم
يوم به الأرواح جهراً تصطم
سوف ترى البيض غداة المبتسم
للوائليات التي تحمي البهم
يا آل بكر لا تهلكم العجم
من يحمي الخيام والنعيم؟
ومن يطاعن تحت سريال القتم

إن صبرت ذهل فعزي اليوم تم⁽²⁾

وفي مشهد آخر تظهر الشاعرة الأعاجم وهم يتخطفون بأيدي العرب الذين أسرفوا فيهم قتلاً، تقول:

أنا ابنة العز وعرضي اليوم عف
بكل نصل كالشهاب المختطف

نخطف قوماً قد عفونا بسرف⁽³⁾

(1) يموت، شاعرات العرب (ص17).

(2) المرجع السابق (ص17).

(3) المرجع نفسه (ص18).

وتقول حين اشتد القتال حائثة قومها على مزاحمة العدو عند العقبة:

يا عمرو يا عمرو الفتى بن ثعلبه
حام على جارتك المستقرية

وزاحم العجمان عند العقبة⁽¹⁾

وتخاطب الشاعرة العرب الذين كانوا يناصرون الفرس ضد قومهم العرب، طالبة منهم خذلان الفرس ونصرة أهلهم العرب فأن فعلوا تحفف النصر للعرب على الفرس. تقول:

ليس للعجم نصره في عشيري
إن أراد الطميح نجل الكرام

إن تولت لنا إياد انهزاماً
كان منهم هزيمة الأعجام

وملكننا العلو والفجر طول
الدهر حتى أواخر الأيام⁽²⁾

وهناك مشهد مهيب لنتيجة معركة شديدة تتمناها الشاعرة، وهذا المشهد لجيش الأعاجم، وهم بين صرعي على ساحة المعركة، ودمائهم تملأ المكان، ومتفرقين بين فار لا يلوي على شيء سوى صون دمه، والحفاظ على حياته، ومستلم لا حيلة له. وخيل للعرب تطاردهم في كل مكان. تقول الشاعرة:

يا عمرو يا من قد أجار الحرقة
يا رأس شيبان الكمأة المعرقة

يا فارس العادية المحققة
اليوم يوم ما العيون أرقاة

إذا رأته فيه دماء مهركة
والعجم صرعي جمعهم مفترقة

مقتولة تنفر شتى، قلقة
أدرك شهاباً فهو اليوم الثقة⁽³⁾

(1) يموت، شاعرات العرب (ص18).

(2) المرجع السابق (ص19).

(3) المرجع نفسه (ص19).

وبعد انتصار العرب على الفرس انتصارا عظيما في واقعة (ذي قار) تزهو الحزقة
بالنصر، فتقول:

رغمنا بعمرؤ أنف كسرى وجنده
وما كان مرغوما بكل القبائل
هذا قصارى الأمر فاحمل محسرا
لكميك ما بين الظبا والذوابل⁽¹⁾

لقد مرغ العرب أنف كسرى وجنوده بالتراب، وأرجعوهم مهزومين مدحورين، لم يحققوا
مبتغاهم، وغنم العرب منهم مغانم عظيمة، وأهمها الغنم المعنوي وهو حماية أعراسهم،
وصونها، وحفظ جارتهم من أن يمساها السوء. لذلك نجد الحزقة تمدح صفية بنت ثعلبة وقومها
وتعرض بكسرى وقومه. فتقول:

المجد والشرف الجسم الأرفع
لصفية في قومها يتوقع
ذات الحجاب لغير يوم كريهة
ولذا الهياج يحل عنهم البرقع
لا أنس ليلة إذ نزلت بسوحها
والقالب يخفق والنواظر تدمع
والنفس في غمرات حزن فادح
ولههم الفؤاد كئيبا أتفجع
مطرودة من قتل أبوتي
ما إن أجار ولم يسعني المضجع
ويئست من جار يجير تكراماً
فتحل عن عيسى لديه الأنسع⁽²⁾

وتصور الحزقة عدوان كسرى والفرس على العرب، حيث أرسلوا الحملة بعد الحملة ضد
العرب، إلا أنهم فشلوا في تحقيق مبتغاهم حيث الهزائم المتتالية، والانكسارات المتوالية،
والخسائر الكبيرة في الجند والعتاد والمال، تقول:

وألح كسرى بالجنود عليهم
وظميح يردف بالسيف ويدفع

(1) يموت، شاعرات العرب (ص23).

(2) المرجع السابق (ص24).

كم زادهم من غارة ملمومة
وهم عليه واردون بطرفهم
حتى غدا الفرسى في أجناده
فهنالك أرجفت البلاد ومن ب
وتحيروا فشففت صافية مفخراً
بالقرب تعطب والأسنة تلمع
والنصر تحت لوائهم يترعرع
والقوم جرحى والمذاكي ظلّع
ها الأحياء من يمن ومن يتربع
ودعت قبائل شرها لا يقلع⁽¹⁾

ورغم هذا العداء المحتدم بين العرب والفرس في العصر الجاهلي كما رأينا، ورغم هذه الحرب الشعواء بينهم، إلا أننا قد نجد من العرب من يفخر بأمه الأعجمية، مثل زينب بنت فروة التميمية التي افتخرت بأماها الأعجمية قائلة:

وإن ابنة الدهقان كسرى تناولت
ولم يحتطب أُمي على غير ثلةٍ
إلى الموريات الموت والمصدراته
فطارت لوادي الزند لا واهي القوى
من اللابسات الريط زهراء لم تبت
ولم ير في أفناء مرة مثلها
بطعن الكماة واختلاس المعابل
ولم يحتطب إلا بطعن المقاتل
أولات المنون كالقنى الذوابل
ولا برم نكس كثير الغوائل
تحش مع الآماء وقد المراجل
ولا عند قيسي غنيمة قافل⁽²⁾

وأخيراً يمكن القول أن المرأة العربية نظرت للأعجمي على أنه كائن غريب لا تألفه، وعدو لا تأمنه، ووضع لا ترضى الزواج به، منطلقة من انتماء لأصالة في الحسب، وشرف في النسب، وعصبية غير خفية.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص25).

(2) المرجع السابق (ص94). وابن طيفور، بلاغات النساء (ص182).

الفصل الرابع
الدراسة الفنية
(اللغة - الصورة البيانية - الموسيقى)

المبحث الاول اللغة

اللغة: هي أحد العناصر الأربعة التي تعارف عليها النقاد قديما وحديثا وهذه العناصر هي: العاطفة، والخيال، والمعنى، واللغة، وتحدد نسبة الجودة في العمل الأدبي، بمدى الإجابة فيها.

"واللفظة تعتبر السبب الأساسي لكل نقد يوجه إلى اللغة، ولا غرابة في ذلك، فاللفظة هي أصغر الوحدات ذات المعنى في الكلام المتصل " (1)

واللفظ يخضع لمقاييس جودة تجعلنا نصدر أحكامنا عليه وفقها، فيا ترى ماذا قال عنه القدماء، يقول قدامة بن جعفر: " نعت اللفظ أن يكون سمحا، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة " (2)

وربما يكون قول الجاحظ أكثر وضوحا حين يقول: " وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذا لا ينبغي أن يكون وحشيا، ألا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي. وكلام الناس من طبقات، كما أن الناس من طبقات " (3)

فالجاحظ يرى أن للبيئة أثرا واضحا في اللغة، فلغة البادية وحشية، جزلة، بينما لغة الحاضرة سهلة لينة سلسلة رقيقة.

إن اللفظ الجيد، هو الذي تتباعد مخارج حروفه، فيسهل نطقه، ويجب أن يكون حسن الوقع على السمع، وألا تكون الكلمة وحشية غريبة غير مألوفة الاستعمال، وألا تكون عامية مبتذلة، أو ساقطة سوقية.

وأن تكون الكلمة جارية على القواعد العربية في التصريف، وألا تكون كثيرة الحروف لكي لا تنتقل على اللسان في النطق، ثم ينبغي أن تكون الألفاظ مشاكلة للمعاني التي تعبر عنها

(1) كامل، دلالة الألفاظ العربية وتطورها (ص6).

(2) قدامة، نقد الشعر (ص74).

(3) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/144).

- فالمعنى الخسيس يعبر عنه لفظ الخسيس - أما التراكيب فينبغي أن تكون خالية من التنافر⁽¹⁾.

وهناك عوامل غير البيئة تؤثر في اللغة، مثل الثقافة، والموضوع فالثقافة كان لها تأثير بارز على لغة الشواعر المسلمات، وذلك أن أثر الدين الإسلامي بدا بينا واضحا في لغتهن، وأما بالنسبة للموضوع فهو أيضا له أثر بارز، فلغة شعر الرثاء ليست كلغة الغزل مثلا، لأن كل موضوع له ألفاظه التي تعبر عنه، يقول ابن الاثير: " إن الألفاظ تنقسم في الإستعمال جزله ورقيقة، ولكل منها موضوع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد، والتخويف وأشباه ذلك، وأما الرقيقة منها فانه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر الأيام البعاد، وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك " (2)

يجمع النقاد العرب القدماء والمحدثون على جودة الشعر الجاهلي وحسن تنظيمه، وقوة سبكه، وجمال صورته، ولطافة معانيه وصدقها، وقوة مبناه، وعمق ولالته، (3)

حيث فرضت اللغة الجاهلية نفسها على لغة الشعر في العصر الاسلامي فقد " بقي شعر المحضرمين في غالبه محافظا على عظمة الشعر الجاهلي وأسلوبه متمسكا بالمثالية التي كان يصدر عنها الشعر قبل الاسلام، فهو بعامة يتسم بالايجاز، وقوة التعبير، وجزالة اللفظ، وتعدد الموضوعات، وبراعة الأوصاف " (4)

وليس هذا الأمر في لون واحد من ألوان الشعر، بل في أغراضه المختلفة، يقول يحيى الجبوري: " أما من حيث عموم الشعر فالنهج الجاهلي هو السائد في أساليب الشعراء في المديح، والهجاء، والفخر والرثاء " (5)

لكن اللغة لم تظل جامدة متوقفة عند العصر الجاهلي بل إنها أبدت حيوية كبيرة حين استقبلت يدعي ورحابة صدر هذا الزخم الحضاري الهائل المتمثل بالإسلام الذي بدوره حقق لها شخصيتها الفذة المستقلة ومنحها طاقات أكبر، وأكسبها مرونة أكثر كي تنمو وتتطور، وهذا لا

(1) ينظر: قدامة، جواهر الالفاظ (ص3- ص8) عن ابي علي، نبيل، شاعرات عصر الاسلام الاول (ص166).

(2) الشايب، الاسلوب (ص76).

(3) ينظر: الحديثي، دراسات نقدية في الشعر العربي (ص19).

(4) الجبوري، شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه (ص348).

(5) المرجع السابق (ص348).

يعني أنها خلعت ثوبها القديم بقدر ما يعني أنها ثبتت جذورها ورفعت ورفعت جذعها فرعت فروعها. (1)

لقد استخدمت شواعر الجاهلية الفاظ البكاء بكثرة في شعر الرثاء، ومثل هذه الالفاظ والتراكيب كانت ذات أثر واضح في رثاء النساء قبل الإسلام تقول الخنساء:

أعيني جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان لصخر الندى (2)

وتقول:

أعيني هلا تبكيان على صخر
بدمع حثيث لا بكى ولا نذر (3)

وتقول عاصية البولانية (4):

أعاصي جودي بالدموع السواكب
وبكى لك الويلات قتلى محارب (5)

وتقول سبيعة بنت عبد شمس:

أعيني جودا على المطلب
بويل وماله منسكب (6)

وتقول عاتكة:

أعيني جودا ولا تبخلا
بدمعما بعد نوم النيام (7)

(1) النعمة، المراثي الشعرية في عصر صدر الاسلام (ص197).

(2) الخنساء، الديوان (ص31).

(3) المرجع السابق (ص48).

(4) عاصية البولانية بنت عبد العزى الطائي، كانت شاعرة مجيدة وشعرها قليل، قيل: إن بني محارب غزت طيناً وفتكت فيهم لغياب سراتهم ورجعت غائمة فقالت عاصية تندب قومها وتهجو محاربا بقولها:

أعاصي جودي بالدموع السواكب... وبكى لك الويلات قتلى محارب.
ينظر: العاملي، الدر المنثور، (ص326).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص71).

(6) المرجع السابق (ص114).

(7) المرجع نفسه، (ص115).

وعلى نهج شاعرات الجاهلية سارت شاعرات الاسلام، فهذه ليلى الاخيلية تبدا كثيرا من مقطوعاتها الشعرية، وقصائدها بمطالع بكائية كالتى كانت في العصر الجاهلي تقول:

أيا عين بكى توبه ابن الحمير بسح كفيض الجدول المتفجر (1)
وتقول:

يا عين بكى بدمع دائم السجم وأبكي لتوبة عند الروع والبهم (2)
وتقول:

لتبك العذارى من خفاجة كلها إلى الحول صيفا دائبات ومربعا (3)
وتقول فاطمة بنت الأحجم:

يا عين بكى عند كل صباح جودي بأربعة على الجراح (4)
وتقول ابنه عقيل بن أبي طالب:

عيني ابكى بعبرة وعويل واندي أن ندبت آل الرسول (5)
وتقول زينب بنت العوام:

أعيني جودا بالدموع فأشرعا على رجل طلق اليدين كريم (6)

ويمكن أن نتبين مما سبق أن الشاعرة في العصر الإسلامي حذت حذو الشاعرة الجاهلية في المطالع البكائية، وهذا ليس لأن الشواعر المسلمات حديثات عهد بالإسلام، فهذا

(1) الاخيلية، الديوان (ص71).

(2) المرجع السابق (ص71).

(3) المرجع نفسه (ص86).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص164).

(5) المرجع السابق (ص166).

(6) المرجع نفسه (ص171).

حكم ربما ينطبق على البعض من المحضرات، ولكن ليلي الأخيلية (ت 980) شاعرة متأخرة وابنة عقيل قالت شعرها بعد استشهاد الحسين - رضى الله عنه، وهذا في وقت متأخر ولكن المرأة تظل هي المرأة، رقيقة الشعور، مرهفة الإحساس، ضعيفة، تلجا إلى تفرغ شحناتها النفسية، وتوتراتها، وآلامها، وما يعترئها من خلال البكاء والندب والعيول والصراخ، فهذا هو متنفسها في كل زمان.

لقد تفاوتت لغة الشواعر في هذه المرحلة من الأدب العربي، فمن الشاعرات من كانت ألفاظها تميل الى الجزالة والعرابة ومنهن من كانت لغتها سهلة واضحة، تنسب انسيابا ومنهن من لجأت إلى اللغة الجزلة متينة التركيب واضحة المعنى.

ومن الشواعر اللاتي استخدمن لغة غريبة في شعرهن ام قيس الضبية اذ تقول:

من للخصوم إذا جد الضجاج بعد ابن سعد ومن للضمر القود
فرجته بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقلب غير مزوود (1)

فكلمة (الضجاج) وكلمة (مزوود) لفظتان مغرقتان في الغرابة التي تحتاج الى البحث عن معناه في كتب المعاجم.

ومن الشواعر اللاتي كانت ألفاظهن جزلة قوية، وتقدمن على غيرهن من شواعر عصرهن، الخنساء، التي كانت تول شعرها اهتماما خاصا في لغته وموسيقاه، حتى غدا شعرها شواهد على الوان من البديع. تقول:

حامي الحقيقة محمود الخليفة مهـ دي الطريقة نفاع وضرار
فعال سامية وراذ طامية للمجد نامية تعنيه اسفار
جواب قاسيه جزار ناصية عقاد الوية للخيل جرار
حلو حلواته فصل مقالته قاس حمالته للعظم جبار (2)

(1) شاعرات، يموت العرب (ص 87).

(2) الخنساء، الديوان (ص 46).

أن الذي ساعد الخنساء على الإهتمام بألفاظها سعة قاموسها اللفظي، وهذا يجعلها تتساق أحيانا خلف الألفاظ والمواعمة بين أصواتها، حتى ليؤخذ عليها أحيانا التكلف وتظهر الصنعة في شعرها. (1)

ومن الشواهد على لغتها السهلة الواضحة قولها:

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ولكن لا أزال أرى عجبولا وبأكية تنوح ليوم نحس (2)

ومن الشعر الذي جمع بين جمال اللغة ورصانتها وجزالتها، وبين حسن النظم والصياغة، مما جعلها قطعة موسيقية غاية في الإتقان، قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

وحي أبحت وحي صبحت غداة الهياج منيا عجالا
وخوف وردت وثغر سددت وعلج شددت عليه الحبالا
ومال حويت وخيل حميت وضيف قريت يخاف الوكالا (3)

ومثلها الفارعة بنت شداد، التي جاءت ألفاظها قوية معبرة، مع جودة في النظم، وجمال في المعنى، تقول:

شهاد أنديّة رفّاع ابنيّة شداد ألويّة فتّاح اسداد
نحار راغيّة قتال طاغيّة حلال رابيّة فكاك اقياد
قوال محكمة نقاض مبرمة فراج مبهمّة حبّاس اوراد
حلال ممرعة حمال مضلعة قراع مفضعة طلاع انجاد (4)

(1) ينظر ابو علي، شاعرات عصر الاسلام الاول (ص174).

(2) الخنساء، الديوان (ص72).

(3) مارديني، شواعر الجاهلية (ص 235 - ص 236).

(4) المرجع السابق (ص290).

ومن الشعر الذي جمع بين البناء المحكم، وملاءمة الألفاظ لمعانيها قول جنوب:

فأقسم يا عمرو لو نبهاك إذن نبها منك داء عضالا
إذن نبها غير رعيده ولا طائش رعش حين صالا
إذ نبها ليلت عريسة مفيدا مفيتا نفوسا ومالا
إذ نبها واسعا ذرعه جميع السلاح جليدا بسالا
هزيرا فروسا لأقرانه أيبا اذا صاول القرن صالا (1)

لقد أعجب القدماء بهذه القصيدة، حتى قال عنها ابن طباطب: " وأحسن الشعر ما يوضع فيه كل كلمة موضعها، حتى تطابق المعنى الذي أريدت له، ويكون شاهدها معها لا يحتاج الى تفسير من غير ذاتها... فتأمل تنسيق هذا الكلام وحسنه " (2)

ولا شك أن الدين الاسلامي أحدث اثرا كبيرا في العرب، فهدب سلوكهم، ورقق طبعه، وأثر في لغتهم التي مالت الى السهولة والوضوح والبعد عن الوحشية والغرابية، لأن ذلك لم يعد يناسب العصر، ولكن التغيير كان بطيئا. يقول ابن فارس " كانت العرب في جاهليتها على إرث آبائهم في لغاتهم، وآدابهم، ونسائكهم، وقرابينهم، فلما جاء الله - جل ثناؤه - بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادات زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفا الآخر الأول " (3)

ويقول الشورى: " كان الشعر في أوائل ظهور الإسلام خالية من آية مسحة دينية، أو أي لفظة تشعرننا بأننا قد نظمت في ظلال الدين الجديد... وهذا أمر طبيعي، لأن حياة المسلمين لم تكن قد اكتملت بعد في تلك الأيام، ومن ثم لم يستطع هؤلاء الشعراء استيعابها وفهمها فهما جيدا، حتى يتناولها في أشعارهم، وبمرور الزمن، وانتشار الإسلام وتوالي نزول القرآن، ودوام

(1) مارديني، شواعر الجاهلية (ص 233 - ص 234).

(2) ابن طباطبا، عيار الشعر (ص 215 - ص 216).

(3) ابن فارس، الصحابي فقه اللغة (ص 78).

تلاوتة، بدأت ألفاظ جديدة تتسلل إلى أشعار هؤلاء الشعراء وتتردد على شفاههم، محاولين تحرير تلك الأشعار من الخشونة والتعقيد اللفظي مما درجوا عليه في العصر الجاهلي " (1)

ومثال ذلك قول صفية بنت عبدالمطلب ترثي النبي (صلى الله عليه وسلم):

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا	وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيمًا هاديًا ومعلمًا	ليبك عليك اليوم من كان باكيًا
فدى لرسول الله أمي وخالتي	وعمي وخالتي ثم نفسي وماليًا
قلو أن رب الناس ابقى نبينا	سعدنا ولكن أمره كان ماضيًا
عليك من الله السلام تحية	وأدخلت جنات من العدن راضيًا (2)

وفي رثاء حمزة نقول:

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة	إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي	لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا	بكاء وحننا محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مدرها	يذود عن الإسلام كل كفور (3)

لقد ظهرت ألفاظ جديدة في شعر النساء في صدر الإسلام وعصر بني أمية لم تكن موجودة في العصر الجاهلي، وإنما الذي أوجدها هو الدين الجديد فأصبحنا نجد ألفاظا مثل: (الجنة - النار - الشهادة - الإيمان - الكفر - الحلال - الحرام - التقوى - الجهاد - أمير المؤمنين - النور - الضياء - خاتم الأنبياء)

(1) الشوري، شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص104).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص117).

(3) المرج السابق(ص116).

وبعد ذلك يمكن القول أن ألفاظ شواعر الجاهلية مالت إلى الجزالة والقوة، والخشونة والغرابة أحياناً في جميع أغراض شعرهن أما مع مجيء الإسلام فقد لانت الألفاظ وسهلت، ودخلت مفردات جديدة قاموس شواعر الإسلام سواء المخضرمات أم غيرهن من الجدد وهذا التغيير كان بطيئاً، حيث ظل عدد كبير من الشواعر المخضرمات يحتفظن، بمفردات العصر الجاهلي الذي كان غير بعيد عنهن.

المبحث الثاني الصورة البيانية

المطلب الأول: مفهوم الصورة:

الصورة اصطلاحاً:

الصورة عنصر أساسي من عناصر الإبداع الشعري، فمن خلاله يتأكد مهارة الشاعر، وتثبت براعته في عملية الخلق الفني. (1)

ومع ذلك نجد اختلافاً بين النقاد، بشأن الدلالة الفعلية والحقيقية لهذا المصطلح، لكونه تشكيل جمالي متفرد يصعب تعيين ماهيته، فتشعبت الدراسات النقدية التي تناولته، وذهبت بخصوصه مذاهب شتى، (2)، لكنها في نهاية الأمر، أسفرت عن وجود أنماط متعددة لمصطلح الصورة، وكل نمط يقوم على عناصر ويضطلع بوظيفة. (3)

ومن المفاهيم التي قاربت معنى الصورة: "أنها رسم قوامه الكلمات" (4) فهي ترسم لوحة جميلة في ذهن المتلقي، مجسدة المعنى عن طريق الالفاظ والمفردات وحيث أن المبدع يستمد صورة من الواقع الذي يتأمله جيداً، ثم ينقل هذه الصورة، إلى الشعر، بعد أن يعيد تشكيلها، معتمداً على عنصر الخيال، بإعتباره القوة التركيبية، والسحرية التي تساعد على التوفيق، بين الصفات المتضادة، أو المتعارضة، وأيضاً بين العناصر المتباعدة، والمتنافرة، من أجل خلق عالم متميز في جدته وتركيبه. (5)

لذا قيل عنها: "هي إدراك حسي ولكنه إدراك ينفذ إلى باطن الأشياء" (6) ويمكن أن نخلص إلى أن الصورة، تقوم على دعامتين أساسيتين هما: الواقع الذي تستمد منه مادتها، والخيال الذي يعيد تشكيل تلك المادة. (7) وفاعلية الصورة لا تتحقق في العمل الفني إلا إذا

(1) ينظر أذاري: الخطاب الشعري (ص98).

(2) ينظر: صالح الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث (2105).

(3) صفير، فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص235).

(4) لويس، الصورة الشعرية، ترجمة احمد نصيف الخباني (ص21).

(5) عبدالرحمن، في النقد الحديث (ص197).

(6) ينظر: عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (ص17).

(7) ينظر، صغير، فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص235).

كانت شديدة الصلة بالعاطفة الإنسانية، التي تثريها وتغلفها بمختلف الأحاسيس، والإنفعالات مما يجعلها ذات تأثير في نفس المتلقي. (1)

لقد أفرزت الدراسات النقدية المعاصرة أنماطا متعددة للصورة، منها الصورة الفنية، والصورة الشعرية، والصورة البلاغية، التي منها الصورة البيانية علما أن مصطلح الصورة متداول في الدراسات العربية القديمة، وقد أريد به هيئة الكلام وسمته، وسمته، بحيث يتناسب مع شكل الإبداع، ويميز صاحبه عن غيره من المبدعين.

يقول الجاحظ (255هـ): " وإنما الشعر صياغة، وضرب من التصوير " (2)

ويقول عبد القاهر الجرجاني (471هـ): " واعلم أن قولنا: الصورة إنما هو تمثيل وقياس، لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا... ثم وجدنا بين في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا، وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق، وتلك البينونة، بأن قلنا للمعنى، في هذا صورة، غير صورته في ذلك " (3)

والصورة مصطلح عام يتضمن التشبيه، والاستعارة، والكناية، والرمز مما يؤدي إلى وضوح المعنى بطريقة فنية، يقول رابح بو حوش: " الصورة في الشعر، هي الشكل الفني الذي تتخذ الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر عن جانب، من جوانب التجربة الشعرية الكاملة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها، في الدلالة والتركيب، والإيقاع، والحقيقة والمجاز، والترادف، والتضاد، والمقابلة، والتجانس " (4)

وبهذا يمكن القول أن البيان مكون من مكونات الصور الجزئية، التي تكون مجتمعة الصورة الكلية. أما البيان، فهو الإفصاح مع الذكاء، ويعني أيضا كشف المعنى، وإظهار المقصود بأبلغ لفظ. (5)

وفي كتب السابقين ورد المصطلح بمعنى القدرة على التعبير بأسمى وسائل الاداء الفني، كاللفظ الموحى، والصورة المعبرة، والتركيب المحكم. (6)

(1) ينظر الصايغ، الاستعارات في الشعر العربي الحديث (ص 29).

(2) الجاحظ، الحيوان (ص 132).

(3) الجرجاني، دلائل الاعجاز، (ص 507).

(4) بو حوش، اللسانيان، وتطبيقاتها على الخطاب الشعري (ص 152).

(5) ينظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (ب. ي. ن).

(6) سلطاني، البلاغة العربية في فنونها (ص 101).

وإذا كان الجاحظ (255 هـ) قد جمع كل علوم البلاغة تحت هذا المصطلح في كتابه البيان والتبيين، فإن البيان أصبح علما مستقلا بذاته، له أصوله وقواعده، حددها الطيب القزويني بقوله: "هو علم يعرف إيراد المعنى الواحد، وإبرازه في صور مختلفة، وتراكيب متفاوتة، زيادة ونقصانا، في وضوح الدلالة عليه، ليحترز بالوقوف، على ذلك عن الخطأ، في مطابقة الكلام لتمام الدلالة." (1)

إذا البيان بأشكاله البلاغية، التشبيه والإيجاز والكناية يساعد المبدع على التعبير عن المعنى الواحد بأساليب عدة وبطرائق مختلفة فالصورة البيانية تزيد الفكرة وضوحا وقوة وتأثيرا في نفس المتلقي.

فالصورة البيانية: " هي طريقة التعبير عن المرئيات، والوجدانيات باثارة المشاعر وجعل المتلقي، يشارك المبدع أفكاره، وإنفعالاته." (2)

إذا الصورة البيانية غدت أمرا مهما، لأنها تمثل الإبداع الفني، الذي الجمال الكامن في الطبيعة، ويقدمه للمتلقي، مغلفا بالمشاعر والأحاسيس، وممزوجا بالخيال الشعري الواسع، مما يجعل المتلقي يحيا في عالم ساحر جميل.

المطلب الثاني: التشبيه:

أولا: مفهوم التشبيه

التشبيه لغة: التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل " شبه"، نقول شبهت هذا بهذا تشبيها، أي مثلته به." (3)

أما إصطلاحا: فهو الدلالة على أن شيئا أو صورة تشترك مع شي آخر أو صورة أخرى في معنى أو صفة. (4)، ويراد به أيضا إلحاق أمر بآخر في صفة مشتركة بينهما، لغرض يقصده المتكلم ويرمي إليه. (5)

(1) القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع (ص133).

(2) مطلوب، الصورة في شعر الاخطل الصغير (ص35).

(3) ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش. ب. ه.).

(4) ينظر وهبة، والمهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب (ص99).

(5) ينظر فيود، دراسات بلاغية (ص99).

ومن العلماء القدامى الذي تحدثوا عن التشبيه ابن رشيق القيرواني (436هـ) الذي عرفه بقوله: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه، وشاكله، من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو نسبه مناسبة كلية لكان إياه " (1).

أما عبد القاهر الجرجاني فقد درسه دراسة موسعة وربطه بسائر الفنون البيانية، وعرفه بقوله: "التشبيه أن يثبت لهذا معنى من معاني ذاك، أو حكما من أحكامه كإثباتك للجل لشجاعة الأسد، وللحجة حكم نور " (2)

وعرفه السكاكي (ت 626هـ)، بقوله: "إن التشبيه مستودع طرفين: مشبها، ومشب به، اشتركا من وجه، وافتراقا في آخر " (3)

إما القزويني فقال: "هو إلحاق شيء بآخر، بينهما صفة مشتركة ". (4)

وللتشبيه أهمية بالغة في أشاد بها القزويني بقوله: "وإذ قد عرفت معنى التشبيه في الإصطلاح فأعلم أنه مما إتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره، في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به، لا سيما قسم المثل منه، يضاعف قواها في تحريك النفوس، إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو إفتخارا ". (5)

فلا عجب بعد ذلك إن يجد التشبيه حظوة عند العلماء، والأدباء والأمراء والخلفاء، يتدارسون أقوال الشعراء فيه، يوازنون بين الأقوال ثم ينقسمون هذا يفضل قولاً وذاك يفضل آخر. وما ذاك إلا لأن: "التشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين، من العرب، والعجم عليه، ولم يستغنى أحد منهم عنه " (6)

ويكاد يجمع الباحثون على أنه من أكثر أساليب البيان تأثيرا في النفس، حيث ينقلها من المعقول إلى المحسوس، ومن الفكرة إلى الفطرة، ومن الغموض إلى البديهة وبذلك تزول شوكتها وتتلاشى أوهامها. (7)

(1) ابن رشيق، العمدة في الشعر (ج1/241).

(2) الجرجاني، اسرار البلاغة (ص267).

(3) السكاكي، مفتاح العلوم (ص439).

(4) القزويني، تلخيص مفتاح العلوم (ص135).

(5) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ص136).

(6) العسكري، الصناعتين (ص216).

(7) ينظر عباس، فضل، اساليب البيان (ص259).

وللتشبيه أهمية خاصة بالنسبة للمعاني، وهذا يظهر في قول الزفحشري: "لضرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر، شأن ليس بالخفى، في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار، حتى يريك المتخيل، في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد". (1)

وهو "أعلق بالطبع، والذ للنفس وله نفع عظيم في باب الخطابة" (2)

وهو لأهميته يعد مقياسا للحكم على الشعراء والمفاضلة بينهم، يقول القاضي الجرجاني: "وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب". (3)

ومن المحدثين الذين تعرضوا لأهمية التشبيه مصطفى الصاوي الجويني الذي قال: "تكمّن بلاغة التشبيه في أنه، ينتقل بك من الشيء نفسه، الى شيء طريف يشبهه، وصورة بارعة تمثله، وكلما كان هذا الإنتقال بعيدا، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كأن التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى إعجابها". (4)

أما فايز الداية فيرى أن الصورة تكتسب قيمتها من خلال الجوانب المتعددة التي تتعامل معها، سواء أكانت محسوسة، أو مجردة، ويقول: "الصورة التشبيهية تعامل مع الواقع المحسوس بأبعاده، ومع الجوانب التجريدية الفكرية، ومع أعماق الإحساس النفسى الداخلى، وهى تتوزع بحسب المواقف الانفعالية". (5)

ويرى عدنان قاسم أن التشبيه يمنح النص كثافة تصويرية، وأبعادا إيماية تجذب اهتمام المتلقى، لذلك يعد تصويرا يكشف عن حقيقة الموقف الجمالى الذى عاناه الشاعر أثناء عملية الإبداع، ويرسم أبعاد ذلك الموقف عن طريق المقارنة بين طرفي التشبيه، مقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الطرفين على الآخر، بل تربط بينهما في حالة أو صيغة أو وضع. (6)

(1) الزمخشري، الكشاف (ص39).

(2) الجرجاني، الاشارات والتنبهات (ص171).

(3) الجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه (ص33).

(4) الجويني، البيان في فن الصورة (ص33).

(5) الداية، جماليات الاسلوب (ص72).

(6) ينظر قاسم، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية (ص53).

إذا للتشبيه دور مهم وعظيم في إيصال المعنى وتأكيد، فتن به الشعراء وأولعوا به ولع شديداً، فجاؤا بأجمل التشبيهات، والشواعر جزء مهم في المجتمع، وشريحة بارزة مبدعة في هذا المجال، لذلك أثار الباحث دراسة شعرهن دراسة بلاغية، للوقوف على مواطن الإبداع والجمال فيه.

ثانياً: مصادر التشبيه في شعر المرأة:

استمدت الشاعرة العربية تشبيهاتها من البيئة التي كانت تحيط بها، فنقلت مشاهداتها لبيئتها بعد أن غلفتها بخيالها، وشكلها، بفكرها، ومزجتها بعاطفتها وإحساسها، مما جعلها ذات تأثير في المتلقين حسب براعة المبدع الذي أبدعها.

لقد تحدث الباحثون العرب عن المصدر الذي استمدت منه الشاعرة مادتها التي رجعت إليها في تصويرها، زمنها الذي نهلت منه تشبيهاتها، فهذا ابن بطوطة يقول: "واعلم أن العرب، أودعت أشعارها، من الأوصاف والتشبيهات، والحكم، ما أحاطت به معرفتها، وادركته عيناها، ومرت به تجاربها، وهم أهل بر، صحنهم البوادي، وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوا منها وفيها " (1)

والى مثل هذا القول يذهب مصطفى الصاوي الجويني حيث يرى أن الشاعر إنما ينقل من بيئته، وهو على مر العصور ظل كذلك أسير البيئة التي يحيا فيها، يقول: " هو فن من فنون التعبير الشعري، أولع به الشعراء، منذ الجاهلية، فوافق طبائعهم، وجاء مستمداً من بيئتهم البدوية " (2)

ففي معرض الحديث عن الشجاعة مثلاً، نجد المرأة تسارع إلى تشبيه الفرسان بالليوث في شرتها وفتكها بفرائسها، تقول جلييلة بنت مرة:

وقد كان تاجا عليهم في محافلهم وكان ليث وغى للرقن طراحا (3)

(1) ابن طباطبا، عيار الشعر (ص48).

(2) الجويني، البلاغة العربية، تأجيل وتجديد (ص95).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص38).

وتشبه صفية بنت ثعلبة ظليم حين جاء لنصرة قومها في معركة ذي قار بالليث الهائج فتقول:

هذا ظليم جاءكم في يشكر بالقب والمـران والسنـنور

كليث غابات مهوس مخدر يا فارسا تحت العجاج الاكدر (1)

وتصور ربطة بنت عاصم فرسان قومها، حين غدوا إلى المعركة بالأسود الضارية التي لا تهاب أحدا فتقول:

كأنهم تحت الخوافي إذ غدوا الى الموت أسد الغابتين الهواصر (2)

وتصف الخنساء صخرا بالأسد في حالتها السلم والحرب، فالشجاعة صفة ملازمة له في كل حيم، تقول:

قد كان حصنا شديدا ممتعا ليثا إذا نزل الفتيان أو ركبوا (3)

وفي موضع آخر تصفه بالليث والرئبال، مصره على أنه بطل شجاع ليس كمثل أحد، له هيبه في ساحات الوغى:

حامي الحقيق تخاله عند الوغى أسدا ببيته كأشر الأنياب (4)

وهو لا يغشى الموت، ولا يفر من ملاقات الأعداء، بل تراه جريئا جرأ الأسد تقول:

إذا لاقى المنايا لا يبالي أفي يسر أتاه أم بعسر

كمثل الليث مفترس يديه جريء الصدر رئبال سبطر (5)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص18).

(2) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ص460).

(3) الخنساء، الديوان (ص17).

(4) المرجع السابق (ص16).

(5) المرجع نفسه (ص63).

الشاعرة هنا وصفته بالأسد الذي يفترش يديه غير أبه بما يدور حوله، ولم تصوره هائجا، مضطربا، لأنها تريد أن تؤكد على أن صخرها لا يأبه بالموت، ولا يكثر بأعدائه، لأنه واثق من قوته وشجاعته، فلا انفعالات ولا توتر ولكن هدوء ورزانة.

وتشبه جنوب بنت عجلان أباها بالأسد المفترس، تنظره في صورة الشاب القوي، الذي يفوق أقرانه قوة وشجاعة، تقول:

هزيرا فروسا لأقرانه أبا إذا صاول القرن صالا (1)

وتشبه الهيفاء بنت صبيح زوجها بالضرغام في قوته وشجاعته فتقول:

أبكي وأبكي بأسفار وأظلام على فتى تغلبي الأصل ضرغام (2)

تقول خزانة بنت خالد مشبهة فرسان المسلمين بالليوث المفترسة، التي تفتك بأعدائها:

هم فتية عز الوجوه أعزة ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم (3)

وشبهت ليلي الأخيلية توبة بالليث الهصور حال إقامته في عرينه مبين أشباله فقالت:

وكان كليث الغاب يحمي عرينه وترضى به أشباله وحلائله (4)

وتشبه الخنساء أباها بالنمر في جرأته وفتكه وقوته، وهذا حين يخوض ساحات الوغى، دون خوف ولا جبن، تقول:

مشي السبنتي إلى هيجاء معضلة له سلاحان أنياب وأظافر (5)

والشاعرة العربية تعجب كأبي امرأة بالرجل الحازم الذي يمضي أمره وينفذه بكل عزم دونما كلك أو شعف، لذلك شبهت هذا النوع بالسيف في مضائه تقول:

(1) مارييني، شواعر الجاهلية (ص233).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص41).

(3) الواقدي، فتوح الشام (ج2/174)، والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص46).

(4) الاخيلية، الديوان (ص97)، والاصفهاني، الاغاني (ج11/223).

(5) الخنساء، الديوان (ص46).

وحدثني أصحابه أن مالكا صروم كماضي الشفرين صقيل (1)

وتشبه ربيعة بنت عاصم أبناء قومها حال إقدامهم على ساحات الوغى بعزم، بسيف الهند، التي تعد من أجود السيوف، تقول:

غدوا كسيوف الهند وراة حومة من الموت اعياء ودهن المصادر (2)

ومن الصور التشبيهية التي نقلتها المرأة من البيئة، تشبيه الممدوح بالصقر، وهو طائر جارح يكثر في جزيرة العرب، ويزخر به الشعر العربي.

تشبه الخنساء والدها وأخاها حين يخرجان للناس بالصقرين الواقفين على وكرهما، تقول:

وهما كأنهما وقد برزا صقران قد حطا على وكر (3)

وشبهت مية بنت ضرار أخاها وهو يجلس في مرقبته بأعلى الجبل بالصقر فتقول:

وكأنه صقر بأعلى مربأ من كل مرتبأ تراه شخيصا (4)

وتشبه الخنساء الخيل في خفة حركتها بالسعالي، وهي انثى الغول، وهو امر وهمي يثير الخوف والهلع والرعب، وتشبهها في دقة ملاحظتها، وانطلاقها نحو الاعداء بالصقور، تقول:

وقواد خيل نحو أخرى كأنها سعال وعقبان عليها زبانية (5)

ومن الصور تشبيه الممدوح بالرمح، ودقة جسمة بالسيوار، نقل الخنساء في أخي صخر:

مثل الرديني لم تنفذ شبيبته كأنه تحت طي البرد اسوار (6)

(1) الشريف المرتضى، امالي المرتضى (ص126).

(2) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ص459).

(3) الخنساء، الديوان (ص65).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص84) ومارديني، شواعر الجاهليات (ص302).

(5) الخنساء، الديوان (ص120).

(6) المرجع السابق (ص47).

وشبهت آمنة بنت عتبة أباهما في خفته وسرعته بالرمح فقالت:

وكان أبي عتيبة سمهريا فلا تلقاه يدخر النصيبا (1)

ومن التشبيهات الأخرى، تشبه صفية الباهلية أخاها بغصن الشجرة الغض فتقول:

عشنا معا كغصني بانه سمقا حينما بأحسن ما تسمو له الشجر (2)

وتشبه ليلي بنت الأحوص ابنها بالبدر بين النجوم، فابنها ذو مكانة عالية واضحة، فهو بين قومه كالقمر بين النجوم، تقول:

إذا ما غدا فيها غدوا وكأنهم نجوم سماء بينهن هلالها (3)

ومثل هذا تقوله صفية الباهلية:

كنا كأنجم ليل بيننا قمر يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر (4)

وشبهت أم سنان بنت جشمة على كرم الله وجهه، بالقمر وسط النجوم، أتوصيل صورة تبين مكانة على بين أصحابها كمكانة البدر بين النجوم تقول:

هذا علي كالهلال تحفة وسط السماء من الكواكب أسعد (5)

إن القمر هنا يرمز إلى الرفعة وعلو المكانة وشرفها، ولكنه أيضا يعني الجمال مثل تشبيه الخنساء لأخيها بالقمر حسنا وجمالا فقالت:

أعز ازهر مثل البدر صورته صاف عتيق مما في وجهه ندب (6)

(1) عبدالرحمن، ديوان شعر الايام (ص294).

(2) يموت شاعرات العرب (ص98).

(3) مارديني، شواعر العرب (ص298).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص98).

(5) المرجع السابق (ص183).

(6) الخنساء، الديوان (ص17).

وتقول إمامه بنت ذي الأصبع الدواني، مشبهة قريباها بالبدر حسنا وجمالا أيضا:

(1) كم من فتى كانت له معية أبلج مثل القمر الزاهر

وتشبه الخنساء صخرا بالبدر في الضياء والإشراق والجمال:

(2) يا صخر قد كنت بدرا يستضاء به فقد مضى يوم مت المجد والجود

وتقول أروى بنت الحارث واصفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

(3) اذا استقبلت وجهه أبي حسين رأيت البدر راع الناظرينا

فشبهت وجه علي بالبدر في حسنه وجماله وإشراقه.

وتقول خولة بنت ثابت متغزلة بعمارة بن الوليد:

(4) مثل ضوء البدر صورته ليس بالزميلة النكد

فقد شبهته بالبدر في جماله وضيائه ورفعته وعلو مكانته.

وتشبه الفرعة بنت همام حاجب محبوبها في استدارته بالهلال قبل اكتماله تقول:

(5) يلاعبني طورا وطورا كأنما بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه

بل قد تبالغ المرأة فتجعل البدر يشبه ممدوحها، مستمدا منه جماله وبهاءه فتقول:

(6) وكان نور البدر سنه وجهه ينمي ويصعد في ذؤابة هاشم

(1) يموت، شاعرات العرب (ص61).

(2) الخنساء الديوان (ص38).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص132).

(4) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج7/31).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص201).

(6) ابن قيم، اخبار النساء (ص219)، والبونسي، كنز الكتاب ومنتخب الآداب (ج2/734).

وشبهت الدموع بحبات الدر، تقول صفية بنت عبدالمطلب:

فقاضت عند ذلكم دموعي على خدي كمنحدر الفريد (1)

وشبهت العجز بالدعص وهو الرمل المجتمع، والثغر بالزهر الأبيض لبيان جمال المرأة، تقول أم النحيف:

لها كفل كالدعص لبدنه الندي وثغر نقي مالاقيامي المنور (2)

وتشبه ربطة بنت العباس، خيل أخيها الكثيرة بالجراد الذي دفعته الريح:

وكان إذا ما أورد الخيل بيثى إلى هضب أشراج أناخ فألجما

فأرسلها رهوا رعالا كأنها جراد زهته ريح نجد فاتهما (3)

وشبهت درة بنت أبي لهب الخيل بالعقبان تتساقط أمام الفرسان الأشداء:

والدر كالعقبان كاسرة تهوي أما كتائب خضر (4)

وتشبه الخنساء أباها صخرا بالشهاب الذي يهتدي به الناس إذا ما تفرقوا فتقول:

نصبت للقوم فيه فضل أعينهم مثل الشهاب وهم منهم عبايد (5)

وتشبه أحد الصرعى من أعداء أخيها صخر، فتقول:

وتروي السنان وتردى الكمي كمرجل طباخة حين فارا (6)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص115).

(2) المرجع السابق (ص103).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص96).

(4) المرزباني، الموشح (ص395)، وابو تمام، الوحشيات (ص66).

(5) الخنساء، الديوان (ص39). العبايد: الفرق من الناس.

(6) المرجع السابق (ص51).

شبهت الدم وهو يخرج من جرح الصريع بقوة بالمرجل يغلي فوق النار .
وتشبهه عمرة بنت مرداس في جسد احد المقاتلين بالشق في رداء المرأة فتقول:

وطعنة خلّس تلاقيتها كعظ النساء الرداء الحجوبا (1)

فالجرح واسع سعة هذا الشق.

وتشبه والدها بالشهاب الذي يهتدي به فتقول:

والفيض فينا شهاب يستضاء به أنا كذلك فينا توجد الشهب (2)

والشاعرة حين شبهته بالشهاب، أكدت على أن هذا أمرا عاديا ولا عجب فيه ولا استغراب، فهم موطن السادات والشرفاء من الناس.

وتمدح ليلي الأخيلية الحجاج، وتشبهه بالشهاب في ظهوره واشراقه وبروز مكانته في الحرب، يراه الناس وبه يقتدون، تقول:

حجاج أنت شهاب الحرب إن تهجت وأنت للناس في الداجي تقي (3)

وشبهت أم أيمن النبي (صلى الله عليه وسلم) بالسراج الذي ينير للناس الظلمات وذلك من خلال دعوته التي بددت ظلمات الكفر والجهل فقالت:

ولقد كان بعد ذلك نورا وسراجا يضيء في الظلماء (4)

والمرأة ضعيفة تحتاج الى من يرعاها، ويؤود عنها، ولذلك ليس غريبا أن نجدها تشبه زوجها بالجبل الذي تلوذ به إذا مادها أمر، وهذا ما يؤكد قول الرياب زوجة الحسين رضى الله عنه:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص200).

(2) المرجع السابق (ص199).

(3) الاخيلية، الديوان (ص63).

(4) السيوطي، المحاضرات والمحاورات (ص69).

قد كنت لي جبلا صعبا ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين (1)

وقد تعجب المرأة بقوام الرجل، فتشبهه بالقضيب الناعم حيناً والسيف حيناً، وبالرمح الرديني حيناً آخر تقول:

وعشقته من قبل قطع تمائي متمائسا مثل القضيب الناعم (2)

وتقول زينب بنت الطثرية، مشبهة قد أخيها في اعتدالة وعدم نزله بالسيف:

فتى قد السيف لا متضائل ولا رهـل لباته وبأدله (3)

وشبهت أسماء بنت أبي بكر ابنها وهي ترقصه بالسيف في لمعانه وبريقه وبياض نصله فيياضه يشبه بياض السيف:

أبيض كالسيف الحسام الأبريق بين الحواري وبين الصديق (4)

وتشبهه زوجة الوليد بن عبدالمك أخاها عمرو بن سعيد بالصقر، وقاتليه من بني مروان بخشاش الطير، فقالت:

كان بني مروان إذ يقتلونه خشاش من الطير اجتمعت على صقر (5)

وتشبهه زوجة عبدالله بن عباس إبنيها بالدرتين فتقول:

يا من أحسن بنيي الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف (6)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص172).

(2) ابن قيم، اخبار النساء (219).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص195).

(4) ابن ظفر، انباء نجباء الابناء (ص85).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص195).

(6) المرجع السابق، (178).

"والتشبيه في شعر المرأة، لا يكون دائما أداة تعبيرية، لتعظيم المشبه، أو تقوية شأنه، أو إبرازه في معرض حسن، وإنما يأتي أيضا، بغرض تقبيحه، والخط من قدره". (1)

وشعر الهجاء عند المرأة فيه العديد من الصور التي رسمتها الشاعرة العربية لآخر، فكانت مادة مؤلمة في وصفها، تقول حميدة بنت النعمان:

نكحت المديني إذ جاعني فيالك من نكحة غاوية

له نمر كصنان التيوس أعيأ على المسك والغالية (2)

فالشاعرة تشبه رائحة زوجها برائحة التيوس في وقت التزواج، وهي رائحة سيئة مستقبة، وقالت في موضع آخر:

تكحل عينيك عند العشي كأنك مومسه زانية (3)

وشبهت دختوس بني أسد بالطيور في جنبها وخوفها الدائم فقالت:

فرت بنو أسد فرار الطير عن أربابها (4)

وحين فر النعمان بن قهوس التميمي وكان من فرسان العرب غيرته دختوس بقولها:

فر ابن قهوس الشجاع بكفه رمح متل

يعدو به خاظمي البضيع كأنه سمع أزل (5)

وتحذر كبشة بنت معدي كرب قومها من التقاعس عن الأخذ بنأر أخيها فيلحقهم الذل والصغار قائلة:

(1) صغير، فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص248).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص174).

(3) المرجع السابق (ص175).

(4) المرجع نفسه (ص51).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص52) ومارديني، شواعر الجاهلية، (ص 247- ص 248) مثل : مستقيم،

الخواظمي : المكتنز، البضيع : اللحم، السمع : ولد الضبع من الذئب.

ودع عنك عمرا أن عمرا مسالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فإن أنتم لم تتأروا واتيتم فمشوا بأذان النعام المصلم
ولا أردوا الا فضول نسائكم إذا ارتملت أعقابهن من الدم (1)

وتشبه أم الصريح المندية البت حال وجود زوجها فيه بالحفرة التي ملئت دخانا فاستحالة العيش مع الزوج مثل استحالة العيش في حفرة مملوءة بالدخان، تقول:

كان الدار يوم تكون فيها علينا حفرة ملئت دخانا
فليتك في سفين بني عباد طريدا لا نراك ولا ترانا (2)

وأخيرا يمكن القول أن الشاعرة في العصرين الجاهلي والاسلامي ظلت في تصويرها أسيرة البيئة المحيطة بها، منها أخذت صورها ففي تصوير القوة شبهت بالأسد والنمر، والجمال بالبدر، والرضا بالماء البارد، والدموع بالدر واللؤلؤ، والخيل بالعقبان والجراد، والكفل بكثيب الرمل، والقدر المعتدل بالسيف، والرمح، وعلو المكانة بالهلال، والشهرة وعلو المكانة بالبدر وسط النجوم، والحضر بالسوار، وهكذا في جميع تشبيهاتها.

ثالثا: أنواع التشبيه في شعر المرأة:

ينقسم التشبيه إلى أنواع مختلفة، مردها المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، وهذه الأنواع من التشبيه موجوده في شعر النساء، حيث أجدن فيه مثل الشعراء الرجال، وهذا بيان لأنواعه.

1- التشبيه باعتبار الطرفين الأساسيين:

بالرجوع إلى شعر النساء نجد أن أكثر التشبيهات لديهن من النمط الحسي الذي يدرك بحاسة من الحواس الخمس، وأما العقلي فكان قليلا في شعرهن.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص97) ومارديني، شواعر الجاهلية، (ص 294).

(2) المرجع السابق (ص98).

ومما يدرك بحاسة السمع تشبيهه ليلى الأخيلية صوت جري الخيل بصوت خذروف
الوليد حيث تقول:

لوحشيتها من جانبي زفيانها حفيف كخذروف الوليد المثقب (1)

وقولها تشبه صوت الخصوم ودوي الجيوش بصوت ذكر النحل:

وترجيع أصوات الخصوم يردها وسقوف بيوت في طمار مبوب

يظل لأعلاها دوي كأنه ترنم قاري بيت نحال مجوب (2)

ومما يدرك بحاسة الشم قول حميدة بنت النعمان في زوجها:

له ذفر كصنان التيوس أعيأ على المسك والغالية (3)

وتقول زوجة قتادة بن مغرب:

لو أن المنايا أعرضت لاقتحمتها مخافة فيه أن فيه لداهية

فما جيفة الخنزير عند ابن مغرب قتادة إلا ريح مسك وغالية (4)

ومما يدرك بحاسة البصر، قول أم النحيف:

لها كفل كالدعص لبدنه الندى وثغر نقي كالأقاحي المنور (5)

ومما يدرك بحاسة التذوق قول خيرة أم ضيغم البلوية:

فما نظفة من ماء بهمين عذبة تمتع من أيدي السقااة أرومها

(1) الاخيلية، الديوان (ص54). الخفيف : الصوت، الخذروف : حجر او قصبه تشد بخيط اذا ادارت
اصدرت صوتا خفيفا.

(2) الاخيلية، الديوان (ص58).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص174).

(4) التبريزي، شرح الحماسة (ج2/ص220).

(5) التبريزي، شرح الحماسة (ج2/ص411) ويموت، شاعرات العرب (ص103).

بأطيب من فيه لو أنك ذقتَه إذا ليلة أسحت وغاب نجومها (1)

ومما يدرك باللمس، الحرارة في قول مليكة الشيبانية:

أورثني كمدا يورقني وتلهفا وحرارة الصدر

ومرارة في العيش دائمة وحرارة كحرارة الجمر (2)

ومن التشبيهات التي يمكن إدراكها بالعقل لا بالحواس، وهذا التشبيه العقلي نجده في قول صفيّة بنت عبدالمطلب:

أنا فقدناك فقد الأرض وأبلها واختل قومك فأشهدهم فقد سغبوا (3)

فحاجة الناس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) شديدة كشدة حجارة الأرض للماء أو المطر الذي يبعث فيها الحياة.

المشبه عقلي والمشبه به حسي من ذلك قول بره بنت عبدالمطلب:

له فضل مجد على قومه منير يلوح كضوء القمر (4)

فالمشبه عقلي وهو فضل مجد الفقيّد على قومه، والمشبه به حسي يمكن رؤيته بحاسة البصر وهو ضوء القمر، فالفضل واضح جلي كضوء القمر ومن هذا النوع أيضا قول الحرقة بنت النعمان إذ تقول:

ما الدهر إلا مثل ظل زائل ويدور شمس فارقتها الأسعد (5)

فالدهر عقلي، والظل حسي، فسرعة إنقضاء الزمن كسرعة زوال الظل.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص194)، وابن طيفور، بلاغات النساء (197).

(2) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص238).

(3) الجاحظ، البيان والتبيين (ج3/236).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص117).

(5) المرجع السابق، (ص22).

ويمكن القول: " أن التشبيه الحسي العقلي يقل في شعر المرأة مقارنة بالعقلي الحسي، ولعلها أدركت قيمة هذا النمط ، وأهميته، إذ يعتبره البلاغيون من أجود التشبيهات وأبلغها، لأنه يخرج ما لا تقع عليه الحاسة، إلى ما تقع عليه".⁽¹⁾

ومن أنماط التشبيه التي يحددها الطرفان الأساسيان، فقد يكون المشبه والمشبه به مقيدان أو غير مقيدين، وقد يكونان مفردين وقد يكونان مركبين.

المشبه والمشبه به مفردان غير مقيدين كقول زوجة ابي حمزة الضبي:

ونحن كالأرض لزارعينا نبت ما زرعوه فينا (2)

فالمشبه النساء والمشبه به الارض، وهما مفردان وغير مقيدين بوصف أو إضافة، ومثال الطرفين المقيدين قول أم النخيف:

لها كفل كالدعص لبده الندى وثغر نقي كالأقاحي المنور (3)

فالمشبه الثغر وقيدته بالنقي، والمشبه به الأقاحي وقيدته بالنوار، والشاهد جمع النوعين معا فالشطر الأول كان شاهدا على الطرفين المفردين غير المقيدين الطفل مشبه، والدعص مشبه به.

وقد يكون أحد الطرفين مطلقا والآخر مقيدا مثل قول أسماء بنت أبي بكر:

أبيض كالسيف الحسام الإبريق بين الجواري وبين الصديق (4)

المشبه مطلق وغير مقيد، بينما المشبه به قيد بصفتين وهما الحسام والإبريق.

ومن حيث الأفراد والتركيب فقد يكون أحد الطرفين مفردا والآخر مركبا كقول الخنساء:

أعز ابليج تاتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار (5)

(1) صغير، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/ 165).

(3) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج2/ 411)

(4) ابن ظفر السقلي، انباء نجباء الابداء، (ص85).

(5) الخنساء، الديوان (ص386).

وقد يكون الطرفان مركبين مثل قول ام الصريح الكندية:

كأن الدار يوم تكون فيها علينا حفرة مائت دخانا (1)

فالشاعرة شبهت الدار وزوجها فيها، بالحفرة المملوءة بالدخان فالمشبه والمشبه به مركبان.

2-التشبيه الضمني:

ومن التشبيهات الضمنية التي تفهم من خلال الكلام قول امرأة من بني شيبان:

وقالوا ماجدا منكم قتلنا كذلك الرمح يكلف بالكريم (2)

ترد الشاعرة على خصومها، وتبين أن قتل الفرسان للفرسان ليس عيبا، فالرمح لا تحب إلى صدور الفرسان الكرام.

ومنه قول أعرابية قتل خالد بن الوليد ولدها يوم أن ذهب ليهدم صنما لبني ود:

أيقنت بعدك أني غير باقية وكيف يبقى ذراع زال عن عضد (3)

تؤكد الشاعرة على أن ابنها بالنسبة لها، كالذراع للجسد، فالأم لا تستطيع العيش بعد ولدها، الذي فقدته، وشأنها شأن الذراع الذي فصل عن الجسد. (4)

2-التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشبه:

الأداة ركن من أركان التشبيه، وتكون اسما وحرفا، ويمكن حذفها والاستغناء عنها، والتسبيه ينقسم إلى قسمين باعتبار أداة التشبيه.

أ-التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه مثل قول هند بنت حذيفة بن بدر الفزارية.

فإن أنتم لم تصبوا القوم غارة يحدث عنها وارد بعد صادر

وترموا عقلا بالتي ليس بعدها بقاء فكونوا كالإماء العواهر (5)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص99) وابن طيفور، بلاغات النساء (ص118).

(2) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ص365).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص127).

(4) ينظر: صغبر فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص264 - ص 269).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص46).

فقد شبهت رجال قومها بالإماء العواهر، وأداة التشبيه موجودة وغير محذوفة.
ومثله قول أمية بنت ضرار:

الطاعن الطغنة النجلاء عن عرض كأنها قبس بالليل مسعور (1)

أ- التشبيه المؤكد: وهو ما حذفته منه أداة التشبيه، وتأكيديه لأن المتكلم جعل المشبه عين المشبه به، مثل قول ربيعة بنت عاصيه في أخيها عمرا، وكان شجاعا كريما:

إذ جاء ينفذ عن أصحابه طفلا مشي السبنتي أمام الأيكة العادي (2)

وقول أمية بنت عتبة:

وكان أبي عتبية سمهريا فلا تلقاه يدخر النصيبا (3)

أما من حيث وجه الشبه فينقسم إلى قسمين وهما:

أ- التشبيه المفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه مثل قول خالدة بنت هاشم:

شيظمي مهذب ذي فضول أبطحي مثل القناة وسيم (4)

ب- التشبيه المجمل: وهو ما حذف منه وجه الشبه مثل قول هند بنت أسد:

يلوذ به الجاني مخافة ما جنى كما لاذت العصماء بالشاهق الصعب (5)

التشبيه التمثيلي: الذي يكون فيه وجه الشبه منتزعا من متعدد مما ستوجب امعان النزر، للوصول إلى معناه. (6)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص84).

(2) المرجع السابق (ص88).

(3) عبدالرحمن، ديوان شعر الايام (ص284).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص113).

(5) القيرواني، زهر الآداب وثمر الالباب (ج4/ ص 1010).

(6) ينظر، صغير، فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص272).

مثل قول الخنساء:

يا عين جودي بدمع منك مسكوب كلؤلؤ جال في الأسماط مثقوب (1)

فالشاعرة شبهت الدموع وهي تنحدر على خدها باللؤلؤ الذي في خيط واحد، فتتابع الدموع، كتتابع حبات اللؤلؤ في الخيط.

ومثله قول زوجة الوليد بن عبدالمك، في أخيها الذي قتله عبدالمك بن مروان بعد أن أفنه:

كان بني مروان إذ يقتلونه خشاش من الطير اجتمعن على صقر (2)

فالشاعرة تشبه جنود بني مروان وقد اجتمعوا على أخيها بخشاش الطير التي اجتمعت على صقر لا حيله له أما هذا العدد وهذه القوة، فالشاعرة رفعت من قدر أخيها، وحقرت شأن خصومه.

لقد أجادت الشاعرة العربية في العصرين في التشبيه إجادة كبيرة، وما الشواهد التي سقتها إلا غيوض من فيوض، على هذا الذوق الرفيع، والمقدرة الفائقة على التصوير والبراعة في نقل المشاهد وتوظيفها توظيفا جديدا، وبعد أن تغلفها بفكرها وثقافتها، وتخرجها بعاطفتها، فتغدوا نموذجا فريدا للإبداع.

(1) الخنساء، الديوان (ص18).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص195).

المطلب الثالث

الإستعارة

أولاً: مفهومها:

لعل الجاحظ (255هـ) أول من عرّف الإستعارة في الأدب العربي بقوله: "الإستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"⁽¹⁾، ومن يتأمل تعريف الجاحظ للإستعارة يجده يشير إلى كل الإستعاضات المجازية التي تتضمن استبدال كلمة أو صورة مجازية بأخرى حرفية من أي سياق كان لوجود علاقة أو صلة فيهما أو تسمية الشيء بغير اسمه لوجود هذه العلاقة.

وتحدث ابن قتيبة (ت. 276هـ) عن الإستعارة، عندما تعرّض لما أشكل على المفسرين من آيات القرآن وألفاظه، وبخاصة الألفاظ التي استعملت في غير ما وضعت له في أصل اللغة فقال: "فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاوراً أو مشاكلاً، فيقولون للمطر سماء: لأنه من السماء ينزل المطر فيقال: مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ويقولون: ضحكت الأرض، إذا انبتت..."⁽²⁾.

وعرف الرماني (ت. 384هـ) الإستعارة بأنها "تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"⁽³⁾. وهو أول من وضع الحدود بين المصطلحات البلاغية وفرّق بين التشبيه والإستعارة فقال: "والفرق بين التشبيه والإستعارة إن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله، لم يغير عنه في الاستعمال - وليس كذلك الإستعارة - لأن مخرج الأستعارة مخرج ما العبارة (لبست) له من أصل اللغة"⁽⁴⁾.

وتحدث أبو هلال العسكري (ت. 395هـ) عن الإستعارة تحت كلمة (بديع) وهو يقصد لهذه اللفظة (الطريف والجديد من الكلام) فعرفها بقوله: "الإستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك (إما) أن يكون شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشادة إليه بالقليل من اللفظ، أو يحسن المعرض الذي يبرز

(1) البيان والتبيين (ج1/153).

(2) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن (ص135).

(3) النكت (ص 85).

(4) م.ن: 86.

فيه. وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة⁽¹⁾. ويذكر ابن رشيق القيرواني (ت 463هـ) تعريف الاستعارة، فيقول "الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حُلَى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام، إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها"⁽²⁾.

ويعد عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) يعرف عبد القاهر للاستعارة بقوله: "أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية"⁽³⁾.

ثانياً: أنواعها:

1- الاستعارة المكنية:

وهي الاستعارة التي حذف فيها المشبه به، ودل عليه شيء من قرائنه.

تقول العوراء بنت سبيع واصفة كرم أخيها:

يعصبي البخيـل إذا ارا د المجد مخلوعا عذاره (4)

فالشاعرة تشبه أباها بعصيانه البخلاء، وعدم اطاعتهم، بالفرس الذي لا رسن لها، ولا يسيطر عليها فارسها.

وتشبه غنية بنت عفيف أثر الجوع عليها، بلسعة الحية أو الأفعى فنقول:

لعمري قد عضني الجوع عضـة فأليت الا امنع الدهر جائعا (5)

الشاعرة حذفَت المشبه به وهو (الأفعى) ودلت عليه بشيء دل عليه وهو (العض).

(1) الصناعتين: 295.

(2) ابن رشيق القيروان، العمدة (ج1/235).

(3) الجرجاني، أسرار البلاغة (ص 19).

(4) [ص49]

(5) يموت، شاعرات العرب (ص91).

وتشبه الخنساء الهموم التي لا تفارقها، بسبب موت أخيها بالإنسان الذي يزورها صباحا ومساءً فتقول:

دهتني الحادثات به فأمست علي همومها تغدو وتسري (1)
وتقول:

تلقي عيالهم نوافله فتصيب ذا الميسور والعسر (2)
فالشاعرة تشبه عطايا أخيها، وهباته، بالإنسان الذي يلقي الأطفال بود وحب وحذفت المشبه به، وأبقت شيئاً يدل عليه وهي كلمة (تلقي).
وفيها تشخيص للعطايا.

وتحذر هند بنت يزيد، حجر بن عدي من معاوية فتقول:

أخاف عليك ما أرى عديا وشيخا في دمشق له زئير (3)
فالشاعرة شبهت معاوية بالأسد المفترس، الهائج، وحذفت المشبه به، ودلت عليه بشيء من صفاته وهو الزئير.

وتمدح ليلي الأخيلية الحجاج بن يوسف الثقفي بقولها:

إذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى داءها مشفاها (4)
شبهت الشاعرة الأرض بالإنسان، وحذفت المشبه به وهو الإنسان وأبقت شيئاً من لوازمه، وهو المرض والشفاء، وفيه تشخيص للأرض، على سبيل الاستعارة المكنية.
وتشبه الشاعرة السحاب الذي لا يمطر بالإنسان البخيل، وذلك خلال مدحها للخليفة معاوية بن أبي سفيان، تقول:

(1) الخنساء، الديوان (ص44).

(2) المرجع السابق (ص52).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص187).

(4) الاخيلية، الديوان (ص 121).

وكنيت المرتجى وبك استغاثت لتتعشها إذا بخل السحاب (1)

فالشبه هو السحاب الذي لا يمطر، والمشبه به البخيل، وحذفت المشبه به، وأبقت على صفة له وهو البخل، على سبيل الاستعارة المكنية.

وتقول جمعه بنت الخس:

يفر الفتى والموت يطلب نفسه سيدركه لا شك يوما فيجهز (2)

فالشاعرة تشبه الموت بالحيوان المفترس الذي يطارد الفريسة، وحذفت المشبه به (الحيوان المفترس) وأبقت على لازم من لوازمه وهو (يجهز).

ومثله قول الخنساء التي شبهت الدهر ونوائبه ومصائبه بالحيوان المفترس الذي ينهشها بقوة، تقول:

تعرقني الدهر نهشا وحزا وأوجعني الدهر قرعا وغمزا (3)

وتشبه ليلي الأخيلية الرماح بأناس سيكون ألما وحزنا وقرفا على فراق من يحبون، وحذفت المشبه به، ودلت عليه بشيء من صفاته، وهو البكاء تقول:

تبكي الرماح إذا فقدن أكفنا حزنا وتلقانا الرفاق بجورا (4)

الشواهد على الاستعارة المكنية كثيرة، وما سقت من شواهد عليها في شعر النساء ما هو إلا غيظ من فيض ولا يتسع المقام لذكر المزيد، فما ذكر من شواهد يبين للمرأة الشاعرة على رسم الصورة بإتقان وإبداع من خلال الاستعارة المكنية.

(1) الاخيلية، الديوان (ص51).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص77).

(3) الخنساء، الديوان (ص69). نعرفني : أي اخذ ما على عظمي من لحم بأسنانه، النهي : الاخذ باطراف الاسنان، غمرا : أي نحسا وجسا وعصرا.

(4) الاخيلية، الديوان (ص 69).

ب - الاستعارة التصريحية:

هي التي يصرح فيها بالمشبه به وحذف المشبه، تقول الخنساء:

تكفكف فضل سابغة دلاص على خيفانة خفق حشاها (1)

فقد شبهت فرس أخيها بالجرادة في خفتها ورشاققتها، وحذفت المشبه وصرحت بالمشبه به، وهو (الخيفانة)، على سبيل الاستعارة التصريحية.

وتشبه الخنساء الحزن والألم الذي تمكن من قلبها ، بالصدع غير الملتئم فتقول:

إنني ذكرته والليل معتكر ففي فؤادي صدع غير مشعوب (2)

فأثر الحزن واضح في قلبها، والحزن هو المشبه، المحذوف، والصدع مشبه به، وهو المصرح به، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية.
وتقول عاتكة بنت عبدالمطلب:

سائل بنا في قومنا وكفاك من شر سماعه

قيسا وما جمعوا لنا في مجمع باق شناعه

فيه السنور والقنا والكبش ملتمعا قناعه (3)

شبهت الشاعرة قائد جيش الأعداء (بالكباش) بجامع القوة، وحذفت المشبه، وصرحت بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وتشبه أم فطن ارتباطها بابنها وتعلقها به، بارتباط الذراع بالجسد، وحذفت المشبه وصرحت بالمشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية. تقول:

(1) الخنساء، الديوان (ص116).

(2) المرجع السابق (ص18).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص114).

ايقتت بعدك أني غير باقية وكيف تبقى ذراع زال عن عضد (1)

وتقول صفية بنت عبدالمطلب في رثاء حمزة (رضى الله عنه):

على أسد الله الذي كان مدرها يذود عن الإسلام كل كفور (2)

فقد شبهت حمزة بالأسد، فحذفت المشبه، وصرحت بالمشبه به فالاستعارة التصريحية.

وتشبه ليلي بنت طريف أباها بالبدر حيناً، وبالليث حيناً آخر تقول:

وللبدر من بين الكواكب إذ هوى وللشمس همت بعده بكسوف

ولليث فوق النعش إذ يحملونه على حفرة ملحودة وسقوف (3)

فالشاعرة شبهت أباها بالبدر في جماله وعلوه ورفعته وشرفه، وبالليث في قوته وجرأته

وشجاعته، وحذفت المشبه، وصرحت بالمشبه به، وتقول صفية الشيبانية:

أحيوا الجوار فقد أماتته معا كل الأعراب يا بني شيبان (4)

فقد شبهت المحافظة على الجوار بالأحياء، وحذفت المشبه، وصرحت بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وتشبه مقدمة الجيش في الحرب، بشعر مقدم الرأس فقالت:

ماذا ترون بني بكر فقد نزلت كبر الذوائب والأخرى على الأثر

والاستعارة التصريحية، لأنها حذفت المشبه، وهو المجموعة من الناس في مقدمة الجيش، وصرحت بالمشبه به.

(1) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج3/ 216).

(2) يموت شاعرات العرب (ص116).

(3) المرجع السابق (ص160).

(4) المرجع نفسه (ص11).

مما تقدم يمكن القول أن الشاعرة العربية القديمة قد وظفت الاستعارة في شعرها، واستطاعت من خلالها . رسم صورها ووضحت من خلالها معانيها، وإبراز مشاعرها، فجاءت مرتبطة بملامح بيئتها.

المطلب الرابع: الكناية.

أولاً: المفهوم:

حصر الخليل ابن أحمد الفراهيدي (175هـ) وتلميذه سيبويه (180هـ) دلالة الكناية في المعنى اللغوي المتمثل في الخفاء والستر، وتبعهما في ذلك معمر بن المنني (209هـ) ⁽¹⁾ وهي عند الجاحظ (255هـ) تقابل التصريح والإفصاح، يقول " ومن البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة أن تضع الإفصاح بها، إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة " ⁽²⁾

أما قدامه بن جعفر فجاء بمفهوم الكناية تحت اسم الأرداف فقال " وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا تأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى ردفه، وتابع له، فإن دل على التابع، أبان على المتبوع " ⁽³⁾

وبمثل هذا قال عبد القاهر الجرجاني (471هـ): " والمراد من الكناية، أن يرد المتكلم، اثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولاكن يجيء إلى معنى هو تاليه، ورفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليل عليه " ⁽⁴⁾

ومن المحدثين الذين تعرضوا لمفهوم الكناية فضل حسن عباس الذي عرفها بقوله: " الكناية أن تريد معنى من المعاني فتعبر عنه، بغير اللفظ الموضوع له في اللغة " ⁽⁵⁾

(1) ينظر كحيل، الكناية في البلاغة العربية (ص22- ص 23).

(2) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/ 92).

(3) قدامة، نقد الشعر (ص157).

(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص66).

(5) عباس، أساليب البيان (ص335).

وعرفها ابو العدوس بقوله: " هي لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي " (1) يرى أبو العدوس أنه يمكن إرادة المعنى الحقيقي.

"فالكتابة من الفنون الجميلة التي تمس حياة الناس وأذواقهم وتطورهم الثقافي والإجتماعي، وهي تحتاج إلى حسن لغوي مرهف، ذكي، يختار المعنى ثم يخفيه مشيراً إليه بأحد المعاني المنبثقة منه، المترتبة عليه، اللازمة له لزوماً منطقياً أو عرفياً أو ابتكارياً من صنع الفنان نفسه " (2)

وأود الإشارة إلى أن الذوق العام يتغير، وبيئة المجتمع وثقافته تتطور بشكل مستمر، لذلك نجد أن بعض الكنايات التي تناسب عصراً قد لا تناسب آخراً مما أدى إلى فقدان بعض الكنايات القديمة أثرها، وربما اندثارها من التصوير البياني، وبقائها حبيسة الكتب والدواوين وهذا تطلب البحث عن كنايات جديدة تناسب روح العصر، فتتاسب الذوق العام فيه، المتصل بطبيعة الحياة، يقول القزويني: " تختلف الكناية باختلاف الزمن فقد كان العربي يمد المرأة ويكني عن ترفها بقوله: هي نؤوم الضحى، ونحن الآن نعد ذلك مظهراً للكسل والحمول، والكناية: هو كثير الرماد كناية لها بلاغتها في العصور القديمة، أما الآن فلا نكاد مشعر لها بجمال، لأن الذوق يختلف، في تقدير الكناية، باختلاف العصور " (3)

واخيراً السؤال الذي يطرح نفسه، هل لجأت المرأة الشاعرة إلى الكناية في رسم صورها البيانية، والتعبير عن معانيها؟ وإن كانت فعلت هذا، هل أجادت في هذا التوظيف؟ وإلى أي مدى؟

إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة ستوجب منا الولوج في دراسة نماذج من الكناية في شعر النساء، لعلها تسعفنا في استجلاء الأمر ومنحنا إجابات شافية على تساؤلاتنا.

ثانياً: الكناية في شعر المرأة في العصرين الجاهلي والإسلامي:

المرأة القديمة أكثرت من الصور المعنوية، وهذا سبق الإشارة إليه في ثنايا البحث، لذلك من الطبيعي أن تلجأ إلى الكناية في رسم هذه الصور، تقول الخنساء:

(1) أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، (ص212).

(2) سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي، الكناية والتعريض (ص101).

(3) القزويني، الإيضاح (ص204).

رفيع العماد طويل النجا د ساد عشيرته امردا (1)

فأخوها "رفيع العماد" كناية شرفه ومجده، فبيته يعد ناديا يؤمه الناس، "طويل النجاد" كناية عن طول الجسم، وحمال القوام لأن طول الجسم يستدعي أن تكون حمائل السيف طويلة، و"ساد عشيرته امردا" كناية عن النجابة التي جعلت صخرا يسود قومه قبل أن ينبت شعر لحيته.

وتقول صفية بنت عبد المطلب:

رفيع البيت أبلج ذي فضول وغيث الناس في الزمن الحرود (2)

فالكناية "رفيع البيت" دلت على المكان والمجد والشرف والسيادة، وعلو الشأن.

وتقول الخنساء:

رفيع العماد يفوق الرجال ويجري فيسبق سبقا مبينا (3)

وتقول:

ضخم الدسيعة بالندی متدفقا مأوى اليتيم وغاية المنتاب (4)

فالشاعرة تمد صخرا بالكرم من خلال الكناية، فضخامة الجفنة، تدل على كثرة مرتاديه من الناس، وكثرة طعامه الذي يصنعه.

وحول هذا المعنى تقول فاطمة بنت الأحجم أن كريم يؤثر الضيوف بأطيب الطعام، مطعاه كثير يفيض على ضيوفه، فتتال الطير منه حظا وافرا تقول:

أمست ركابك يا ابن ليلي بدنا صنفينا بين مخاض ولقاح

ولقد تظل الطير تخطف جناحها منها لحوم غوارب وصفاح (5)

(1) الخنساء، الديوان (ص31).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص116).

(3) الخنساء، الديوان (ص351).

(4) المرجع السابق (ص16).

(5) المرجع نفسه (ص164).

ويؤثر الناس على نفسه، فلا يستأثر بشحم سنام الجمل عنهم، تقول الفارعة:

يا عين بكى لمسعود بن شداد بكاء ذي عبرات شجوه بادي
من لا يذاب له شحم السديف ولا يجفو العيال إذا ما ظن بالزاد (1)

وتقول الخنساء مظهرة كرم أخيها من خلال كنايتين جمعتهما في بيت واحد:

طلق اليمين بفعل الخير ذو فجر ضخم الدسيعة بالخيرات أمار (2)

(فضخم الدسيعة) كناية عن الكرم، و(طلق اليمين) كناية عن الكرم والجود، وتقول الخنساء أيضا في أخيها صخر:

حمال الوية هباط أودية شهاد أندية للجيش جرار (3)

فالأولى: (حمال الوية) كناية عن السيادة والقيادة فحمل الراية للمتقدم في الجيش.

والثانية: (هباط أودية) كناية عن الجرأة والشجاعة والمغامرة والمخاطرة والسعي لمحاربة الأعداء أيا كانوا، وأينما وجدوا.

والثالثة: (شهاد أندية) كناية عن الشرف والسيادة، وعلو المكانة في القوم، فهو معروف وغير مجهول.

وتقول:

صلب النحيزة وهاب إذا منعوا وفي الحروب جريء الصدر مهصار (4)

(فصلب النحيزة) كناية عن الجرأة والشجاعة والتماسك والثبات والصلابة في الحرب.

وتجمع العوراء بنت سبيع الذبيانية بين صفة العفة والكرم لأخيها وهي من الصفات التي كان العربي يحرص عليها تقول:

(1) الخنساء، الديوان (ص 69).

(2) المرجع السابق (ص 48).

(3) المرجع نفسه (ص 46).

(4) الخنساء، الديوان (ص 45).

طيان طاوي الكشح لا يرخي لمظلمة إزاره

يعصي البخيل إذا أرا د المجد مخلوعا عذاره (1)

فقولها: " لا يرخي لمظلمة إزاره " كناية عن العفة، فأخوها لا يأتي الفواحش وأصحاب الفواحش كانوا إذا فعلوا فعلتهم، ترخو أزهم، وجرزها على الأرض لتمحو الأثر، وقولها " يعصي البخيل " كناية عن الكرم والسخاء والبنل والعتاء.
وتقول ليلي بنت سلمة في أخيها:

فتى كان يعطي السيف في الروع حقه إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر (2)

"تشقى به الجزر " كناية عن كرمه، فهو كثير النحر للإيل، من أجل إطعام من يلج بيته من الناس.

وتقول هند بنت أثانة:

وبكيه للأيتام والريح زفـزف وتشيب قدر طالما ازيدت تغلي (3)

فكنت الشاعرة بإيقاد النار، وغليان القدر عن الجود والكرم وكثرة الطعام.

وتكني زينب بنت الطثرية عن كرم أخيها، بأنه لا يهدأ له بال، فيظل يروح ويجيء، حتى يطمئن على أعداد الطعام وتجهيزه لضيوفه. تقول:

إذا نزل الضيفان كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله (4)

ومدحت اروى بنت عبدالمطلب والدها وقومها بالأنفة فقالت:

ما زال أبيض مكراما لأسرته رحب المحاسن في خصب وفي لين

(1) يموت، شاعرات العرب (ص49).

(2) المرجع السابق (ص67).

(3) المرجع نفسه (ص133).

(4) المرجع نفسه (ص196).

من الذين متى ما تغش ناديمهم تلق الخصارمة الشم العرانيين (1)

فالأشم من ارتفعت قصية أنفه، وأشرقته أرنبته، وعد العرب قديما ذلك رمزا للإباء والأنفة.

ومثله قول ليلي الأخيلية في معرض فخرها بقولها:

شم العرانيين أسماط لغالهم بيض السراويل لم يعلق بها العمر (2)

وكنت الشاعرة عن الجذب والقحط بكنائيات عديدة مثل قول سبيعة بنت عبد شمس:

أخا الجود والمجد والمعضلات إذا لنقطع الدر بعد الحلب (3)

فانقطاع اللبن، وجفاف ضرع الحيوانات سببة الجذب وقلة الطعام.

وتقول سعدي بنت الشمردل:

سمح إذا ما الشول حارد رسلها واستروح المرق النساء الجوع (4)

الشول: تقصد الناقة التي ارتفع ضرعها، وانقطع لينها، وهو كناية عن الجذب الناتج

عن انقطاع المطر:

وقد تلجا بعض الشواعر إلى ذكر بعض الظواهر الكونية للدلالة على الجذب وانقطاع

المطر، تقول جنوب بنت عجلان:

وقد علم الضيف والمرمون إذا اغبر أفق وهبت شمالا

وخلت عن أولادها المرضعات فلم ترعين لمزن بلالا

كأنك كنت الربيع المغيث وكنت لمن يعثفك الثمالا (5)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص120).

(2) الأخيلية، الديوان (ص68).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص114).

(4) المرجع السابق (ص60).

(5) المرجع نفسه (ص101).

فالشاعرة تمدح أخاها بأنه يطعم في وقت الجذب وانقطاع المطر، وكنت عن الجذب بقولها: " اذا
اغبر أفق وهبت شمالا " لأن الغبار لا ينتج إلا عن هبوب الرياح على أرض جافه لا ماء فيها.
وتقول ناجية بنت ضمضم:

الواهب المال التلاد	د لنا ويكفينا العظيمة
ويكون مدرهنا	إذا نزلت مجلحة زميمة
واحمر آفاق السما	ء ولم تقع في الارض ديمة
وتعدز الآكال حتى	كان أحمدها الهشيمة
لا ثله ترعى ولا	إبل ولا بقير مسيمة
الفيتيه مأوى الارامل	والمدفوعة اليتيمة (1)

فالشاعرة تكني بقولها " احمر آفاق السماء " عن انقطاع القطر وحلول الجذب والقحط.

وكنت الشاعرات عن الحرب وأدوات القتال فيها ن وذلك أن العصرين الجاهلي
والإسلامي شهدا حروبا كثيرة، لذلك نجد الكناية حاضرة في شعرهن. تقول ليلي بنت الأحوص:

قاله عينا من رأى مثله فتى إذا الخيل يوم الروع هب نزالها (2)

" يوم الروع " كناية عن الحرب لأن أهوالها وفظائعها، وكثرة القتلى والجرحى يروع
الناس، وتقول سودة بنت عمارة تحت أخاها على نصره على بن أبي طالب:

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران (3)

وكنت الحرقة بنت النعمان عن الرمح بالأسمر العسال، وعن السيف بالأبيض القاطع فقالت:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص48).

(2) مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام (ص46).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص186).

حمتني بنو شيبان والحي تغلب بقب المذاكي والسيوف القواضب

بأسمر عسال وأبيض قاطع وأكمت وردي وعين مراقب (1)

وكنت أم البراء بنت صفوان، بالرونق، والصارم، والبتار عن السيف وذلك لحدثه وشدة
لمعانه، فقالت:

يا عمرو دونك صارما ذا رونق غضب المهزة ليس بالخوار

أجب الإمام وذب تحت لوائه وأفرد العدو لصارم بتار (2)

وكنت زينب بنت الطثيرة بالأبيض الهندي، عن السيف الذي صنع في الهند فقالت:

فتى كان يروي المشرفي بكفه ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله

مضى وورثناه دريس مفاضة وأبيض هنديا طويلا حمائله (3)

ولجأت المرأة إلى الكناية في الهجاء أيضا، بقول الخنساء في هجاء دريد بن الصمة:

معاذ الله ينكحني حركي قصير الشبر من حشم بن بكر

يرى مجدا ومكرمة أتاها لنذل عشى الصديق جريح تحر (4)

تقول الشاعرة أن دريد سميح نجيل، ويرى أن إطعام التمر مجدا، وكرما عظيما.

وتقول هند بنت الخس:

وكم من كثير المال يقبض بكفه وكم من قليل المال يعطي ويسلس (5)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص23 - ص24).

(2) المرجع السابق (ص184).

(3) المرجع نفسه (ص196).

(4) الخنساء، الديوان (ص65).

(5) المرجع نفسه (ص78).

فكنت الشاعرة بقبض الكف عن البخل.

وتقول أم خالد النميرية تهجو الفرزدق:

فكيف يساوي خالداً أو يشينه خميص من التقوى بطين من الخمر (1)

فكنت الشاعرة بالشرط الثاني من البيت الثاني عن إنحلال خلق المهجو حيث جعلته فارغ الفؤاد من التقوى، ومخافة الله، سكيراً يقبل على شراب الخمر.

ثالثاً: أنواع الكناية في شعر المرأة:

الكناية في شعر المرأة حاضرة بأقسامها التي حددها علماء البلاغة وهي كالآتي:

أ - باعتبار المكنى عنه:

تنقسم الكناية على هذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام، وهي: كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، والكناية عن النسبة.

1- كناية عن صفة: وهي التي يستلزم لفظها صفة من الصفات المعنوية ومثاله قول أميمة بنت عبد شمس:

أبي ليلى أن يذهب ونبيط الطرف بالكوكب (2)

كنت الشاعرة بقولها "ونبيط الطرف بالكوكب" عن صفة وهي السهر والأرق.

وتقول فاطمة بنت الأحجم معبرة عن ضعفها بعد فقد زوجها:

فاليوم أخضع الذليل وأتقي منه وأدفع ظلمي بالراح (3)

(1) الخنساء، الديوان (ص182).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص111).

(3) المرجع السابق (ص164).

تصور ليلي الأخيلية قوة قومها، وبأسهم وشدتهم بقولها:

وحي حريد قد صبحنا بغارة فلم يمس بيت منهم تحت كوكب (1)

فالشطر الثاني كناية عن صفة وهي الإبادة.

2- كناية عن موصوف: وهي التي يستلزم لفظها ذاتا أو مفهوما مثل قول الفارعة بنت شداد:

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى يوما رهين صفيحات وأعواد (2)

فكنت الشاعرة بالصفحات وألعواد عن القبر.

وتكني آمنة بنت عتبية عن النساء بنواعم البشر، وذلك لرقتهن ونعومتهم تقول:

على مثل ابن ميه فانهياه تشق نواعم البشر الجيوبيا (3)

وتقول ليلي الأخيلية في هجاء قابض بسبب فراره عن توبه وعدم نصرته:

دعا قابضا والمرهفات يردنه فقبحت مدعوا وأبيك داعيا (4)

فكنت عن السيوف بالمرهفات.

فكنت مليكة الشيبانية عن القبر بالصفائح والنضائد فقالت:

ابكي المغيب في الثرى بين النضائد والصفائح (5)

3- كناية عن نسبة: يتحقق هذا النوع من الكناية عن طريق اثبات صفة معنوية للموصوف

4- دون أن تلحق به مباشرة، بل بشيء يتصل به ويلزمه.

(1) الاخيلية، الديوان (ص123).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص70).

(3) المرجع السابق (ص105).

(4) الاخيلية، الديوان، (ص123).

(5) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص240).

وهذا النوع قليل في شعر المرأة، ولعل هذا الأمر يرجع إلى رغبتها في اثبات صفة المدح للممدوح مباشرة. (1)

تقول الخنساء:

جم فواضله تندى انامله كالبدر يجلو ولا يخفى على الساري (2)

فالشاعرة في هذا البيت نسبت الندى الى أنامل صخر، ولم تتسبه لصخر مباشرة، وتريد أن تقول أن كل جزء فيه مهما صغر يقطر بالجود والكرم. وتقول:

ترى المجد يهوي إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يحمدا (3)

الشاعرة تصف أباها بالمجد والسؤدد، وعلو المكانة، ولكنها لم تتسب الصفة مباشرة، وإنما جعلتها تهوي إلى بيته، دلالة على ملازمتها إياه. وتقول أيضا:

ربيع هلاك وماوى ندى حين يخاف قحط القطار (4)

فالشاعرة جعلت الكرم والجود يلوذ به، وينزل في بيته، في إحياء بكرم صخر وجوده، وعطفه على الفقراء. ب: باعتبار الوسائط:

المقصود بالوسائط اللوازم التي تكون بين المعنى الحرفي، (المكنى به) والمعنى المقصود (المكنى عنه)، وبحسب كثرتها، أو قلتها، خفائها أو ظهورها تتحدد الأنواع التالية:

(1) ينظر صغير، اساليب البيان النسوي (ص232).

(2) الخنساء، الديوان، (ص64).

(3) المرجع السابق (ص31).

(4) المرجع نفسه (ص61).

1- **التعريض:** هو إمالة الكلام إلى عرض ، بمعنى الجانب، والناحية، ويتحقق إذا أشار المتكلم بكلامه، إلى معنى آخر يفهم من السياق، أو المقام الذي يتحدث فيه. (1)

تقول البسوس معرضة ببني بكر، حين قتل كليب ناقثها سراب:

لعمرك لو أصبحت في دار منقذ لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار غربه متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل فإنك في قوم عن الجار أموات (2)

فالشاعرة تشعر بالغربة والذل والهوان، وذلك لعجز ذويها عن نصرتها والدفاع عنها.
وتقول ميسون بنت بحدل:

وخرق من بني عمي ضعيف أحب إليا من عالج عنيف (3)

الشاعرة تحن الى عيش البادية، ولذلك نجدها تعقد مقارنة بين البادية والحضر، فتفضل أبناء عمومته على الخلفاء والأمرء، وتعرض بمعاوية في الشطر الثاني.

1- **التلويح:** تكون الكناية تلويحا إذا كثرت فيها الوسائط بين المكنى عنه والمكنى به.
تقول الخنساء:

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا (4)

هذا البيت يحوي عدة كنايات، فقولها: " رفيع العماد " يبين علو مكانة صخر، وهذا المعنى لا يدرك إلا من خلال وسائط عديدة، فرفيع العماد، دلالة على علو البيت، واتساعه

(1) ينظر ابو العدوس، مدخل الى البلاغة، (ص228).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص36).

(3) المرجع السابق (ص158).

(4) الخنساء، الديوان (ص64).

وصلاحه لدخول الضيوف على خيلهم وهذا يدل على أنهم كبار القوم، وكبار القوم لا ينزلون إلا عند سيد من سادات العرب.

وكذلك " كثير الرماد " أرادت الشاعرة أن تصف أباها بالكرم.

وهذا المعنى يأتي من خلال معرفة عدة خطوات، فالرماد ينتج عن كثرة اشعال النار وكثرة اشعال النار، دليل على كثرة الطهو، وكثرة الطهو بسبب كثرة الضيوف، وهذا دليل على كرم أخيها وجوده وسخائه.

ومن هذا النوع قول فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، _ رضى عنها _

فاليوم أخشع للذليل واتقي ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا (1)

أراد الشاعرة اظهار ضعفها بعد موت والدها فقالت: " وادفع ظالمي بردائيا" فدفع الظالم بالرداء، يدل على غياب المدافع عنها، وغياب المدافع يدل على أنها تعيش وحيدة بمفردها، وهذا الحال ينتج عنه العجز والإحساس بالضعف.

2- الإشارة: تكون الكناية اشارة حين نقل المدلولات بين المكنى عنه والمكنى به تقول ليلي بنت لكيز:

ليت للبراق عينا فترى	ما ألقى من بلاء وعنا
يا كليبيا وعقيلًا إخوتي	يا جنيدا أسعدوني بالبكا
عذبت أختكم يا ويلكم	بعذاب النكر صبحا ومسا
غالبوني قيودوني ضربوا	ملمس العفة منى بالعصا (2)

(1) الزهراء، الديوان (ص86).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص32).

كنت الشاعرة عن إهانتها، من قبل أعدائها بقولها " ضربوا ملمس العفة منى بالعصا ".
وكانوا قد ضربوها على مؤخرتها، وفي هذا امتهان لكرامتها، وأنوثتها، وشرفها، ونقول نائلة بنت
الفرافصة:

أيا قبر النبي وصاحبيه عذيري إن شكوت ضياع ثوبي (1)

تشير الشاعرة إلى موت زوجها وغيابه عنها، بضياع الثوب، وهذه الكناية مستمدة من
التعبير القرآني الذي أثرى اللغة العربية بمعانيه وصورة.

وأخيرا يمكن القول أن: " للكناية دور فعال في استكشاف المعاني وتصويرها بأدق
وأوفى تعبير، يتمثل في قوة الدلالة الوجدانية وكشفها عن الجوانب الخفية من النفس الإنسانية،
أكثر من اقترانها بحركة الواقع المادي الذي لا يتطلب مزيد تأمل وقوة استحياء، لذلك إن الكناية
تقوم على أساس تداعي الصور " (2)

من خلال ما سبق يمكن القول أن المرأة وظفت معظم أنماط الكناية، رغبة فيها في عدم
الإفصاح عن معانيها بلغة صريحة مباشرة، و"صفوة القول " أن الشعر النسوي خلال العصور
الأدبية الأولى، يعج بصور البيان، المتمثلة أساسا في التشبيهات والمجازات، والكنايات، وقد
استعانت بها المرأة الشاعرة في تصوير ملامح بيئتها، وكشف حالتها النفسية، وابرز سمات
أنوثتها " (3)

لقد أجادت المرأة في توظيفها للتشبيه والاستعارة، والكناية، وغيرها من ألوان البلاغة،
توظيفا لا يقل براعة عن توظيف الشعراء، في عصرها فرسمت صورة بيانية غاية في الدقة
والإبداع.

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص72).

(2) فالح، خليل رشيد، الصورة المجازية في شعر المتنبي (ص107).

(3) صغير، أساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص336).

المبحث الثالث

الموسيقا في شعر النساء

الشعر العربي القديم شعر غنائي، فهو شعر ذاتي يعبر عن المشاعر والأحاسيس في أوقات الفرح والحزن وأمل والألم، فهو شعر الحب والبغض والفرح والحزن، وهو في بنائه عبارة عن مقاطع متوالية بتكرر بعضها في نسق موسيقي تألفه الآذان وتطرب له النفوس.

والشعر ارتبط بالغناء منذ البدايات، فأغاني الأفراح والمناسبات، وترقيص الأطفال، وقد أبحح الغناء في مناسبات حصرها الغزالي في " أيام العيد وفي العرس، وفي وقت قدوم الغائب، وفي وقت الوليمة، والعقيقة، وعند ولادة المولود، وعند ختانه، وعند حفظه للقرآن الكريم " (1) والشعراء كانوا يدفعون شعرهم إلى جوارى يجدن الغناء والضرب على الآلات الموسيقية، وذوات أصوات جميلة كي يعنين هذا الشعر فالعلاقة بين الشعر والغناء علاقة وثيقة، يؤكدها قول حسان:

تغن في كل شعر أنت قائلة إن الغناء لهذا الشعر مضمار (2)

انتقل الشعر القديم لمدة طويلة رواية، ومما سهل حفظه ونقله، هو هذه الموسيقا الخلابة المنبعثة من أوزانه وقوافيه، وانتقاء مفرداته، فالموسيقا " تزيد في انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل إما أعيننا تمثيلا عمليا واقعيا، هذا إلا أنها تهب الكلام مظهرا من مظاهر العظمة والجلال، وتجعله مصقولا مهذبا تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه " (3)

بحور الشعر

لقد حاول بعض النقاد القدماء والمحدثين الربط بين ما يتخيره الشاعر من أوزان شعره، وبين الحالة النفسية التي تسيطر عليه (4)، وهذا الربط قد يفتقر إلى الدقة في نتائجه، فشعر الرثاء مثلا توحدته عاطفة الحزن، ومع ذلك تتعدد أوزانه بين (الكامل - والطويل، والبسيط، السريع، الخفيف، والرجز).

(1) الغزالي، احياء علوم الدين، (ج2/244).

(2) ابن رشيق، العمدة، (ج2/241).

(3) انيس، ابراهيم، موسيقى الشعر (ص16).

(4) ينظر القرطاجي، منهاج البلغاء (ص266) وينظر البستاني، سليم في مقدمة الاياداة (ص90- ص91).

ثم إن عاطفة الحزن عند الشعراء متفاوتة، فهي ليست على درجة واحدة عندهم، وحتى عند الشاعر نفسه، تتفاوت العاطفة، فتجاوب الشعراء مع حوادث الموت تختلف باختلاف منزلة الفقيه، ودرجة قرابته، ومكانته الإجتماعية والدينية والسياسية - بل إن شاعر الرثاء ذاته قد يختلف في ضبط وحدته الموسيقية، واختيار البحر الشعري من مرثية لأخرى وللبيت مثلاً - عشر قصائد في رثاء أخيه أريد توحدت فيها عاطفة الحزن في نفسه، فعندما زادت حدة حزنه وانفعاله اتخذ الرجز قالباً لشعره يجاري به عاطفته الجياشة فقال:

أنع الكـريم للـكـريم أريـدا

أنع الـرئيس والـلطيف كـبـدا⁽¹⁾

ودفعه هذا الانفعال إلى مجزوء الكامل بتلمس فيه فسحة لهموم نفسه فقال:

لن تفنينا خيرات أر بد فابكيا حتى يعودا⁽²⁾

ثم استكانت أحزانه وهذأت حدة انفعاله، فمال إلى البحر الطويل فقال:

ياقي قومي في المياتم واندبي فتى كان ممن يبتني المجد أروعا⁽³⁾

وإلى البحر الوافر فقال:

ألا ذهب المحافظ والمحامي ومانع صيمنا يوم الخصام⁽⁴⁾

وعلى الكامل يقول:

أبكي أبا الحزان يوم مقامه لمناخ اضياف ومأوى مقتر⁽⁵⁾

(1) ليبيد، الديوان (ص53).

(2) المرجع السابق (ص52).

(3) المرجع نفسه ص91. مي : ابنة اريد، الاروع : الشم الشجاع.

(4) المرجع نفسه ص59.

(5) ليبيد، الديوان (ص75) ابو الحزاز : كنية اريد، المقامة : مجلسهم عند الملوك.

وعلى المنسرح يقول:

ما إن تعرى المنون من أحد لا والد مشفق ولا ولد (1)

فإذا ما نظرنا في شعر النساء نجد أن هند بنت عتبة وهي ترزح تحت وطأة المصيبة، والفاجرة العظيمة التي حلت بها، والحزن العظيم الذي ملك عليها أحساسها وشعورها نجدها تتدفع راثية والدها على مجزوء الرجز فتقول:

يا عين بكى عتبة شيخا شديدا الرقبية

يطعم يوم المسغبة يدفع يوم المغلبة

إنني عليه حريه ملهوفه مسهولة (2)

وتقول أيضا تحت وطأة الحزن الشديد على مجزوء الكامل:

لله عين ما من رأى هلكا كهلكك رجالية

يا رب بأك لي غدا في النائبات وبأكيه (3)

ولكنها عندما هدأت حدة انفعالها، وسكن عنها حزنها قالت على الطويل:

يريب علينا دهرنا فيسوؤها ويأبى فما نأتي بشيء نغالبه

أبعد قتيل من لؤي بن غالب يراع امرؤ إن مات او مات صاحبه (4)

وأما الخنساء فهي خير من يمثل شعر النساء، فهي كهند بنت عتبة، فقدت الأب والزوج والأخوين، ولعل هذه السلسلة الأليمة من الأحداث المتتابعة قد غرست على نفسها منذ أول فقد

(1) لبيد، الديوان (ص 49).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 123- ص 129).

(3) المرجع السابق (ص 129).

(4) المرجع نفسه ص 129.

بذرة الألم، ثم تعهدتها بقية الأحداث بالنماء حتى استشرى الحزن في نفسها المكلومة، وطغى عليها هذا الإحساس فراحت تعاضم العرب في مصيبتها. (1)

لذلك فإننا نجد بحور الشعر عندها متباينة تباين الحالة النفسية، فعندها كانت حزينة، منفعة، مضطربة، لجأت إلى بحور تستوعب هذه الحدة والإنفعال مثل البحر الخفيف، حيث تقول في رثاء أخيها صخر:

دق عظيمي وهاض مني جناحي هلك صخر مما أطيق براحا (2)

وعلى البحر الرمل تقول:

عين فابكي لي على صخر اذا علت الشفرة أثباج الجزر (3)

وعندما هدأت نفسها بعد طول المدة، لجأت إلى البحور الطويلة بثتها تأملاتها الحزينة فقالت على الطويل:

لا شيء يبقى غير وجه مليكنا ولست أرى حيا على الدهر خالدا (4)

وقالت متأمة على البسيط:

كل امريء يأتا في الدهر مرجوم وكل بيت طويل السمك مهدوم

لا سوقة منهم يبقى ولا قبلك ممن تملكه الاحرار والروم

إن الحوادث لا يبقى لنائبها ألا الإله وراسي الأصل معلوم (5)

مما سبق يمكن القول أن اختلاف درجة العاطفة ما بين القوة والهدوء كانت عامل في تنوع بحور الشعر، فالبحر الطويل بإيقاعه الهادئ البطيء نسبيا يلائم العاطفة المعتدلة

(1) ينظر العباسي. معاهد التصنيف على شواهد التلخيص (ج 1 / 351-352)

(2) الخنساء الديوان (ص28) هاض : كسر، ابراح : الزوال من المكان.

(3) المرجع السابق (ص56).

(4) المرجع نفسه ص32.

(5) المرجع نفسه ص105.

المرتجة بقدر من التفكير والتأمل، سواء كانت حزنا هادئا لا صراخ فيه، أم سرورا هادئا لا صخب فيه، لذا جاء في النماذج كلها، والبحر الخفيف يلائم العاطفة المتزنة المضبوطة، في حين ينسجم البحر الكامل مع العاطفة قوية النشاط والحركة، سواء أكانت فرحة قوية الاهتزاز، أم حزنا شديد الجلجلة. (1)

فنجده حاضرا في الحالات، أما البحور القصيرة فإنها توافق حالة الانفعال القوي، فتنماشى مع سرعة التنفس، وازدياد دقات القلب (2)

لذلك نجد شعر الرثاء _ غالبا _ مقطوعات شعرية قريبة من عشرة أبيات، لأنها وليدة لحظة انفعال وتوتر واضطراب نفسي، وكلما كانت النفس هادئة مستكنة مالت الشاعرة الى البحور الطويلة التي تساعد على التأمل والتفكير.

ويمكن القول إن أصحاب النماذج السابقة (البيد - هند - الخنساء) جمع بينهم غرض واحد هو الرثاء، والعاطفة المسيطرة عليهم هي عاطفة الحزن والألم على الفقد، ثم إن شعرهم لم يأتي على نمط موسيقي واحد، حيث تعددت بحور الشعر عندهم، وحتى عاطفة الحزن لم تكن على حالة واحدة، فمرة قوية حادة، ومرة ضعيفة هادئة، وهذا أنتج لنا شعرا متعدد الأوزان، فالشاعر نظم على أكثر من بحر ضمن الغرض الشعري الواحد وهذا واضح مما ذكر من أمثلة.

فالبحور التي ترتبط بقوة عاطفة الحزن هي (الرجز، السريع، الرمل، الخفيف المتقارب، مجزوء الكامل) والتي ارتبطت بالعاطفة الهادئة هي: (البسيط، الكامل الطويل، الوافر، المنسرح) والطويل أكثر هذه البحور.

ويمكن القول إنه لا يوجد رابط بين الحالة النفسية، والأوزان الشعرية إلا من ناحية حدة الانفعال وفتوره.

1- التقسيم المقطعي الصوتي:

يقصد بالتقسيم المقطعي هنا، إمكانية تقسيم البيت من الشعر إلى مجموعات كل مجموعة تتكون من كلمات، ويساعد على تكوين هذه المجموعات كل من التركيب النحوي، والدلالي، أو المعنى، ويمكن أن يطلق تجوزا على هذه المجموعة (مقطع صوتي)؛ أي مجموعة

(1) ينظر: النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه (ج 1/ ص 60).

(2) ينظر: أنيس، موسيقى الشعر (ص 177).

كلمات تألفت - في ضوء النظام النحوي، وفي ضوء المعنى العام، والمعاني الجزئية - فكونت كتلة صوتية.

فهذا النمط من التركيب اللغوي والصوتي يحقق إيقاعا وانسجاما فوق الإيقاع والانسجام الذين يشتمل عليهما الوزن العروضي، فكما أن التفعيلات تكرر في البيت الواحد على مسافات معينة، كذلك تكرر المقاطع الصوتية على مسافات معينة، فيتم حينئذ البعيد.

عن الشحنة النفسية تعبيراً أدق، ويكون تكرار المقاطع الصوتية كسراً لرتابة وحدة الوزن والقافية من جهة، وزيادة في تحقيق موسيقى الشعر بصورة أكثر تأثيراً وأقوى تعبيراً من جهة أخرى، كما يتوافق هذا التقسيم المقطعي مع ضغط الانفعال النفسي الناتج عن الحزن، ويبرز جرعة الشعور النفسي. (1)

والشاعرة قد تجد في هذا التقسيم شيئاً من الراحة النفسية، تقول الفارعة بنت شداد في رثاء أخيها:

شهاد أندية رفاع أبنية	شداد الوية فتاح أسداد
نحار راغية قتال طاغية	حلال رابية فمكأك أقياد
قوال محكمة نقاض مبرمة	فراج مبهمة حباس أورد
حلال ممرعة حمال مضلعة	قراع مفضعة طلاع أنجاد (2)

ومثلها الخنساء التي لجأت إلى المقاطع المتتابعة يقودها حزنها على فقد أخيها فتقول:

آبي الهزيمة آتي بالعظيمة	متلاف الكريمة لا نكس ولا واني
حامي الحقيقة سبال الوديقة	معتاق الموسيقى جلد غير ثنيان (3)

(1) ينظر: السريحي، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي (ص257)

(2) مارديني، شواعر الجاهلية (ص289 - ص290).

(3) الخنساء، الديوان (ص111) الهزيمة : تعني الظلم، الكريمة : خيار المال، النكس : الجبان، الواني : الضعيف، بسال : مانع، الوديقة : موضع العشب، الموسيقى : هي الاسيرة ، جلد : صبور، الثنيان : من لا عقل له.

وتقول أيضا:

طلاع مرقبة منع مغلقة وراد مشرية قطاع أقران
شهاد أندية حمال الوية قطاع أودية سرحان قيعان (1)

وإذا نظرنا إلى المقاطع على المستوى النحوي والصرفي والصوتي وجدنا التناسب والتجانس والتشابه الذي يوفر لنا إيقاعا موسيقيا محببا إلى النفس، وذلك فوق التجانس العروضي.

وهناك تقسيم آخر في شعر النساء، حيث يعتمد بناء البيت على التقسيم الثلاثي، بحيث يتكون الشطر الأول من مقطعين قصيرين ويكون عجزه مقطعا واحدا طويلا، تقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

وحي أبحت وحي صبحت غداة الهياج منايا عجالا
وخوف وردت وثغر سددت وعلج شدت عليه الحبالا
ومال حويت وخيل حميت وضيف قريت يخاف الوكالا (2)

يقول على البطل هذه التقسيمات تتناسب مع تجمعات النذب والنياحة الطوقسية (3)

وهذا رأي فيه اجتهاد، إلا أنني لا أذهب مع هذا الرأي، فجميع الأمثلة التي سيقنت هي أبيات من قصائد طويلة، بعضها زاد على الثلاثين بيتا، ولو كانت نظمت لتناسب طوقس النياحة لكانت القصيدة قصيرة وعبرة عن مقطوعة شعرية وتسير على نظام واحد ألا وهو المقاطع الصوتية ألا أن هذه الأبيات نثرت في ثنايا القصيدة، ولكنها قد تتيح للشاعرة مدى أوسع، متفرع من خلالها شحنات الحزن والألم، مع منح النص موسيقى محببة إلى النفس تالفها الأذن وتنسجم معها.

(1) الخنساء، الديوان (ص112).

(2) مارديني، شواعر الجاهلية (ص235 - ص236).

(3) ينظر: البطل علي، الصورة في الشعر العربي (ص222).

2- القافية:

القافية لغة: هي مؤخر العنق . (1)

أما اصطلاحاً: هي على رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 174) آخر ساكنين البيت وما بينهما والمتحرك قبل أولهما.

وهي عند الأخفش الأوسط (ت 215 هـ) في آخر كلمة في البيت فقافية البيت الآتي:

أنت على مالك من مروعة رमित بالغدر أحب من وفي

على رأي الخليل (من وفي) وعند الأخفش (وفي) (2)

والقافية إما مطلقة، وهي ما كانت موصولة مثال ذلك قول عروة بن الورد:

أتهزأ مني أن سمت وأن ترى علي شحوب الحق والحق جاهد

أفرق جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد⁽³⁾

والوصل حرف اللين الناشئ عن إشباع حركة الروي، وهو في البيت الثاني الواو الناشئة عن إشباع حركة الدال في (باردو)، أو مقيدة: وهي ما كانت غير موصولة، أي ليس فيها حرف لين ناشئ عن إشباع حركة الروي، هو هنا الدال في قول المتنبي:

أزائر يا خيال أم عائذ أم عند مولاك إنني غير راقذ⁽⁴⁾

إن تكرار القافية الدائم والمتتابع في جميع أبيات القصيدة يؤدي إلى ربط الأبيات بعضها ببعض، كما إنها تلتحم مع المعنى العام للقصيدة، وتوحي بجوها سواء أكانت قافية كطلقة تعج بالحركة والحيوية وينطلق الصوت من خلالها واضح المعالم ن أم قافية مقيدة ساكنة تبعث الهدوء والسكون وتضيق معالم الاصوات فيها. (5)

(1) ابن منظور، لسان العرب (ماده قفا).

(2) وهبة والمهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (ص282 - ص 283).

(3) عروة، الديوان (ص61).

(4) المتنبي، الديوان (ص551).

(5) يقول ابراهيم انيس في كتاب موسيقى الشعر (ص284) : " ان الحرف الساكن حين يقع في نهاية الكلمة

ثم يراد الوقوف على كلمته قد يتعرض ذلك الحرف للغموض او الابهام فيقل وضوحه في السمع، او قد

يسقط في النطق "

والقافية المطلقة هي القافية السائدة في الشعر الجاهلي عامة فحركة الفتح والضم والكسر تعكس حركة العربي الدائبة، وتنقله المستمر عبر الصحراء لذلك بلغت القافية المطلقة 90% من الشعر الجاهلي عامة، بينما ظلت القافية المقيدة تمثل 10% منه فقط. (1)

ومن نماذج القافية المقيدة في شعر النساء قول الخنساء:

يا عين جودي بالدموع المستهلات السواجم (2)

وتقول ايضا:

من لامني في حب كوز وذكره فلاقى الذي لاقيت اذ حفز الرجم (3)

ومن الشواعر الاخر اللاتي لجأن الى القافية المقيد امية بنت امية بنت عبد شمس بن عبد مناف، حيث تقول:

ابـي لـيـلـي ان يـذـهـب	و نـيـط الطـرف بالـكـوكـب
و نـجـم دـونـه الـاهـوال بـيـ	ن الـدـلو والعـقـرب
و هـذا الصـبـح لا يـأـتـي	ولا يـدنو ولا يـقـرب
بـفـقـد عـشـيرة مـنـا	كـرام الخـيـم والمـنـصـب
اـحـال عـلـيـهـم دـهـر	حـديـد النـاب والمـخـاب (4)

ان الذي ألجأ الشاعرة إلى القافية المقيدة، هو قيد الحزن والألم الذي يقيد الشاعرة ، فالحزن أبدي والليل لا يذهب ، فهو أزلي سرمدي لذلك فهي متعلقة بالعالم العلوي حيث النجوم والكواكب، لكنها تجد الهموم والأهوال دون ما تريد.

(1) أنيس موسيقى الشعر (ص283).

(2) الخنساء، الديوان (ص109).

(3) المرجع السابق (ص107).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص111).

ويمكن أن نخلص إلى شيء مهم وهو أن المرأة الشاعرة كانت مقله من القافية المقيدة، لأنها تميل إلى رفع الصوت ومدّه وإطلاقه لإعلان مصابها، وشحذ الهمم لا شفاء غليلها.
الروي:

هو في العروض العربي، أحد أحرف القافية الذي تبنى عليه القصيدة ويتكرر بتكرار أبياتها، وتنسب إليه عادة، وذلك كقول حرير:

ألقى على اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت فقد أصابا (1)

وتتبع أهمية الروي من كونه يعكس صدى صوته على القصيدة، وكونه يمثل وحدتها، ويمنحها اسمة، فيقال اللامية، والسينية وغيرها، ثم أن الروي يعتبر مرآة تتعكس عليها عواطف الشاعر وأحاسيسه ومشاعره، أو بصمة غير صاحبها وتعكس حالته، لذا كان في معرفة هذا الصوت كشف لفسية صاحبه.

وفي الشعر تتعكس الحالة النفسية للشاعرة على لغتها، والروي جزء من هذه اللغة بل هو عنوان القصيدة، والصوت المتكرر فيها، ولا بد أن فيه ظلالا من نفسية الشاعر وأحاسيسه (2) وإذا نظرنا إلى كتاب شواعر الجاهلية لرغداء مارديني، فأننا نجد أن المؤلفة أوردت فيه مائة وخمس عشرة مقطوعة شعرية لشواعر من العصر الجاهلي، وبعد عملية احصاء للروي في هذه المقطوعات تبين الآتي:

حرف الروي	الع	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	المجموع
العدد	1	9	1	1	1	3	1	7	1	25	1	1	1	2	1	1	1	4	1	1	3	2	12	16	6	14	1	7	115

أكثر حروف الروي الراء (25) يليه الميم (16) ثم الهاء (14) واللام (12) والباء (9) والياء (7) والداد (7) والنون (6)

(1) وهية والمهندس، معجم المصطلحات العربية (ص190)

(2) ينظر: السريحي، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي (ص268)

أن طبيعة الأصوات التي كثر مجيؤها رويًا نجد أنها جميعًا من الأصوات المجهورة التي تساعد بوضوحها وقتها على رفع الصوت في شعر الرثاء لإعلان المصاب، والتفريغ شحنه الحزن والألم. " ثم أن حالة شاعر الرثاء القلقة المتوترة لا يتناسب معها الهمس الهادئ، وإنما الجهر العالي، كما تجتمع هذه الأصوات، الراء، اللام، والنون والباء على صفة الذلاقة." (1)

وشاعر الرثاء يحتاج لهذه الأصوات في تأبينه وتهديده ووعيده، لما فيها من سهولة وطلاقة، ثم أن هذه الحروف بخفتها وسلاستها يسهل النطق بها في ساعه الانفعال والارتباك والاضطراب " (2)

وإذا كان حرف الراء أكثر الحروف ظهورًا في روي شعر النساء، فإنه يتناسب مع رعشة الحزن والألم، وتذبذب الوترين، وارتعاد اللسان عند النطق، كما أن الدال والباء من الأصوات المجهورة الغنية بعنصر الوضوح السمعي، كما أنهما من الأصوات الشديدة الانفجارية.

فالأصوات التي كثر ورودها توفرت فيها صفات القوة من: جهر وذلاقة وشدة انفجار وقلقة، أما الحروف التي قل ورودها رويًا في شعر النساء فإن أغلبها من المهموسة.

التكرار:

التكرار من الأصوات الواضحة في شعر الرثاء يكشف به شاعره عن المعاني المتغلغلة في نفسه والممتلئة حزنًا وألمًا، فيعتمد إليه لتفريغ شحنه الألم والحزن المطبقة على نفسه، فقد يفقد الإنسان اتزانه في لحظة اشتداد الحزن، فيفلت من ريقه التحكم في نقطه، ويعود إلى فطرته وسليقته في النطق. (3)

والتكرير عند الشعراء تكرير حركة وتكرير كلمة وتكرير جملة وتكرير معنى.

(1) الذلاقة : حدة اللسان وطلاقته، والمراد هنا الحروف التي تتصف بالخفة والسلاسة وهي : الراء واللام، والنون، وسميت حروف الذلاقة لأنها تخرج من ذلق اللسان وهو طرفه مع غار الفم، وقد ضمت إليها ثلاثة حروف شفوية هي : الفاء والباء والميم وسميت حروف ذلاقة للخفة التي فيها، ينظر علام، علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الحديثة (ص65) والمهدي، أصوات العربية ودراسة وصفية (ص127).

(2) السريحي، الصورة في الشعر الجاهلي (ص269 - ص290).

(3) السيد، التكرير بين المثير والتأثير (ص80).

1- تكرار الحركة:

تبرز حركة الكسر كأكثر الحركات في شعر الرثاء عند النساء، وذلك أن حركة الكسر تناسب لحظة الضعف والإنكسار والخضوع للحزن والألم، تقول زينب بنت العوام:

أعيني جودا بالدموع فاشرعاً على رجل طلق اليدين كريم (1)
وتقول خالدة بنت هاشم:

عينن جودي بعبرة وسجوم واسفح الدمع للجواد الكريم (2)
وقد تشبع الشاعرة الحركة فتقلب الى ياء:

وأرسل عبدالله إذ خان يومه إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي (3)

وحركة الكسر عند المرأة تتكرر أكثر من الرجل الإحساس الدائم بالخوف وفقد الحماية بعد موت مرثيها، لذلك يبلغ التكرار عندها أكثر من النصف (4)

ولعل حركة الفتح أقل حضوراً في شعر النساء وذلك أن المرأة تلجأ إلى البكاء والصراخ والعيويل لتخفيف حدة انفعالها تقول أمينة بنت عتيبة:

وكان أبي عتيبة شمرياً فلا تلقاه يدخر النصيباً (5)
وتقول دخنتوس بنت لقيط:

بكر النعي بخير خندف كهلهما وشبابها (6)

(1) يموت، شاعرات العرب (ص171).

(2) المرجع السابق (ص113).

(3) المرجع نفسه (ص97).

(4) ينظر، السريحي، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي (ص284).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص105).

(6) المرجع السابق (ص51).

2- تكرار الحرف (المماثلة):

يطلق لفظ المماثلة على تأثير الأصوات بعضها على بعض حين تتجاور، وهذا التماثل قد يكون في الصفة، أو المخرج، أو فيهما معا، مما ينشأ عنه الإدغام⁽¹⁾

فالمماثلة تتمشى مع ما فيها من سرعة في نطق الأصوات، ومزج بعضها ببعض، مع تدفق مشاعر الشاعر وحدة انفعاله، كما يستمد من قوة التضعيف قوته التي تكاد تتلاشى من الحزن والألم ومثال ذلك قول الخنساء:

تطير من خل البلاد براقشا بأروع طلاب اللترات مطلبه (2)
وتقول دخنتوس ابنة لقيط:

وأضـرها لعـدوها وأفكـها لرقابـها (3)

وهو يكاد يختفي حين تهدأ نفس الشاعر، فإذا ما عاوده التوتر والإنفعال، عاد التماثل بقوة، فهو رهين الحالة النفسية والدفق الشعوري، والتوتر الانفعالي.

3- تكرار الصياغة والمعنى:

من الصياغات التي تتكرر في شعر المرأة الصياغات البكائية التي تبدو واضحة في كثير من المقطوعات الشعرية، وربما تتكرر في المقطوعة الواحدة من ذلك قول أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب في رثاء والدها:

ألا يا عين جودي واستهلي وبكي ذا الندى والمكرمات
ألا يا عين ويحك اسعفيني بدمع من دموع هاطلات
وبكي خير من ركب المطايا أباك الخير تيار الفرات
فبكيه ولا تسمي بحزن وبكي ما بقيت الباقيات (4)

(1) ينظر انيس، اللهجات العربية (ص71).

(2) الخنساء، الديوان (ص15).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص51).

(4) المرجع السابق (ص118 - ص119).

ومثله قول عاتكة بنت عبدالمطلب:

أعيني حودا ولا تبخلا بدمعما بعد نوم النيام
أعيني واستعبدا واستكبا وشوبا بكاء كما بالتماد
أعيني واستخرطا واستجما على رجل غير نكس كهام (1)

ومثل ذلك عند خالدة بنت هاشم (2) وسليمة بنت المهلهل (3)

ومن الصياغات التي تتكرر في شعر النساء، صياغة التفجع، وهي من الصياغات الأنثوية المقصورة على المرأة فقط (4) وإن وجدت عند الرجال فهي قليلة.

تقول سليمة بنت المهلهل في رثاء لأبيها:

لهفي عليه إن توسط معضل حصن العشيبة ضارب بجران
لهفي عليك إذا اليتيم تخاذلت عنه الأقارب إيما خذلان (5)

وتقول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

لهفي على صخر فإني أرى له نوافل من معروفة قد تولدت
لهفي على صخر لقد كان عصمة لمولاة إن نعل بمولاه زلت (6)

ومن المعاني التي تكررت في شعر النساء: معاني الكرم والشجاعة والفصاحة والبيان واغائة الملهوف: وفك العاني وهذا كثير في شعر النساء، وربما سبق الحديث عن ذلك بإسهاب في فصول البحث.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص115).

(2) المرجع السابق (ص113).

(3) المرجع نفسه (ص39).

(4) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص623).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص40).

(6) المرجع السابق (ص22).

ومن التكرار تكرار الضمير الدال على الجمع الذي يفيد الشمول والعموم مثل قول أميمة بنت أمية:

وهـم ركنـي وهـم منكب	فإن أبكي فهم عزي
وهـم نسـبي إذا أنسب	وهـم أصلي وهـم فرعي
وهـم حصـني إذا أهرب	وهـم مجدي وهـم شرفي
وهـم سـيفي إذا أغضب (1)	وهـم رمحي وهـم ترسي

وتكرار كم الخبرية قولها:

خطيب مصقع معرب	وكم من ناطق فيهم
كمي معلّم محرب	وكم من فارس فيهم
اريب حول قلب	وكم من مدره فيهم
عظيم النار والموكب	وكم من جحفل فيهم
نجيب ماجد منجب (2)	وكم من خضرم فيهم

يمكن القول أن الشعر العربي شعر غنائي استمد موسيقاه من الوزن والقافية، والتصريح وحركة روية، ومن انتقاء ألفاظه وحسن نظمها، من سهولة في تركيبها وانسجام لأصواتها مع ما يولده التكرار من نغمة موسيقية رتيبة، كل هذا يجعل الشعر أقرب للنفوس، وأسهل للوصول للقلوب وأهون في الحفظ والرواية.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص111).

(2) المرجع السابق ص112.

الخاتمة

بعد هذا الطواف الجميل في نتاجات شواعر الجاهلية والإسلام، والوقوف على صورة الآخر في شعرهن، سواء أكان هذا الآخر أبا، أو أخا، أو ابنا، أو زوجا، أو محبوبا، وسواء أكان أعجميا أو مذهبيا، مسلما أو كافرا، وبعد الدراسة الفنية لشعر هذه المرحلة، والتي تتبعت الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، ووقفت على لغة الشعر فيها ثم الموسيقى.

أولاً: النتائج

يمكن القول بأن الدراسة توصلت إلى عدة نتائج، وهذا عرض لأبرزها:

- 1- حظيت المرأة العربية بمكانة مرموقة في العصر وعززها الإسلام بعد ذلك، فقد حرص العربي على إعزازها، وصونها وحمايتها، بل وافتها بنفسه وماله.
- 2- كانت المرأة العربية في العصرين شديدة التعلق بأهلها وأقربائها، مما جعلها تطلق للسانها العنان في وصفهم والتغني ببطولاتهم، وتزهو بالعيش في كنفهم.
- 3- حرصت المرأة في رثائها لأهلها على التصوير المعنوي، فالشجاعة والإقدام، والكرم والجود، والحلم والفصاحة والبيان كانت من الصفات التي حرصت عليها وأكثرت منها.
- 4- أكثرت المرأة في العصر الجاهلي من التفجع والتوجع، وشق الجيوب ولطم الخدود، لكنها أحجمت عن ذلك في العصر الإسلامي بعد أن غيرها الدين الجديد، الذي حارب كل هذه الأفعال وأنكرها.
- 5- ظلت شواعر صدر الإسلام متأثرات بالعصر الجاهلي، وخصوصا المخضرمات، لأنهن كن قريبات عهد به، ولذلك جاءت صورهن مشابهة لحد بعيد صور المرأة الجاهلية.
- 6- نادى المرأة في العصر الجاهلي بالثأر لقتلاها، وحرصت أهلها وقومها عليه، وكانت قاسية جدا على من تقاعس عنه. ولكن هذا الأمر كان مختلفا عند شاعرات العصر الإسلامي لتأثرهن بالدين الجديد.
- 7- إن المراثي الشعرية في العصر الإسلامي في مجملها لم ترق إلى درجة مراثي النساء في عصر ما قبل الإسلام، من حيث الكشف عن التجربة وعمقها، وربما يرجع ذلك إلى القدرة التعبيرية للرائية الجاهلية عن الرائية المسلمة، بسبب تمسك الأخيرة بتعاليم الدين الجديد.

- 8- رثت المرأة العربية في العصر الإسلامي محبوبها بجرأة وشجاعة لم تكن معهودة في العصور القديمة، وهذا بين واضح في رثاء ليلى الأخيلية لتوبة بن الحمير.
- 9- من العرب من حرص على أن يرثى قبل موته، مثل ما فعل عبد المطلب بن هاشم، حين طلب من بناته أن يرثينه، ففعلن وأجدن في رثاءه.
- 10 - لم تناد المرأة الخارجية بالثأر للقتلى، لأنها كانت متعلقة بالآخرة وترجو الثواب من الله، ولأن الشهادة عند الخوارج كانت هدفا يسعون له، ويحرصون عليه.
- 11- نظرت المرأة العربية للآخر الأعجمي، والآخر اليهودي نظرة احتقار وازدراء، وهذا واضح في كونها تفضل الموت على الزواج منهما.
- 12- أحببت المرأة العربية، ولكنها كانت عفيفة شريفة، كتومة، لا تظهر ودها حرصا على سمعتها، وسمعة أهلها، وهذا هو الأغلب، أما ما خالف ذلك فهذا يعد شذوذاً.
- 13- ظلت المرأة العربية أسيرة بينتها، تعشقها، وتحن إليها، وتأسى على أيام قضتها فيها، وربما يكون ذلك لحب نما وترعرع في ربوعها، فخشيت البوح به، والإفصاح عنه.
- 14 - كان شعر الهجاء عند المرأة شديداً، مؤلماً، قاسياً، حيث نال الزوج منه نصيباً، وكذلك من تقاعس عن الأخذ بالثأر من الأقارب، إضافة إلى الأعداء في الجاهلية والإسلام سواء بسواء.
- 15- لقد شهدت مرثي النساء لشهداء المسلمين حالة جديدة كانت قليلة جداً قبل الإسلام وتمثلت في الرثاء من دون صلة القربى بل قد يكون الذي يرثونه اليوم عدواً بالأمس فضلاً عن انتقال الرثاء عن المنظور الفردي إلى المنظور الجماعي.
- 16- تميزت مرثي النساء في عصر صدر الإسلام بألفاظ سهلة، واضحة، لينة، بعيدة عن الأغراب، والتعقيد، بعكس لغة مرثي النساء في عصر ما قبل الإسلام، ويعود ذلك إلى تأثر لغة العصر - صدر الإسلام - بأسلوب القرآن الكريم.
- 17- لقد حفلت مرثي النساء في العصرين بكثير من الألفاظ التي جاءت متوافقة وموضوع الرثاء؛ فالبكاء؛ والدموع، والأرق، والموت، والمصيبة، والحزن ألفاظ عامة لا يمتاز بها عصر دون غيره علماً أن لفظة (البكاء) ومشتقاتها تكاد تغطي على سائر المرثي النسائية في العصرين.

- 18- عكس شعر النساء الكثير من الصفات الشكلية التي رغب فيها العرب في الطفل، كبياض البشرة والطول والجمال...، والصفات التي رغبوا عنها كاحمرار البشرة واللعثة.
- 19- رجوع الشواعر في بناء صورهن، إلى الواقع، ومحيطهن، يتأملنه جيدا، ثم يعدن تشكيله، ناقلات، إياه من الحياة إلى الشعر، معتمدات في ذلك، على عنصر الخيال.
- 20- توظيف المرأة العربية، لأسلوب التشبيه بكثرة في شعرها، متخذة إياه، وسيلة لتصوير حياتها، وإبراز نفسياتها، وكشف مشاعرها، علما أنها فيه، وفيه لبيئتها ومحيطها.
- 21- الطبيعة، في شعر المرأة ملمح هام، فهي أداة مهمة، لرسم الصور الشعرية، سواء كانت تشبيهية، أو استعارية، أو كنائية، ولذلك جاءت أحاسيسها، ومشاعرها، ممزوجة بمشاهدها.
- 22- استناد شواعر الجاهلية، إلى عناصر الطبيعة، أثناء بناء تشبيهاتهن، التي نجدها تكشف العديد من جوانب شخصية المرأة، إذ تظهر من خلالها، ممجدة للبطولة والإقدام، مؤثرة للقوة، وهائمة بمظاهر الحسن والجمال.
- 23- خضوع البناء الاستعاري، في شعر المرأة، لعناصر الطبيعة، وملامح البيئة، كما يتصل اتصالا وثيقا بطبيعة المرأة الأنثوية.
- 24- التشبيه في شعر المرأة الجاهلية، يأتي لبيان حالتها النفسية، كالإحساس بالضعف، وعدم الشعور بالاطمئنان، مثلما هو مائل في تشبيهات فاطمة بنت الأحجم، وزينب اليشكرية، وليلى بنت لكير، وأيضا للتعبير عن حزنها، وإبراز نفورها، من بعض السلوكيات والأوصاف.
- 25- لم تخرج شواعر العصر الإسلامي، والأموي في التشبيه عن الإطار المرسوم له، في العصر الجاهلي، حيث استقن مادته من البيئة، فجاء صورة صادقة عن العصر، بكل موجوداته، ومرآة عاكسة، لنفسية المرأة، التي ظلت تستهويها مظاهر القوة والجمال.
- 26- لجوء المرأة الشاعرة، إلى الصورة الكنائية لقيمتها التعبيرية، ودورها الفعال في نقل المعاني، دون التصريح بما يجيش، في نفسها من خواطر، فوظفتها بقوة في شعرها، كأداة تنقل من خلالها، مختلف القيم الخلقية، والأمراض السلوكية، المنتشرة في مجتمعها.
- 27- تقنية شواعر الجاهلية، عن أشياء متصلة ببيئتهن، ومرتبطة بقيم عصرهن، كالخصال المعنوية من مثل الجود، والمجد، والعفة، وكذلك الصفات المذمومة، وفي مقدمتها الجبن. والبخل، فضلا عن بعض الظواهر الشائعة في الجاهلية، كالقحط، والحرب.

- 28- سير شواعر العصر الإسلامي، والأموي، في أسلوب الكناية، على مذهب شواعر الجاهلية، فكنين بدورهن، عن الصفات الحميدة، كالكرم، كما استخدمنها، للإشارة إلى الحرب، والأدوات القتالية، علماً أنّ أثر الإسلام، باد في كنايات، بعض الشواعر، مثلما هو الشأن بالنسبة لأم خالد النميرية، وليلى الأخيلية.
- 29- جاءت ألفاظ الشاعرات في بيان صورة الآخر، متناسبة مع المعاني، فكانت ألفاظها رقيقة في الغزل، جزلة في الفخر والمدح.
- 20 - مالت المرأة إلى القافية المطلقة في شعرها، وكانت مقلة في القافية المقيدة، لعدم مناسبتها لعاطفة الحزن، والرغبة في تفرغ الشحنات العاطفية.
- 31 - تباين العاطفة عند الشاعرات بشكل عام، وعند الشاعرة بشكل خاص بين القوة والضعف، أدى إلى تنوع بحور الشعر وتعددتها.ض
- 32 - كان للعاطفة أثر واضح في أشعار النساء، وهذا ما يفسر وجود المقطوعات القصيرة التي تقال في الموقف نفسه، لحظة الانفعال.

ثانياً: التوصيات

- 1- دراسة شعر النساء دراسة فنية للوقوف على القيمة البلاغية الكامنة فيه.
- 2- جمع شعر النساء في دواوين منفصلة لأفراد أو مجموعات.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

آبادي، الفيروز (2003م). *القاموس المحيط، تحقيق: محمد عبد الرحمن*. (ط.2). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور (ت: 852هـ). (1419هـ) *المستطرف في كل فن مستطرف*. (ط.1). بيروت: عالم الكتب.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (ت: 630هـ). (1417هـ / 1997م). *الكامل*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. (ط.1). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (ت: 630هـ). (1409هـ - 1989م). *أسد الغابة*، (د.ط.). بيروت: دار الفكر.

أخداري، بكاي. (2007). *الخطاب الشعري*. (د.ط.). الجزائر: وزارة الثقافة.

الأخيلية، ليلي. (د ت) *الديوان*. تحقيق: خليل إبراهيم العطية وجيل العطية. (د.ط.). بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد.

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد. (ت: 321هـ). (1411 هـ - 1991 م) *الاشتقاق*. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. (ط.1). بيروت: دار الجيل.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (ت: 370هـ). (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. (ط.1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو أسعد، أحمد، (1982م)، *أغاني ترقيص الأطفال عند العرب*، ط.2. بيروت: دار العلم للملايين.

الأشعري، أبو الحسن علي. (1990م). *الإبانة عن أصول الديانة*. ط.2. بيروت: دار الكتاب العربي.

الأصبهاني، أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف ثم البغدادي الظاهري (ت: 297هـ).
الزهرة. الكتروني، الشاملة.

الأصفهاني، أبو الفرج (1410 هـ، 1990 م). الأغاني. (ط8). بيروت: دار الثقافة.

الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (د.ت). (ت: 421 هـ). غريد الشيخ
. إبراهيم شمس الدين. شرح ديوان الحماسة. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت: 216 هـ)، (1993م)،
الأصمعيات، تحقيق: احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، (ط7). القاهرة: دار
المعارف.

الألوسي، محمود شكري ، (ت1342هـ). (1342هـ). بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب.

عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه، محمد بهجة الأثري. (ط3). مصر: دار الكتب الحديثة.

الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت: 370هـ)، (1411 هـ - 1991 م)، المؤلف
والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم. تحقيق: ف. كرنكو.
(ط1). بيروت: دار الجيل.

الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت: 487هـ). (د.ت)، سمط
اللائي في شرح أمالي القالي. تحقيق: عبد العزيز الميمني. (د.ط). ، بيروت: دار الكتب
العلمية.

أنيس، إبراهيم (1984 م). اللهجات العربية، (ط6). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أنيس، إبراهيم. (1972 م). موسيقى الشعر. (ط4). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (1407 هـ - 1987 م). الجامع الصحيح المختصر
تحقيق: مصطفى ديب البغا. (ط3). دار ابن كثير. بيروت.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. (1987م - 1407هـ) صحيح البخاري الجامع
الصحيح المختصر. تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا. (ط3). بيروت: دار ابن كثير.

- البستاني، سليم. (1954 م) مقدمة في تاريخ الإلياذة. (د.ط) القاهرة. مطبعة الهلال.
- البصري، أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن. الحماسة البصرية. تحقيق: مختار الدين أحمد. (د.ط). بيروت: عالم الكتب.
- المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التتوخي، (ت: 384هـ)، (1391هـ)،
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. (د.ط). (د.م).
- البصري، ليلى محمد ناظم محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله. (1989م). ديوان أشعار
النساء في صدر الإسلام. رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة. كلية الآداب.
الجامعة المستنصرية.
- البطل، علي (1980). الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري. (ط.1).
بيروت: دار الأندلس. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. (د.ت). الفرق بين الفرق. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. (د.ت). الفرق بين الفرق. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.
- البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي. (1405 هـ - 1985 م). المنمق في
أخبار قریش. تحقيق: خورشيد أحمد فاروق. (ط1). بيروت: عالم الكتب.
- البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت: 562هـ). (1417 هـ). التذكرة
الحمونية. (ط1). بيروت: دار صادر.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (ت: 1093هـ). خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد
السلام محمد هارون. (ط.4). القاهرة: مكتبة الخانجي .
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. (ت: 279هـ). (1417 هـ - 1996 م). جمل من
أنساب الأشراف. تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي. (ط1). بيروت: دار الفكر.
- بنون، نعيم محمد عبد اللطيف. (1409 هـ - 1989م). فن الرثاء عند المرأة في الشعر
الأموي. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية.
- بوحوش، رابع. (2006م). اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري. (د.ط). عنابة: دار
العلوم.

البونسي، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري. (651هـ)، (2004م). كنز الكتاب ومنتخب الآداب. تحقيق: حياة قارة (د.ط.). أبو ظبي: المجمع الثقافي.

البياتي، عادل. (1986م). دراسات في الأدب الجاهلي. (د.ط.) الدار البيضاء: دارالنشر المغربية. التادلي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجزائري (ت: 609هـ)، (1991م). (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب. تحقيق: محمد رضوان الداية (ط1). بيروت: دار الفكر المعاصر.

التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني. (ت: 502هـ). (د. ط). شرح ديوان الحماسة. (د.ط.). بيروت: دار القلم.

التبريزي. (736هـ). (1403هـ-1983م). تهذيب إصلاح المنطق. تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة. (ط.1). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني. (ت: 502هـ). (1352هـ). شرح القصائد العشر. (ط2). القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية.

أبو تمام. (1414هـ-1994م). الديوان. برواية الخطيب التبريزي. قدم له راجي أسمر. (ط.2). بيروت. لبنان: دار الكتاب العربي.

أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي. (ت: 231هـ). الوحشيات تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي. وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر. (ط3). القاهرة: دار المعارف.

التميمي، ساجدة عبد الكريم. (1421هـ-2000م). الأمومة والبنوة في الشعر العراقي الحديث. رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطباعة. كلية العلوم الإسلامية. جامعة بغداد.

التونجي، محمد. (2002م). شاعرات في عصر النبوة. (ط.1). بيروت. لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن ثابت، حسان. (1414هـ-1994م). الديوان. (ط.2). بيروت: دار الكتب العلمية.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري. (1417 هـ - 1997 م)
لباب الآداب. تحقيق: أحمد حسن ليج (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية .

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء. الليثي، أبو عثمان. (1423 هـ). البيان
والتمييز. (د.ط). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الجاحظ، أبو عثمان (د.ت). الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون. (ط1). القاهرة: مصر.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء (1424 هـ). الحيوان. (ط2).
بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: 255هـ). (1384 هـ - 1964
م). رسائل الجاحظ. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. (د.ط). القاهرة: مكتبة
الخانجي.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، (ت: 255هـ). (1423هـ)
المحاسن والأضداد، (د.ط). بيروت دار ومكتبة الهلال.

الجبوري، يحيى. (1964 م). شعر المخضرمين. (د. ط) بغداد. العراق: مكتبة النهضة.

الجبيلي، عبد الرحمن مرضي علاوي (1425 هـ - 2005 م). الشهادة والشهيد في الشعر العربي
في صدر الإسلام والعصر الأموي. دراسة موضوعية فنية. (ط1). القاهرة: مكتبة الثقافة
الدينية.

الجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه، (1951 م). تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم. (ط2). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الجرجاني، ركن الدين محمد بن علي بن محمد (1982 م). الإشارات والتنبيهات في علم
البلاغة. تحقيق: عبد القادر حسين. (د.ط). دار نهضة مصر.

الجرجاني، عبد القاهر (2003 م). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر. (ط3). القاهرة
مطبعة المدني.

- جرير، (1406هـ - 1986م). الديوان. بيروت. دار بيروت للطباعة.
- جلي، أحمد. (1988م). دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين. (ط.2). السعودية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله (ت 232هـ). (د.ت). طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. (د.ط). جدة: دار المدني.
- جمعه حسين (1998م). قصيدة الرثاء، جنور، وأطوار، دراسة تحليلية في مرثي الجاهلية وصدر الإسلام. (ط1). دمشق: دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجهني، زيد بن محمد بن غانم (1425هـ). الصورة الفنية في المفضليات أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية (ط1)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- الجويني، مصطفى الصاوي (1993هـ). البيان في فن الصورة. (د. ط). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- أبو الحجاج، يوسف بن سليمان الشنتمري الأندلسي. المعروف بالأعلم. (476هـ). أشعار الشعراء الستة الجاهليين (آلي). المصدر الشاملة.
- الحديثي، بهجت (1998م). دراسات نقدية في الشعر العربي. (د.ط). بغداد. دار الشؤون الثقافية.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ). (1414 هـ - 1993 م). معجم الأدباء. تحقيق: إحسان عباس. (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الحوفي، أحمد محمد (1362هـ - 1963 م). المرأة في الشعر الجاهلي. (ط.2). دمشق: دار الفكر العربي.
- الحوفي، أحمد (1382هـ_1962م). الحياة العربية في الشعر الجاهلي. (ط.4). بيروت: دار القلم.

- الحيالي، ليلى محمد ناظم. (1989م). *ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام*. رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة. كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.
- الخرنق، بنت بدر بن هفان (1410هـ - 1990م). *الديوان*. رواية أبي عمر ابن العلاء. تحقيق: يسري عبد الغني عبد الله. (ط.1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الخرزاعي، دعبل بن علي، (1414هـ _ 1994م). *الديوان*. شرح حسن بن حمد. (ط.1). بيروت: دار الكتاب العربي.
- الخطيب، بشرى محمد علي (1977م). *الثناء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام*. (د.ط.). بغداد: مطبعة الإدارة المحلية.
- الخنساء، (1425هـ - 2004م). *الديوان*. شرح: حمدو طماس. (ط.2). بيروت: دار المعرفة.
- الداية، فايز (1996). *جماليات الأسلوب*. (ط.2). دمشق: دار الفكر المعاصر.
- دراوشة، صلاح الدين أحمد، (2001). *القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والأصمعيات*، (ط.1). عمان: مكتبة الفجر.
- رومية، وهب أحمد، (1996م)، *شعرنا القديم والنقد الجديد*، (ط.1). الكويت: عالم المعرفة.
- ابن الريب، مالك. (د.ت). *الديوان*. تحقيق: نوري حمودي القيسي. مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد الخامس عشر. (ج 1).
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت: 337هـ). (1407هـ - 1987م)، *الأمالي تحقيق: عبد السلام هارون*. (ط.2). بيروت، دار الجيل.
- زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس. (395هـ). *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية*. تحقيق السيد أحمد صقر. (د.ط.). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- الزمرخشي، جار الله (1946م). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. (د.ط.). القاهرة: مطبعة الاستقامة.
- الزمرخشي، (د.ت). *المستقصى*. (ط.3). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، (ت 583 هـ). (1412 هـ). ربيع الأبرار ونصوص الأخيار. (ط1). بيروت: مؤسسة الأعلمي.

أبو زهرة، محمد. (د.ت). تاريخ المذاهب الإسلامية. (د.ط). بيروت: دار الفكر .

الزهري، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري (د.ت). الطبقات الكبرى. (د.ط). بيروت: دار صادر.

السريحي، صلوح بنت مصلح بن سعيد (1419هـ - 1998م). الصورة الفنية في شعر الرثاء الجاهلي، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جدة، السعودية.

سلطان، منير. (2002 م). الصورة الفنية في شعر المتنبي : الكناية والتعريض. (د. ط) الإسكندرية. مصر. منشأة المعارف.

سلطاني، محمد علي (1980م). البلاغة العربية في فنونها. (د.ط). (د.م). مطبعة زيد بن ثابت.

السلمي، سليم بن ساعد. (2009م). الصورة الفنية في شعر الخنساء. رسالة ماجستير. جامعة مؤتة الأردن.

سمارة، ربي شحادة صابر(2013م). صورة الطفل في الشعر الجاهلي. رسالة ماجستير. (مخطوطة). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي (ت: 626هـ). (1407هـ-1987م). مفتاح العلوم. ضبطه: نعيم زرزور. (ط2). بيروت: دار الكتب العلمية.

السنكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا. زين الدين أبو يحيى المصري الشافعي. (1426هـ - 2005م). منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى (تحفة الباري). تحقيق: سليمان بن دريع العازمي. (ط1). الرياض. المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

السوداني، عتاب بسيم مشكل. (1426هـ-2005م). أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري. رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة. كلية التربية للبنات. جامعة الكوفة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال الدين (1386هـ -1966م). شرح شواهد المغني. وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان. (د.ط.). (د.م). لجنة التراث العربي.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت: 911هـ). (1424هـ). المحاضرات والمحاويرات. (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (1986). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصحّحه: محمد أحمد جاد المولى، (د، ط). بيروت: المكتبة العصرية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (1974م). الإتيقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيد، عز الدين علي (1986م). التكرير بين المثير والتأثير. (ط 2). بيروت: عالم الكتب.

الشايب، أحمد (1976م). الأسلوب. (ط7). القاهرة: دار النهضة المصرية.

ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت: 542هـ)، (1344هـ - 1925 م). مختارات شعراء العرب ابن الشجري. ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي (ط1). القاهرة: مطبعة الاعتماد.

ابن شداد، عنتره/الديوان. الخطيب التبريزي. بيروت. دار الكتاب العربي.

ابن شداد، عنتره، (1893م). الديوان. (ط1). بيروت: مطبعة الآداب.

الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (355 - 436هـ)، (1373هـ - 1954م). أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط1). (د.م) دار إحياء الكتب العربية .

الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي. الأنوار ومحاسن الأشعار. الكتاب الالكتروني. الشاملة.

الشوري، مصطفى عبد الشافي، (1995م). شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية (ط1). القاهرة: دار نوبار للطباعة.

الشهرستاني، محمد بن أحمد. (1402هـ _ 1982م). الملل والنحل. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

الشوكاني، محمد (د.ت). فتح القدير . (د.ط) . بيروت: دار المعرفة .

شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب (1913م). مجاني الأدب في حدائق العرب. (د ط). بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.

صالح، بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، (1994م). (ط1). (د.م) المركز الثقافي العربي.

ابن صالح، هند، وابن صالح، إبراهيم (د.ت). الشعر الجاهلي. (عنترة، الخنساء، النابغة) (د.ط). (د.م) دار محمد علي الحامي، سلسلة فوائيس.

الصايغ، وجدان (1992م). الاستعارات في الشعر العربي الحديث. (ط3). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

صغير، فاطمة (1433هـ - 2012 م). أساليب البيان النسوي من الجاهلية إلى العصر العباسي. رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان. الجزائر.

الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت: 168هـ). (د.ت). المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، (ط6). القاهرة. دار المعارف.

ضيف. شوقي. (د.ت). تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي. (د.ط). القاهرة: دار المعارف.

الطائي، حاتم (1415هـ _ 1994م). الديوان. شرح يحيى بن مدرك الطائي. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 322هـ). (د.ت) عيار الشعر. تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع. (د.ط)، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. أبو جعفر. (ت: 310هـ).
1387هـ). تاريخ الطبري. (ط2). بيروت: دار التراث.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت: 280هـ). (1326هـ - 1908 م). بلاغات
النساء. شرح: أحمد الألفي. (د.ط.). القاهرة: مطبعة مدرسة والده عباس الأول.

ابن ظفر الصقلّي، محمد بن عبد الله (د، ت). أنباء نجباء الأبناء. (ط1). دمشق: مطبعة
التقدم.

العامري، لبيد بن ربيعة (د.ت). الديوان. (د.ط.). بيروت: دار صادر.

العالمي، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف
فواز. (ت: 1332هـ). الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. (ط1). مصر: المطبعة
الأميرية الكبرى.

العاني، سامي مكي. (1968م). دراسات في الأدب الإسلامي. (د.ط.). ساعدت جامعة بغداد
على نشره. بغداد: مطبعة المعارف.

العباس، عبد الرحيم بن أحمد (ت 963هـ). (1367هـ - 1947 م). معاهد التنصيص على
شواهد التلخيص. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد. (د.ط.). بيروت. عالم الكتب.

عباس، فضل حسن (2007م)، أساليب البيان. (ط1). الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

عباس، فضل حسن (1987م). البلاغة فنونها وأفنانها. (د.ط.). الأردن: دار الفرقان.

عباس، إحسان (1402هـ - 1982م). ديوان شعر الخوارج. (ط4). بيروت: دار الشروق.

عبد الباقي، محمد فؤاد (1997م). اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. (ط3). القاهرة:
دار الحديث.

عبد الرحمن، نصرت (1979م). في النقد الحديث. (د.ط.). مكتبة الأقصى.

ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم
الأندلسي. (1404هـ). العقد الفريد. (ط1). بيروت. دار الكتب العلمية.

عبد قاسم، محمد. (1430 هـ - 2009 م). *مراثي النساء في شعر عصري ما قبل الإسلام* و*صدر الإسلام. دراسة موازنة. رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية. بغداد.*

ابن العبد، طرفة (2000م). *الديوان*. تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال. (ط.2). بيروت: المؤسسة العربية، والبحرين: دار الثقافة والفنون .

العبيدي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد .(ت: 702هـ). (د.ت). *التذكرة السعدية*. (د.ط). الكتروني. الشاملة.

أبو العدوس، يوسف (2010م). *مدخل إلى البلاغة العربية*. (ط2). (د.م). دار المسيرة للنشر والتوزيع.

ابن العديم العقيلي، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة. (ت: 660هـ). (1404 هـ - 1984م). *الدراري في ذكر الدراري*، تحقيق: علاء عبد الوهاب محمد. (ط1). دار السلام، دار الهداية.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. (ت: 852هـ). (1415 هـ). *الإصابة في تمييز الصحابة*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (ت852هـ). (1423هـ-2002م). *الإصابة في تمييز الصحابة*. دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. والشيخ علي محمد معوض. (ط.2). بيروت: دار الكتب العلمية.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: 395هـ). (د.ت). *جمهرة الأمثال*. (د. ط). بيروت: دار الفكر.

العسكري، أبو هلال (2002م). *الصناعتين*. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (ط1). بيروت: المكتبة العصرية.

عصفور، جابر (1974م). *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي*. (د ط). القاهرة: دار الثقافة للنشر والطباعة.

عفيفي، عبدالله. (1932م). *المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها*. (ط.2). القاهرة: دار المعارف.

علام، عبد العزيز. (1410هـ - 1990م). *علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الحديثة* (ط.1). (د.ن). (د.م).

أبو علي، نبيل (2001م). *شاعرات عصر الإسلام الأول*. (ط.1). القاهرة: دار الحرم للتراث.
عنترة بن شداد. (د.ت). *الديوان*. شرح: الخطيب التبريزي. (د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي .
العواجي، محمد جرمان (1415هـ). *القيم الإنسانية في شعر الرثاء الجاهلي*. (ط.1). مكة المكرمة: دار الحارثي للطباعة والنشر.

عوض، أحمد عبد التواب. (د.ت). *الترقيص والغناء للأطفال عند العرب*. (د.ط). القاهرة: دار الفضيلة.

الغزالي، أبو حامد (1917م). *إحياء علوم الدين*. (د.ط). القاهرة: دار الكتب العربية.

الغيث، نسيمة. (1418هـ_1997م). *ليلي الأخيالية وفن الرثاء*. مجلة كلية دار العلوم . العدد (22).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني الرازي (ت: 395هـ). (1418هـ-1997م). *الصاحبي في فقه اللغة*. محمد علي بيضون. (ط.1). (د.م). (د.ن).

الفارسيّ أبو القاسم زيد بن علي (ت: 467 هـ). (د. ت). شرح كتاب الحماسة. تحقيق: محمد عثمان علي. (ط.1). بيروت: دار الأوزاعي.

فاضلي، إبراهيم شمس الدين محمد (2008 م). *شرح ديوان الخنساء*. (ط.1) بيروت: دار صبح.

فالح، خليل رشيد، (1985م). *الصورة المجازية في شعر المتنبي*. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة بغداد. العراق.

الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. (ت: 170هـ).
(د.ت). كتاب العين. تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. (د.ط). (د.م). دار
ومكتبة الهلال.

فرحات، يوسف (1992م). ديوان الصعاليك. (ط.1). بيروت: دار الجيل.

قاسم، عدنان حسين، (2000م). التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية. (ط2). القاهرة:
الدار العربية للنشر والتوزيع.

القالبي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان
(ت: 356هـ). (1344هـ - 1926م). الأمالي. عني بوضعه وترتيبه: محمد عبد الجواد
الأصمعي، (ط2). القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ)، (1418هـ). عيون الأخبار. (د.ط).
بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ). (1423 هـ). الشعر والشعراء.
(د.ط). القاهرة: دار الحديث.

قدامة بن جعفر، (1932م). جواهر الألفاظ. (د.ط). القاهرة: مطبعة الخانجي.

قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت: 337هـ). (1979). نقد الشعر.
تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. (ط1). القاهرة. (د.ن).

قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت: 337هـ). (1302هـ). نقد الشعر. (ط1).
القسطنطينية: مطبعة الجوائب.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب. (د.ت). جمهرة أشعار العرب. تحقيق علي محمد
البحاوي. (د.ط). القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

القرشي، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري (ت: 197هـ). (1416هـ - 1995م).
الجامع في الحديث لابن وهب. تحقيق: مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، (ط1).
الرياض: دار ابن الجوزي .

القرطاجني، حازم (1966م). *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*. تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة (د.ط.). تونس: دار الكتب الشرقية .

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (463هـ). (1422هـ، 2002م). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود.(ط.2). بيروت: دار الكتب العلمية.

القزويني، الخطيب (2002م). *تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع*. تحقيق: ياسين الأيوبي. (ط 1). بيروت: المطبعة العصرية.

القزويني، الخطيب (د.ت). *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق: مجدي فتحي السيد. (د.ط.). القاهرة: المكتبة التوفيقية،.

القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين الرازي (ت: 395هـ). (1399هـ - 1979م). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د.ط.). (د.م). دمشق: دار الفكر.

القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري (ت: 453هـ). (د.ت). *زهر الآداب وثمر الألباب*. (د.ط.). بيروت: دار الجيل.

القيرواني، أبو علي الحسن ابن رشيق الأزدي (ت: 463 هـ). (1401 هـ - 1981 م). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.(ط5).بيروت: دار الجيل.

القيرواني، عبد الكريم النهشلي (د. ت). *الممتع في صنعة الشعر* تحقيق: الدكتور محمد زغلول سلام،(د. ط). الإسكندرية: منشأة المعارف.

القيسي، نوري حمودي (1982م). *شعر الحرب عند العرب*. سلسلة الموسوعة الصغيرة. (د.ط.). بغداد: دار الحرية للطباعة.

ابن قيم، (1982 م). *أخبار النساء*. تحقيق نزار رضا. (ط 1). بيروت: مكتبة الحياة.

كامل، حيدر وحساني، محمد شراد (2002). *ديوان فاطمة الزهراء*. (ط1). بيروت: منشورات دار البحار ومكتبة الهلال.

- كحالة، رضا محمد (1978م). *الحب، (ط1)*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- كحالة، عمر رضا (1397هـ-1977م). *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام. (ط2)*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- كحيل، بشير (2004 م). *الكناية في البلاغة العربية. (ط1)* القاهرة: مكتبة الآداب.
- ابن كلثوم، عمرو (1411هـ _ 1991م). *تحقيق ايميل بديع يعقوب. (ط1)*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- لويس سي دي (1982). *الصورة الشعرية. ترجمة: أحمد نصيف الجنابي. (د ط)*. الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة والنشر.
- مارديني، رغداء (1422هـ - 2002م). *شواعر الجاهلية دراسة نقدية. (ط1)*. دمشق: دار الفكر.
- المبارك، مازن (1423 هـ / 2002 م). *الموجز في تاريخ البلاغة. (ط2)*. بيروت: دار الفكر المعاصر، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت: 285هـ). (1421 هـ). *الفاضل. (ط3)*. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. (ت: 285هـ). (1417هـ - 1997م). *الكامل في اللغة والأدب. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط3)*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- المبيضين، أحمد ماهر (2003م). *الأسرة في الشعر الجاهلي. (ط1)*. عمان. دار البشير.
- المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى. (1415 هـ - 1995 م). *أشعار النساء. حققه وقدم له: سامي مكّي العاني و هلال ناجي. (ط1)*. بيروت: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
- المرزباني، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران (ت: 384 هـ). (1402هـ - 1982م). *معجم الشعراء. تصحيح وتعليق ف. كرنكو. (ط2)*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى (ت: 384هـ). *الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء. (د.ط). (د.ن). (د.م)*.

المسعودي، (1981 م). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. (ط4). بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط.). بيروت. دار إحياء التراث العربي.

مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (د.ت.). *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مطلوب، أحمد (1985 م). *الصورة في شعر الأخطل الصغير*. (د. ط.). عمان. دار الفكر.

معبدى، محمد بدر (1983 م). *أدب النساء في الجاهلية والإسلام*. (د.ط.). (د.م.). مطبعة مكتبة الآداب المطبعة النموذجية،

معروف، نايف (1983 م). *ديوان الخوارج*. (د.ط.). بيروت: دار المسيرة.

معيطه ، أحمد (1999 م). *شعر النساء الخارجيات* . مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث . المجلد (21). العدد (14) .

مقبول علي بشير النعمة، *المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام*. (ط1). بيروت: دار صادر.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي. (ت: 711هـ). (د.ت.). *لسان العرب*. (ط1). بيروت: دار صادر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ). (1402 هـ - 1984 م). *مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر*. تحقيق: روحية النحاس. رياض عبد الحميد مراد. محمد مطيع، (ط1). دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن منقذ أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الكناني الكلبى الشيرزى (ت: 584هـ). (د.ت.). *المنازل والديار*. (د.ط.). (د.ن.). الكتروني. الشاملة.

المنقري، نصر بن مزاحم (1382هـ). وقعة حنين. تحقيق: عبد السلام هارون. (ط2). القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر .

المهدي، جمال. (1416، 1995م). أصوات العربية دراسة وصفية، (د. ط). (د.ن). (د.م).

المهدي، حسين بن محمد (2009م). صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، راجعه: عبد الحميد محمد المهدي، (د.ط). الجمهورية اليمنية: وزارة الثقافة. دار الكتاب برقم إيداع (449). مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي.

مهنا، عبد الأمير (1990). معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

مهنا، أحمد سلمان (2009)، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام. رسالة ماجستير غير مطبوعة. الجامعة الإسلامية - غزة.

ميدان، أيمن محمد (1995 م). شعر تغلب في الجاهلية. القاهرة: معهد المخطوطات العربية.

ميدان، أيمن محمد (1995). شعر تغلب في الجاهلية. (د.ط). القاهرة: معهد المخطوطات العربية.

الميداني. (د.ت). مجمع الأمثال. (د. ط). بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.

النايعة الذبياني، (1411 - 1991). الديوان. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن النحاس. (د.ت). شرح القصائد المشهورات. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

نصار، حسين (1980م). الشعر الشعبي العربي. (ط1). بيروت: منشورات اقرأ.

نفاع، محمد فؤاد (د ت). الجود والبخل في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوبي. (د ط). دمشق: دار طلاس للدراسات والنشر.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين، (ت733هـ) (1423هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (ط1). القاهرة. دار الكتب والوثائق القومية.

النويهى، محمد. (د.ت). الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه. (د.ط) القاهرة. دار القومية للطباعة والنشر.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد. (ت218هـ). (1411هـ) السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. (ط.1). بيروت. لبنان: دار الجيل.

الواقدي، لأبي عبد الله محمد بن عمر. (ت207هـ). (1417هـ-1997م). فتوح الشام. (ط.1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الواقدي، أبي عبد الله محمد بن عمر. (ت207هـ). (1417هـ-1997م). فتوح الشام. (ط.1). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الورد، عروة. (1998). الديوان. تحقيق أسماء أبو بكر محمد. (د.ط). بيروت: دار الكتب العالمية.

ابن الورد، عروة، (1998). الديوان. تحقيق أسماء أبو بكر محمد. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت197هـ). (1416هـ - 1995م). الجامع في الحديث. تحقيق: مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير. (ط.1). الرياض. دار ابن الجوزي.

وهبة، مجدي، والمهندس، ومجدي (1984م). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (ط.2). بيروت: مكتبة لبنان.

ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ). (د.ت). معجم البلدان. (ط.2). بيروت: دار صادر.

اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك (ت: 310هـ)، (1397 هـ - 1938 م). الأمالي. (ط.1). حيدر آباد الدكن، الهند: مطبعة جمعية دائرة المعارف.

يعقوب، عبد الكريم. ومحفوظ رامية. (1411هـ - 1990 م). الرثاء لدى شواعر الجاهلية في العصر الأموي. (المجلد 12). العدد (1).

يموت، بشير (1353 هـ، 1934 م). شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام. (ط.1) بيروت: المطبعة الوطنية.

اليوسف، يوسف. (1980م) مقالات في الشعر الجاهلي. (ط.2). دار الحقائق. الأدب والبلاغة. مرقم آليا.